

وَقَدْ أَتَى الْبَلَاءُ الْبَلَاءَ

المجلد الثاني

فَارِيبُ

سَيِّدَةُ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسَانِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْمَسْكُونَةِ وَالْمَسْكُونَةِ وَالْمَسْكُونَةِ

اذا احسن الله علينا من رزقنا في الدنيا والآخره

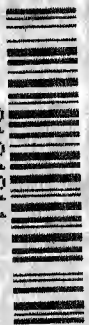
تذکرہ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُبَارَكٌ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَكَ بِشَاكِرِينَ



Библиотека Александра



134

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَعْرِفَةُ الْمَعَارِفِ

الحسيني الطهراني ، السيد محمد الحسين ، ١٣٤٥ - ١٤١٦ هـ .
معرفة المعاد / لمؤلفه السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني . - بيروت :
دارالمحجة البيضاء ، ١٤١٦ هـ .
١٠ ج . ٢٣٠ ص . - (دورة العلوم و المعارف الإسلامية ؛ ٣)
الطبعة الأولى : ١٤١٦ هـ .

العنوان .

٢٩٧/٤٤

BP٢٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم
مؤسسة ترجمة ونشر دورة علوم و معارف اسلام
نزديات
عناية الله الحاج سيد محمد حسين بن علي

دورة العلوم و المعارف الإسلامية (٣)

معرفة المعاد

المجلد الثاني

المؤلف : سماحة العلامة الراحل آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني
الطهراني

تعريب : عبدالرحيم مبارك

الطبعة الأولى : ١٤١٦ هجرية

عدد النسخ : ٢٠٠٠

الناشر : دارالمحجة البيضاء

تمت ترجمة و طبع هذا الكتاب بإشراف «مؤسسة ترجمة و نشر دورة العلوم
و المعارف الإسلامية» من تأليفات العلامة آية الله الحاج السيد محمد الحسين
الحسيني الطهراني ، و جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة .

هُوَ الْقَلْبُ

وَمِنْهُ الْمَعَارِفُ الْمُسْتَوْتَاتُ
٣

مَعْرِفَةُ الْمَعَارِفِ

لِمَجْلَدِ السَّانِي

تَأَلِيفُ

سَمَاحَةِ الْعَلَمَةِ الزَّاحِلِ

آيَةُ اللَّهِ الْحَاجِّ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِ الْحُسَيْنِيِّ الظَّهْرَانِيِّ

أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَائِرَ بَرَكَاتِ نَفْسِهِ الْقُدْرَةِ

تَعْيِيبُ

عَبْدُ الرَّحِيمِ مُبَارَكُ

وَلِلْمُحَمَّذِ الْبَيْضَاءِ

مكتبة المخطوطات ومخطوطة
الطبعة الاولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م



دار المخطوطات، للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ص.ب: ١٤٧٩/٥

الفهرست

فهرس المطالب و الموضوعات

معرفة المعاد

المجلد الثاني

الصفحة

المطالب

المجلس الثامن :

النجاة في الإيمان بالله طوعاً واتباع أحكام الدين تعبداً

الصفحة ٣ إلى الصفحة ٣٢

يشمل المطالب التالية :

- ٥ الإيمان بالله طوعاً و اختياراً هو الذي ينفع الإنسان
- ٧ لا فائدة من الإيمان عند معاينة سكرات الموت و ارتفاع حُجب الغيب
- ٩ تعاليم الأنبياء و الأحكام الإلهية ينبغي قبولها تعبداً لا بالدليل و الفلسفة
- ١١ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا
- ١٣ قصّة قارون و غروره بالعلم ؛ و عدم جدوى توبة فرعون عند الغرق
- ١٥ عدم جدوى توبة المتمردين عند نزول العذاب
- ١٧ كيفية قبض أرواح الظالمين و استثناء المستضعفين
- ١٩ المراد بالمستضعف
- ٢١ إرسال الحقّ تعالى ریحانین باسم المسخية و المنسية لقبض روح المؤمن
- ٢٣ الروايات الواردة في كيفية قبض روح المؤمن
- ٢٥ تأمل الخالق تعالى في قبض روح العبد المؤمن

معرفة المعاد (٢)

المطالب	الصفحة
حضور الأرواح المقدسة لرسول الله و الأئمة الطاهرين عند المحتضر	٢٧
اشتياق سيّد الشهداء و أصحابه للموت من أجل إعلاء كلمة الحقّ	٢٩
اشتياق سيّد الشهداء للقاء الله و رسوله ، و خطبته للدعوة إلى لقاء الله	٣١

المجلس التاسع :

ليس على أولياء الله خوف و لاحزن و لاسكرات موت

الصفحة ٣٥ إلى الصفحة ٧١

يشمل المطالب التالية :

معنى الولاية و آثارها	٣٧
كيفية تجلّي صفات الله تعالى في أوليائه	٣٩
كلام الخواجه نصيرالدين الطوسي في «شرح الإشارات» في صفات العرفاء	٤١
لا سلطان للشيطان على أولياء الله	٤٣
معنى الزهد في تعبیر القرآن الكريم	٤٥
البشرى لأولياء الله هي غير البشرى للآخرين	٤٧
قصة غزوة حمراء الأسد و المنّ بالولاية	٤٩
درجة الولاية و مقامها ملازم لمقام التوحيد	٥١
خطبة أميرالمؤمنين عليه السلام في خصائص و صفات أولياء الله	٥٣
كلام أميرالمؤمنين عليه السلام في شأن أخ له في الله	٥٥
معية أتباع أولياء الله لهم	٥٩
إتباع أولياء الله يستلزم اللحق بهم	٦١
حضور الأئمة عند احتضار أولياء الله واصطحابهم لهم إلى الجنة	٦٥
معية أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام له و قصة جون العبد الحبشي الأسود	٦٧
لحقو فضّة و سلمان بأهل البيت عليهم السلام	٦٩

فهرس المطالب و الموضوعات

المطالب الصفحة

٧١ كيفية تجلي صفات الله في أوليائه

المجلس العاشر :

إلحاق المؤمنين بأولياء الله و المنكرين بأولياء الشيطان

الصفحة ٧٥ إلى الصفحة ١٠١

يشمل المطالب التالية :

- ٧٧ لحوق الحسنات و السيئات عند التجرد و الموت بأصلهما
- ٧٩ انفصال الحسنات عن السيئات عند التجرد و الموت و لحوق كل منها بأصله
- ٨١ احتجاج الإمام الباقر على إبراهيم الليثي في لحوق المؤمنين و المنكرين بأصولهم
- ٨٣ ظهور الشيطان محك فصل الحسنات عن السيئات
- ٨٧ المؤمنون في الامتحان كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف
- ٩١ قول أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني : إن دين الله لا يُعرف بالرجال
- ٩٣ كلام أمير المؤمنين للحارث الهمداني في درجاته و مقاماته عليه السلام
- ٩٧ أشعار السيد الحميري في قول أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني
- ٩٩ أحوال السيد الحميري عند موته
- ١٠١ قصة موت السيد الحميري و إرسال الصادق عليه السلام كفناً له بيد غلامه

المجلس الحادي عشر :

مميزات عالم الطبع و عالم المثال و عالم القيامة

الصفحة ١٠٥ إلى الصفحة ١٣٠

يشمل المطالب التالية :

- ١٠٧ خصائص عالم البرزخ
- ١٠٩ نسبة سعة عالم البرزخ إلى الدنيا ، و سعة عالم القيامة إلى البرزخ

معرفة المعاد (٢)

المطالب	الصفحة
التعبير عن عالم البرزخ بعالم القبر	١١٣
العوالم الثلاثة للإنسان : البدن والدَّهن و النَّفس	١١٥
اندكالك العوالم الثلاثة لرسول الله في الدَّات الأحدثة	١١٧
كلام المرحوم الميرزا جواد آقا الملكيِّ التبريزيِّ في العوالم الثلاثة	١١٩
دُعر الحيوانات و فرارها من عذاب قبر الكفَّار و الظالمين	١٢١
قصة آية الله الأنصاريِّ و جنازة الحاكم الظالم ؛ و قصة جنازة الرجل العربيِّ	١٢٥
حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا	١٢٧
قصة بُرير بن خضير الهمدانيِّ و عبد الرحمن بن عبد ربِّ الأنصاريِّ	١٢٩

المجلس الثاني عشر :

مميَّزات عالم الطبع و عالم البرزخ و عالم القيامة

الصفحة ١٣٣ إلى الصفحة ١٥٤

يشمل المطالب التالية :

أفعال الإنسان في الدنيا تحصل بواسطة الصورة المثاليَّة	١٣٥
الصورة المثاليَّة متَّحدة بيدن الإنسان	١٣٧
دلالة الآيات القرآنيَّة على الحياة البرزخيَّة	١٣٩
الورود في البرزخ يحصل بعد العبور من الدنيا مباشرةً	١٤١
كلمات النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله على الحياة البرزخيَّة	١٤٣
تشيع رسول الله لسعد بن معاذ ، و كلامه مع أمِّ سعد	١٤٥
مكاشفة للمرحوم النراقيِّ و كلامه مع ميّت دُفن حديثاً في وادي السلام	١٤٧
مائدة عالم الملكوت التي هبطت في محراب مريم سلام الله عليها	١٥١
المائدة السماوية التي نزلت على الزهراء سلام الله عليها	١٥٣

فهرس المطالب و الموضوعات

المطالب الصفحة

المجلس الثالث عشر:

مفترق طررقى السعادة و الشقاء يصبح فى البرزخ طررقاً واحداً

الصفحة ١٥٧ إلى الصفحة ١٨٣

يشمل المطالب التالية :

- ١٥٩ الآيات التى قرنت الجزاء بالزمان مختصة بعالم البرزخ
- ١٦١ فى عالم البرزخ مثال من الجنة و الجحيم الموجودين فى عالم القيامة
- ١٦٣ يُفتح فى عالم البرزخ باب إلى الجنة أو باب إلى جهنم
- ١٦٥ سؤال الملائكة فى البرزخ لباطن الإنسان
- ١٦٧ لا إمكان هناك للكذب فى عالم البرزخ
- ١٦٩ عدم إمكان عودة النفوس البرزخية إلى عالم الدنيا
- ١٧١ لورّد الكافر إلى الدنيا ، لعاد لما نُهي عنه
- ١٧٣ إحساس الحيوانات بعنف قبض روح الظالمين
- ١٧٥ لا وجود للتفكير المصلحي و المنافع الشخصية فى البرزخ
- ١٧٧ مواعظ المرحوم آية الله القاضى للمرحوم الآملى
- ١٧٩ رحلة فاطمة بنت أسد و تشيع رسول الله لها و تكفينه لها بأحد ثيابه
- ١٨١ صدقات رسول الله إلى فاطمة بنت أسد و خديجة بنت خويلد
- ١٨٣ الأخبار الغيبية لفاطمة الزهراء سلام الله عليها ، و الذين صلّوا عليها

المجلس الرابع عشر:

تجلّى الإنسان و أعماله فى عالم البرزخ فى صورتهم الملكوتية

الصفحة ١٨٧ إلى الصفحة ٢١٦

يشمل المطالب التالية :

- ١٨٩ تجلّى الإنسان فى البرزخ فى صورة ملكوتية

معرفة المعاد (٢)

المطالب	الصفحة
ارتباط الملكوت مع أشكال الموجودات و صورها	١٩١
مقطع من القصيدة المشهورة للميرفندرسكي في اتحاد العالم العلوي والسفلي	١٩٣
عالم الطبع نزول لعالم الملكوت	١٩٥
إراءة الباقر والصادق عليهما السلام لأبي بصير الصور الملكوتية للحجاج	١٩٧
مشاهدة رسول الله الصور الملكوتية لأفراد الأمة ليلة المعراج	١٩٩
الروايات الواردة في ظهور الأعمال في صورها الملكوتية في البرزخ والقيامة	٢٠١
نفقة الملائكة في أبنية الجنة تسبيح المؤمن وتكبيره وتحميده وتهليله	٢٠٣
المؤمن هو الكلمة الطيبة والشجرة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها	٢٠٥
روح المؤمن هي الكلم الطيب ، والعمل الصالح هو الذي يرفعه	٢٠٧
إن الله لا يهدي الظالمين في نهجهم إلى عالم النور والسرور	٢٠٩
قدوم شمعون وصي موسى إلى صفيين في صورته البرزخية	٢١١
خطبة أمير المؤمنين في مسجد الكوفة في الأسبوع الذي استشهد فيه	٢١٣
شهادة مسلم بن عوسجة و بطولته في أرض كربلاء	٢١٥
فهرس التأليفات	٢١٩

الْمَجْلِسُ الثَّامِنُ

النجاة في الإيمان بالله طوعاً واتباعاً أحكام
الذين تعبدنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم الثامن من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
و صلى الله على محمد وآله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ
آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ
ءَامِنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ^١

يتفرد الإنسان من بين جميع الموجودات التي خلقها الله تبارك
وتعالى العلوية منها و السفلية ، من طائفة الملائكة المقربين و سائر
موجودات عالم الطبع والمادة التي أوجدها مثل الحيوانات ؛ بامتلاكه
خاصية و ميزة تختص به ، و هي خضوعه لغرائز متباينة و صفات متضادة ،
و بامتلاكه الاختيار و العقل الذي يمكنه من انتهاج أي سبيل و منحى يشاء ،
وبناءً على هذا الأساس فقد خضع الإنسان للتكليف من قبل الله تعالى^٢.

١- الآية ١٥٨ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢- أنّ طائفة الجن بالرغم من خضوعهم للتكليف و امتلاكهم للاختيار و إمكان
العصيان ، إلا أنّ وجودهم ضعيف جداً قياساً إلى وجود الإنسان ، و يمكن اعتبارهم في

إن الملائكة السماويين الذين أوجدتهم الباري و منح كلاً منهم قدرةً وعلماً و وظيفةً خاصّة ، لا يمكنهم تخطي حدود الوظائف المسندة إليهم ، ولذلك فلا يوجد فيهم أي مجال للرقّي و الكمال ، و هذا الأمر ينطبق على سائر الموجودات الأخرى سوى الإنسان .

أما الإنسان فإنه مكلف بتكاليف ، و يمتلك إرادة و اختياراً ، و قابلية و استعداداً ، و لذا يستطيع عند ما يخضع لتربية صحيحة أن يتأدّب بالأدب الحقيقي و أن يطوي مقام الكمال . و عدم انصياعه لتلك التربية سيؤدي إلى هدر ذلك الاستعداد و إضاعة تلك الجوهره ، و بقائه متحجراً في النقصان ، مستمرّاً لا يستطيع حراكاً .

إن أصل وجود الإنسان يكمن في قابلية الحركة نحو السعادة أو الوقوف و التهالك بين أنقاض الشقاء ، و على هذا الأساس ، فإنّ الجنّة أو النار التي خلقها الله سبحانه و تعالى إنّما هي للإنسان الذي يمتلك الإرادة و الإختيار ، و الذي يتمكّن من تحويل استعداداته إلى مرحلة الفعلية من أجل الوصول إلى كماله ، أو أن يضيعها و يفسدها باختياره و يُغرقها في مستنقع الشهوات والأوهام ، لتصبح مُنتنةً عفنةً .

الإيمان طوعاً و اختياراً هو الذي ينفع الإنسان

مادام الإنسان يمتلك ناصية الاختيار فإنّ باب التوبة مشرع أمامه ، فإنّ إيمانه سيكون مؤثراً و أعماله له صحيحة مقبولة ، أما حين يُغلق سبيل الاختيار فسيجد الإنسان نفسه مضطراً مُجبّراً على اختيار سبيلٍ و منحى

﴿ الحقيقة تابعين للإنسان و خاضعين له .

معين ، فإن التكليف سيسقط آنذاك و الإيمان الذي سيحصل لديه لن يُثمر شيئاً ، و لن يكون له دور و لا أثر إيجابيّ في تكميل النفس و ترقّيها .
إن الإنسان يمتلك طيلة أيتام حياته الاختيار في أن يؤمن أو لا يؤمن ، و في أن يعمل صالحاً أو لا يعمل ، و أن يرتقي درجات معيّنة و يخطو نحو الفعلية الحسنة و الجنّة ، أو أن يحبس نفسه في دركات الجهل و يوقفها على الغرائز و الصفات البهيمة فيبقى مخلداً في جهنّم . ولكن في ساعة عمره الأخيرة ، حين يغرق في سكرات الموت ، حيث تُعدّ تلك الساعة هي الساعة الأخيرة من ساعات الدنيا و الأولى من ساعات الآخرة ، و في تلك اللحظة ترفع الحجب عن عينيه فيرى الحقائق جليّة ببصيرته الملكوتية ، فإنّ الاختيار سيُسلب منه آنذاك ، و لن ينفعه إيمانه بالله و يرسله و بيوم الجزاء ، ولن يضيره ذلك شيئاً ، لأنّ إيمانه عندئذٍ اضطراريّ و خارج عن الاختيار ، كما أنّ توبته غير مقبولة .

يقول سبحانه في الآية الشريفة التي ثلّيت في مطلع الحديث ، و هي الآية ١٥٨ من سورة الأنعام ، السورة السادسة من القرآن الكريم :
لماذا لا يؤمن الناس و لا يعملون الصالحات بالرغم من أنّهم يمتلكون الاختيار و الإرادة الآن ؟ أينظرون مجيء ملائكة السماء ليؤمنوا ؟ أو ينتظرون أن يأتي ربّك ، أو يظهر لهم بعض آيات غضبه و قهره كي يؤمنوا ؟

فحين تأتي بعض آيات عذاب الله و غضبه من عالم الغيب ، لن ينفع الإيمان عندئذٍ أولئك الذين لم يؤمنوا من قبل أو يكتسبوا في إيمانهم خيراً ، لأنّ إيمانهم ذلك سيكون إيماناً صوريّاً و اضطراريّاً ، و سيكون إيماناً بعد تصرّم الدنيا و فقدان الاختيار ، و إيماناً بعد تلف البدن و تحطّم الغرائز و فقدان الإرادة .

بلى ، إنّ هؤلاء القوم لا يؤمنون حتّى يروا شيئاً من عالم الغيب ، بيدّ أنّ إيمانهم هذا لا فائدة له وقت المشاهدة . قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ .
إنكم لم تؤمنوا و لم تعملوا صالحاً ، فانتظروا حتّى تروا أشياء من عالم الغيب ، و سنتظر نحن أيضاً ذلك الوقت الذي سترون فيه أشياء من عالم الغيب ، لنراكم و أنتم تدركون عدم جدوى إيمانكم ذلك و عجزه عن الأخذ بأيديكم إلى النجاة و السلامة .

لقد بين الله سبحانه في أواخر سورة غافر (المؤمن) سيرة الأمم السابقة التي أعرضت عن دعوة أنبيائها و المرسلين إليها ، فكلمّا أبلغهم الأنبياء رسالات ربّهم و وصفوا لهم سبيله و دعوهم إلى الأعمال الحسنة ردّوا عليهم بقولهم : إنّ كلامكم هذا لا ينفعنا بشيء ، فنحن نريد أن نرى شيئاً ما عياناً لنؤمن به و يجب أن يكون شيئاً غيبياً يُرى بالعين ، يجب أن نرى العذاب مثلاً ، و أن نرى المَلَك ، و يجب أن نرى الله تعالى ، وإلاّ فإننا لن نؤمن أبداً ، إذ سيتنافى مع إيماننا بشيء لا نراه وإقامة عقائدنا على أساس أقوال نبيّ من الأنبياء .

و مهما أثبت الأنبياء لتلك الأمم بالمنطق و البرهان أنّ الأمر ليس كما تتصوّرون لم يدعنوا ، و مهما قالوا لهم : إنّ الله عزّ شأنه قد منحكم الوجدان و الفطرة ، و منّ عليكم بالعقل و التفكير ، فزينا أقوالنا و دعوتنا بهذه الموازين التي منحكم الله إياها و شخّصوا بأنفسكم صحّة كلامنا ؛ فإنّهم لم يغيروا الكلام أنبيائهم آذاناً صاغية ، حتّى جاءهم عذاب الله و هم في كفرهم و إنكارهم ، فأبادهم و أنهى وجودهم .

لقد كانت تلك الأمم تؤذي الأنبياء و تخرجهم من ديارهم . و تعذبهم و تقتلهم و تنشرهم وسط الأشجار بالمناشير ، و تجعلهم يفرّون هائمين في البراري والجبال ، و تُلحق بهم أنواع الأذى ، و لم تكن تلك الأمم مستعدة

أبدأً للتسليم أمام أمر الحق ، و لا للتأمل و التفكير في أقوال الأنبياء و عرضها على منطق العقل و ميزانه .

وكان الأنبياء يدعون ربهم أن : اللهم سئمنا هؤلاء الطغاة والمتمردين و عيل صبرنا منهم ، فأنزل بهم اللهم أمرك و قضاءك . فكان الله يُنزل عذابه آنذاك على هيئة الريح العاتية و الطوفان و المرض و الموت و الزلازل الشديدة و الخسف و انشقاق الأرض و الغرق و المسخ و سائر أنواع العذاب المذكورة في القرآن الكريم .

على أن العذاب رُفع عن أمة نبينا من بين جميع الأمم ، فصارت ببركة وجوده المقدس مصونة من العذاب السماوي و الأرضي . فقد ورد في الآية ٣٣ من سورة الأنفال :

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ .

فلقد كان الأنبياء في حال مواجهة و صراع و جدال دائم مع أممهم ، وكانوا يدعونهم إلى عالم الغيب و الحق ، بينما كانت أممهم تعتمد على المال و الثروة و القدرة و على غرورهم بعلومهم و باطلهم ، وكانوا يعولون على هذه الأمور و يمتنعون عن التسليم و الانقياد للحق .

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ حُدُّوا وَكْفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ١ .

لقد كانوا يمتلكون الإرادة و الاختيار ، و كان الأنبياء عليهم السلام

١- الآيات ٨٣ إلى ٨٥ ، من السورة ٤٠ : غافر .

يذهبون إليهم فينصحنونهم برفيق القول و ليّنه و يعظونهم ، إلا أنّهم لم يُصغوا إليهم أبداً ، وكانوا يُعَوّلون على علمهم ، وكما وصفهم القرآن : فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، وكانوا يخاطبون الأنبياء : إنّ كلامكم لا ينفع شيئاً ، فأنتم تقولون إنّكم تخبرون عن الغيب و عن الله ، فأين هو عالم الغيب يا ترى ؟ و من هو الله ؟ إنّنا نمتلك علماً و منهجاً ، و قد درسنا في الجامعة و تخصصنا في فنون و فروع معيّنة ، و لقد فجّرنا الذرّة ، و تفحصنا جميع الأمراض و اكتشفنا حقيقة الميكروب ، و لقد توصلنا إلى حلّ المعادلات من الدرجة الثالثة ، فنحن نُعَوّل على قدراتنا و علومنا التي نمتلكها . و هكذا فقد كان أولئك مغرورين بعلومهم هذه التي يمتلكونها ، فرحين جذلين بها لدرجة أنّهم لا يتصورون وراءها شيئاً ، ولم يكن غرورهم واستكبارهم ليسمح لهم أن يدركوا أنّ هناك علماً أرقى و أسمى و هو علم الأنبياء .

تعاليم الأنبياء والأحكام الإلهية ينبغي قبولها تعبداً لا بالدليل و الفلسفة

إنّ هؤلاء المساكين لا يدركون أنّ علومهم قياساً للعلوم الحضوريّة و الشهوديّة للأنبياء عليهم السلام ليست إلا قطرة في مقابل البحر ، بل ينبغي عدّ تلك العلوم أمام علوم الأنبياء كالصفر مقابل العدد غير المتناهي . لذا يجب التسليم أمام الحق ، و يجب التسليم أمام علوم النبيّ و السير في مقام العبوديّة و نهجه .

إنّ هذه العلوم التي يعتمد عليها البشر هي العلوم الظاهريّة و الطبيعيّة و الماديّة التي اكتسبها بحواسّ العين و الأذن و عن طريق قابليّاته الذهنيّة و الفكريّة ؛ لكنّ العلوم التي جاء بها الأنبياء من عالم الغيب و السرّ فهي

علوم مجردة و لها السيطرة و الغلبة على العلوم الطبيعية ، كما أنّ الأفعال التي يقوم بها الأنبياء لا يمكن قياسها إلى أفعال الآخرين .

لذا يجب على البشر أن يكون خاضعاً و خاشعاً أمام الأنبياء ، لا أن يتساءل : ما هي فلسفة هذه الآية من القرآن الكريم ؟ إن علمت ذلك قبلتها و إلا رفضتها . فهذا المنطق خاطئ و غير صحيح .

لأنك إذا فهمت فلسفتها فقبلتها فإنك لم تقبل الآية ، و لم تقبل كلام رسول الله ، بل قبلت فهمك أنت ، و كنت معتمداً على نفسك معولاً عليها ، و لم تكن إذ ذاك قد استمددت القوة من سرّ النبي و قلبه ، كما لم تكن قد صافح أنفاسك أريج فاح من عطر العلوم الباطنية .

أما من يتبع النبي و يؤمن بآفته رجل إلهي يرتبط قلبه بالعالم العلوي ، و أنّ كلّ ما يلفظه صدق يمثل عين الحقيقة و الواقع ، فهم ذلك منه أم لم يفهمه ، فإنّ مثل هذا الشخص سيتقدّم في مسيرته مستلهماً القوة من باطن النبي .

و هكذا فإنّ أساس تعاليم الدين يقوم على التعبد ، حتّى لو أدرك الإنسان فلسفة تلك المطالب و حكمته ، لكنّه لو كان قبلها من الأنبياء بعنوان التعبد لكان ذلك أفضل له و أمثل .

و أساساً فإنّ مدرسة الأنبياء و منهجهم يقومون على النزوع إلى الحقائق ، و الإستفاضة من عالم الباطن و الغيب ، و الدعوة إلى الحقائق و الواقعيات ، و على أساس الخروج من الذات و النفس و الارتباط بالله و الحق .

و لو تقرّر أن يقيس الإنسان جميع علوم الأنبياء بعلومه و فكره و ذوقه ، فيقبل منها ما يعجبه و يرفض ما يعجبه ، فيا للويل عندئذ ! لكل فردٍ من أفراد البشر ذوقٌ و أسلوبٌ و فكرٌ و طريقة عمل و على هذا

ينبغي أن يكون هناك بعددهم وعدد أفكارهم فلسفات مختلفة في تناول أيديهم تتفق وفهم كلّ منهم، وهو أمر محال. وإجمالاً فإنّ جميع أولئك الذين أرادوا قياس التعاليم الإلهية بفكرهم ووزنها بعلمهم قد بقوا مخلصين في عالم الغرور والإستكبار، واحترقوا في جهنّم العاجلة بنار آرائهم الباطلة.

أما الذين اعترفوا بنورانية تعاليم الأنبياء و سلّموا إليهم و صاروا من أتباعهم المخلصين المقتفين لآثارهم، فقد انكشفت الحقائق لهم فأدركوا أسرار الأحكام وفلسفتها وحكمتها من مبدأ العالم.

و للمرحوم صدر المتألّهين كلام شيق في أنّ الأحكام الشرعيّة تعبدية ينبغي قبولها بلا مناقشة و بلا إدراك لفلسفتها و أسبابها، يقول في مقدّمة «الأسفار»:

«وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كَثِيرًا مِمَّا ضَيَّعْتُ شَطْرًا مِنْ عَمْرِي فِي تَتَبِعِ آرَاءِ الْمُتَفَلِّسَةِ وَ الْمُجَادِلِينَ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَ تَدْقِيقَاتِهِمْ وَ تَعَلَّمَ جَرَبَزَتِهِمْ فِي الْقَوْلِ وَ تَفَنَّنَهُمْ فِي الْبَحْثِ حَتَّى تَبَيَّنَ لِي آخِرُ الْأَمْرِ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَ تَأْيِيدِ اللَّهِ الْمَنَانِ أَنَّ قِيَاسَهُمْ عَقِيمٌ وَ صِرَاطُهُمْ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ، فَأَلْقَيْنَا زِمَامَ أَمْرِنَا إِلَيْهِ وَ إِلَى رَسُولِهِ النَّذِيرِ الْمُنْذِرِ، فَكَلَّ مَا بَلَّغْنَا مِنْهُ أَمْنًا بِهِ وَ صَدَّقْنَاهُ وَ لَمْ نَحْتَلْ أَنْ نَخْتَلِ لَهُ وَجْهًا عَقْلِيًّا وَ مَسْلَكًا بَحْثِيًّا، بَلْ اقْتَدَيْنَا بِهِدَاهُ وَ انْتَهَيْنَا بِنَهْيِهِ، امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: مَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا^١. حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِنَا مَا فَتَحَ، فَأَفْلَحَ بِبَرَكَةِ مُتَابَعَتِهِ وَ أَنْجَحَ»^٢

وكذلك قال العلامة الطباطبائي مدّ ظلّه^٣ في المجلّد الثامن من تفسير

١- الآية ٧، من السورة ٥٩: الحشر.

٢- الأسفار، الطبعة الحجرية، ج ١، ص ٤؛ والطبعة الحروفية، ج ١، ص ١١ و ١٢.

٣- الكتاب مؤلّف زمن حياة العلامة (ره)، و قد آثرنا المحافظة على تعبير المؤلف.

«الميزان» ، ص ٢٤ ، ذيل الآية الشريفة من سورة الأعراف : قَالَ مَا مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ^١»
 «و بالجملة هو سبحانه الله الذي منه يبتدئ كل شيء ، و إليه يرجع كل شيء ، فإذا خلق شيئاً و حكم عليه بالفضل كان له الفضل و الشرف واقعاً و بحسب الوجود الخارجيّ ، و إذا خلق شيئاً ثانياً و أمره بالخضوع للأول كان وجوده ناقصاً مفضولاً بالنسبة إلى ذلك الأول ، فإن المفروض أن أمره إمّا نفس التكوين الحقّ أو ينتهي إلى التكوين ، فقله الحقّ و الواجب في امتثال أمره أن يُمتثل لأمره ، لا لأمره مشتمل على مصلحة أو جهة من جهات الخير و النفع حتى يعزل عن ربوبيّته و مولويّته و يعود زمام الأمر و التأثير إلى المصالح و الجهات ، و هي التي تنتهي إلى خلقه و جعله كسائر الأشياء من غير فرق.»

و إجمالاً فقد كانت الأمم السابقة تقول لأنبياؤها كهذا القول (قول إبليس) : إِنَّا نَمْتَلِكُ عِلْماً وَ فِكْراً نَعْتَمِدُ عَلَيْهِ وَ نَفْرَحُ بِهِ ، فَمَا حَاجَتُنَا لَكُمْ ؟ و كانوا يسخرون بما جاء به الأنبياء عليهم السلام و يتصوّرون اتّباع الآراء و الأفكار المرتبطة بعالم الغيب و التي كان يأتي بها أولئك الأنبياء أمراً صبيانياً و جهلاً .

وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ . لقد أحاطت بهم تلك التهديدات و الوعيد الذي طالما سخروا به ، و شملتهم نتيجة أعمالهم و صاروا مورد سخط الله و عذابه .

لقد جاءهم عذاب الله فخطبهم سبحانه أن تعالوا و ارفعوا عنكم هذا العذاب بعلمكم و غروركم القوميّ و خلّصوا أنفسكم منه ! و أنتى لكم

١- الآية ١٢ ، من السورة ٧ : الأعراف .

الخلاص ، فقد غشيكُم العذاب و أخذ بتلايبكُم ، تلك الريح المسخرة من قبل الله تعالى و المأمورة بإهلاك قوم عاد الذين أنكروا على نبيّهم هود على نبينا و آله و عليه الصلاة و السلام ما جاءهم به من عند الله سبحانه .

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ .^١

و أتى لهؤلاء الناس أن يحذروا بعلمهم من تلك الريح المسمومة المهلكة التي تعصف متتابعة فتبيد من تصيبه ؟ تلك الريح المسخرة من قبل الله على قوم عاد لوحدهم دون غيرهم . و كيف يمكنهم المواجهة ؟ وما نفهمهم التحفظ على أنفسهم و حفظها ؟

و لقد كان قارون من قوم موسى على نبينا و آله و عليه الصلاة و السلام ، فمنّ الله عليه بالأموال و الذخائر ممّا تنوء بحمل مفاتيح كنوزه العصبية و الجماعة القويّة ، بيد أنّه ظلم قومه ، و أعرض صفحاً عمّن نصحه منهم بالابتعاد عن الغرور و العُجب ، و بالإحسان إلى الناس و الرفق بهم ، و بأن لا يفسد في الأرض ؛ و أشاح بوجهه عمّن وعظه بالإنفاق على الضعفاء و اليتامى و المساكين و الرفق بهم ، و كان ردّه عليهم أن :

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي .^٢

و لم يكن في علمه أنّ علماً و قدرةً كهذين لا يزنان عند الله جناح بعوضة ، و لم يدر في خلده أنّ الله مُهلك المستكبرين :

أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مَنَ الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ .^٣

١- الأيتان ٧ و ٨ ، من السورة ٦٩ : الحاقة .

٢- الآية ٧٨ ، من السورة ٢٨ : القصص .

٣- نفس الآية السابقة .

حتى وصل في تكبره و بطّره و نعمته و قدرته إلى حيث صار قومه يحسدونه و يغبطونه ، و إلى حيث صار عامّة الناس يحسدون جاهه و جلاله و مقامه و عظمته ، ثم نزل عليه عذاب الله فجأة فخُسِف به و بثروته و قصره جميعاً ، فلم يستطع أحد أن ينصره أو يستخرجه من الأرض التي ابتلعتة ، لا علمه و لا قدرته و لا أعوانه و لا أنصاره .

فَخُسِفْنَا بِهِ ۚ وَ بَدَارِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ١ .

و لقد عمّه الهلاك و الشقاء حتى صار الذين يحسدونه بالأُمس يقولون الحمد لله إننا لم نكن مكان قارون .

و لقد تحرّك فرعون خلف موسى و أتباعه و لاحقهم ، و قال إنّ النيل قد انشَقّ لموسى و أمته فعبر هو و أتباعه ، و سينشَقّ أيضاً لي و لجيشي كي أعبره أنا الآخر فأبيد موسى و قومه . و لم يعلم أنّ الماء كان مستخراً مأموراً بالانشقاق لموسى و أتباعه لا لفرعون و جيشه . فقد كانت مأمورية الماء وظيفته أن ينعقد عليهم و ينطبق ، و هكذا ابتلعه الماء هو و جنده فأغرقوا أجمعين .

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ . حين كان العذاب و البأس و الشدة تنصب من قِبَلِ الله تعالى فتُغلق عليهم سبيل الفرار ، و حين كان الأمر يصبح مقضياً لاخيار فيه ، ليس فيه اختيار لفعل الشيء أو تركه ، و لا للطاعة أو المعصية ، و لا للكفر أو الإيمان ؛ فإنّهم كانوا يرون أنفسهم مضطّرين للقبول فيقولون : ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . لقد كفرنا بما كنّا نعتقد فيه مقابل الله ، كفرنا بقوّتنا و عِلْمنا و قدرتنا ،

وجعلناها جميعاً تحت أقدامنا ، بيد أن هذا الإيمان إيمان لا طائل وراءه .
فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا .

فلم يكن هناك مفرّ آنذاك من الإيمان ، و لم يكن هناك من ملجأ غيره ، و حين تُغلق في وجه الإنسان جميع السبل فيجد نفسه مضطراً بائساً ، فإنّ ذلك الإيمان الاضطراريّ لن يسوقه إلى الجنّة ، و لن يجعله مؤمناً ، كما لن يجعل قواه الوجوديّة معتدلة متزنة ، أو يُدخله في المدينة الفاضلة ثم ينزل به عذاب الله جزاءً وفاقاً لعمله فيصيبه بالهلاك و البوار .

سُنَّتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ .

إنّ اختيار الإنسان سيُسلب منه في آخر ساعات حياته ، كما أنّه سيفقد إرادته ، و آنذاك سيزاح الستار جانباً و لن ينفع الإنسان إيمانه النابع من البؤس و الهلاك .

حينما ترفع الحجب و يرى الإنسان عاقبة أعماله ، فذاك وقت الفعلية و موعد انتهاء مرحلة الاستعداد و القابلية ، تلك هي لحظة ابتداء الظهور و العلن و انتهاء مرحلة الخفاء و الكتمان .

سيرى الإنسان في تلك اللحظة أعماله مجسّمة أمام ناظريه ، فيلحظ الجنايات التي اقترفها ، و الجرائم التي ارتكبها ، و القبائح التي بدرت منه ، و سيرى العصيان و التمرد و المواجهات التي قام بها مقابل النبيّ ، و سينظر المظالم و الاعتداءات التي اجترحها فأعقبت له الانغماس في الظلمات و الغرق في الطوامير ، و كلفته اجتياز العقبات و المتاهات و عبور المنعطفات الموحشة الوخيمة ، آنذاك سيجد ملائكة الغضب مستعدين متأهبين لقبض روحه بأشقّ الوسائل ، ثمّ يسوقونه معهم إلى أسوأ الأماكن غريباً وحيداً عاجزاً .

آنذاك سيرى الإنسان المجرم المختار - الذي لم ينتفع بكلّ ما قيل له

في الدنيا - نفسه في يد قدرة الخالق و في قبضة قهر و ظهور مقام الجلال ،
و سيقول : لقد آمنتُ ، آمنتُ بالله و أشهد أن لا شريك له و لا عديل ، بيده
المُلْك و هو على كل شيء قدير . فينهال الملائكة المحشودون المراقبون
على رأسه بدبابيس الحديد قائلين له :

أجنايةُ هناك و إيمانُ هنا ؟! أخيانة هناك و إيمانُ هنا ؟! أكفرُ و شركُ
و زندقَةُ هناك و إيمانُ هنا ؟! هيهات ، إنك لم تؤمن حين امتلكت الوسائل ،
و الأثاث و الأسباب ، و حين امتلكت البدن و العلم و القدرة و سلامة
المزاج و الأمان و فراغ البال ، أفتريد الآن أن تؤمن بعد أن تعطلت الوسائل
و صار البدن كالخشب المستند اليابس ، و بعد أن حلّ النسيان مكان العلم ،
و تبدلت القوة عجزاً ، و بعد أن داهمتك الأمراض من كل صوب فرأيت
نفسك أمام الغضب و القهر وجهاً لوجه ؟!

لا فائدة من هذا الإيمان ، و لن يحلّ لك من أمرك ما أشكل ، و لن
يضيرك نفعاً أو تأثيراً في رفع العذاب أو الخلاص من العواقب الوخيمة
لسوءِ فِعالِك .

تا ز دستت ميرسد كارى بكن

پیش از آن کز تو نیاید هیچ کار^۱

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ
ءَايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ
ءَاْمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ^۲.

۱- يقول : فَلْتَقْدِمُ مَاذَا بِإمكانك أن تفعل شيئاً ، قبل أن تقصر يدك عن فعل أي

شيء .

۲- الآية ۱۵۸ ، من السورة ۶ : الأنعام .

حين لاحق فرعون و جنده موسى و من معه ليستأصلوهم بسيف الحقد ، و وصل موسى إلى شاطئ النيل ، و لم يكن له مفرّ يلجأ إليه من جند فرعون المحدثين به من كلّ صوب و حذب إلا أن يتقدّم إلى الأمام ، أي إلى نهر النيل ، فانشقّ له الماء بأمر الله عن طريق يَبَس تحيطه الأمواج العالية من جانبيه ، فألقى موسى و أتباعه بأنفسهم في النيل فسلكوا فيه ، و آنذاك وصل فرعون و جنده و شاهدوا - و ياللعجب - موسى و قومه يعبرون وسط النهر ، فقالوا : لا عجب في الأمر ، فسنعبر كما عبروا فندرّكهم ، و ما أن اقتحموا النهر حتى انطبق الماء عليهم .

حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ ۚ
بَنُوءِ إِسْرَءِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .^١

فوضع جبرئيل شيئاً من حمأ البحر في فمه و قال :
ءَالْنِ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ .^٢
فَأَلَيْتُمْ نُنَحِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ .^٣

اليوم سنخطف نفسك و ننتزعها و نصطحبها إلى حيث محلّ فعلية أعمالك التي سبقَتْ منك و إلى حيث عاقبتها ، كي ترى بعينك ما سيحلّ بك ، لكننا سنخرج بدنك من الماء فنلقيه إلى الساحل ، فيأتي الناس ويشاهدوا بدنك المتعفن كيف اكتنفته الذلّة و الحقارة ، فلا يقولنّ أحداً إنّ فرعون التحق برجال الغيب في وسط اليمّ أو إنّه عرج إلى السماء .

١- الآية ٩٠ ، من السورة ١٠ : يونس .

٢- الآية ٩١ ، من السورة ١٠ : يونس .

٣- الآية ٩٢ ، من السورة ١٠ : يونس .

كيفية قبض أرواح الظالمين و استثناء المستضعفين

يقول الله سبحانه في قرآنه الكريم في الآية ٩٧ من سورة النساء في

كيفية قبض أرواح الظالمين :

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا .

يقول ملائكة قبض الأرواح لأولئك الذين ظلموا أنفسهم حين يقبضون أرواحهم : فيم كنتم ؟ فيُجيبون : كنا مستضعفين في الأرض ، يتسلط علينا طغاة زماننا ، و لم نكن نمتلك اختياراً و إرادة لنسعى لكسب المعارف الإلهية و العلوم الحقّة ، و لنحصل على العلوم الحقيقية لنكفّ بذلك عن ظلمنا لأنفسنا و للآخرين .

فيردّ عليهم ملائكة قبض الأرواح : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا من أماكنكم التي كنتم فيها تحت سيطرة الظالمين و تعدّيتهم ، و تسكنوا في أماكن و منازل بعيدة عن تسلط أولئك الطغاة ، فتشغلوا أنفسكم باكتساب المعارف الإلهية و بالعبادة و السير في المداخل و المعارج الروحية لأنفسكم ؟ لِمَ لَمْ تخرجوا من دياركم و تهاجروا إلى حيث يمكنكم حفظ دينكم ؟ ولأنهم لن يحروا جواباً ، ولأنهم سيحكمون بمنطق الملائكة ، فإنّ مأواهم سيكون جهنّم ، و ساءت منزلاً ومصيراً .

إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ١ .

١- الآيةان ٩٨ و ٩٩ ، من السورة ٤ : النساء .

إلا المستضعفين الذين يفتقدون قوة الإدراك حقيقة . فلا يهتدون سبيلاً ، أو لا يمكنهم الخروج و التمرّد على سيطرة الأب و الأم ، ولا يمتلكون قدرة الخروج على تعليم الأستاذ أو على مخالفة سلوك الجوّ السائد و القوى الحاكمة ، أو أولئك النساء و الأطفال الذين يخضعون لسيطرة الأزواج و المربّين الذين يعلمونهم ما أرادوا و يوجهونهم حيث شاءوا ، فلا عقل و لا دراية لهم يمكنهم بها التمييز بين السقيم و الصحيح والتخلّص من التقليد الخاطيء ، لأنّ هؤلاء لا يدركون مسألة احتمال خطأ المنهج الذي ينهجونه ليكونوا في صدد إصلاحه و تقويمه .

المراد بالمستضعف في منطق القرآن و عُرفه

هؤلاء الأفراد يُدعون في المنطق القرآني بالمستضعفين ، و عسى أن يعفو الله سبحانه عنهم و يتجاوز عن ذنوبهم إن لم تخالف العقل و لم تكن من قبيل الظلم و الاعتداء و الجرائم بحق الآخرين أو خيانتهم . و هؤلاء المستضعفون هم أولئك الذين لم يمتلكوا بأنفسهم القدرة على تشخيص دين الحق ، و الذين لم يفيدوا شيئاً و لم ينتفعوا من مطالعة الكتب الحقّة ، كما أنّهم لم يلتقوا بالعلماء الربّانيين و الزهّاد الحقيقيّين ذوي الضمير الصافي اليقظ الذين تخطّوا حقيقةً هوى أنفسهم ، ليحرّكهم نهج أولئك و سلوكهم ، و لتهزّهم أرواحهم المتعالية فيضعوا أقدامهم على الصراط المستقيم و يفوزوا بالمقصود الأصيل .

أمّا أولئك الذين يمتلكون القابليّة و الاستعداد لمعرفة الصراط المستقيم ولقاء العالم الربّاني و المربّي الإلهي ، و القدرة على المطالعة والتدبّر في القرآن الكريم و السنّة النبويّة و منهج الأئمّة الطاهرين ، و الذين

يتملكون إمكانية الخروج على لجام الطاعة و العبودية لطواغيت زمانه و ظالميه ، و على كسر طوق التقليد الأعمى ، و على الالتحاق بمقام الع الحقيقي ، و التبعية و التقليد لعالم و معلم إلهي ، إلا أن غرورهم و غفلتهم و نوازعهم الشهوية و المادية أبعدتهم عن عالم المعنى و سلكت بهم لهذا سبيل الضلال .

فليسوا من المستضعفين ، بل هم من الظالمين و من أهل جهنم و سيؤاخذون و يعاقبون على عقائدهم الباطلة و صفاتهم الرذيلة و أعمالهم الظالمة غير المقبولة ، و لن يقبل ملائكة قبض الأرواح لهم عذراً منهم حاولوا جعل أنفسهم في مصاف المستضعفين ، و سيسوقونهم إلى جهنم زمرا .

ثم يقول سبحانه بعد هذه الآيات ، أي في الآية ١٠٠ من هذه السورة
وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافًا كَثِيرًا وَ سَعَةً وَ مَرٍ
يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ
أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا .

فلا يقولن أحد إنني لا أستطيع الهجرة لأتني ولدت هناك و ترعرعت ، و لأن هناك قومي و عشيرتي و أصدقائي و عملي و منزلي و حديقتي و تجارتي و زراعتي و زوجتي و أولادي و سائر شؤوني ، لذا فإن إقامتي هناك حيث تُرتكب المنكرات و الفحشاء و حيث يطغى الإعلام السيء و تطبق الأحكام الظالمة و الجائرة أمر له حكم الضرورة ، و عليه فإن الأمر خارج من عهدي و لست مسؤولاً عن عدم تطبيق الأحكام الإلهية .

و هذا المنطق خاطئ ، لأن الإنسان الملتزم و الحامل للمسؤولية ، و الواعي و النبیه الذي يرى سعادته في الكمال الروحي و في الارتقاء إلى أعلى درجات الإنسانية يجب أن يتحمل المشاكل و الصعاب التي تعترضه أول

الطريق بعزمه الراسخ وإرادته التي لا تتزعزع ، و أن يختار لنفسه مكاناً مناسباً يضمن إمكان السير الروحي و اقتناء الكمال المعنوي و حفظ و حراسة نفسه و متعلّقيه و أولاده من الفساد و الضياع ، و أن لا يُعنى بموانع و صوارف الخوف و الهلع التي قد تصرفه عن غايته .

و إذا ما تحقّق في داخله عزمٌ كهذا فإنّ الله سبحانه سيهديه إلى أمكنة تناسبه و سيُخرجه من حيرته . و لو افترضنا أنّه لن يصل إلى هدفه فإنّه سيكفيه أنّه خرج من بيته مهاجراً إلى الله ، وأنّه قد تخطّى نفسه و صار في المسير و الحركة و البحث و السعي في سبيل التعلّم ، و صُهر في بوتقة شوق و محبّة الوصول ، هذه المطالب يبيّنها ملائكة قبض الأرواح للأفراد الظالمين ، ثمّ إنّه يسوقونهم ولكن بأيّ وضع و كيفيّة و هيئة ؟

ورد في رواية في «عيون أخبار الرضا» عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام يروي فيها الإمام عن آبائه عن الصادق عليه السلام أنّ قبض أرواح الكفار هو :

كَلَسَعَ الْأَفَاعِي وَلَدَغَ الْعَقَارِبُ أَوْ أَشَدَّ . قِيلَ : فَإِنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ : إِنَّهُ أَشَدُّ مِنْ نَشْرِ بِالْمَنَاشِيرِ وَ قَرَضَ بِالْمَقَارِضِ ، وَ رَضَخَ بِالْأَحْجَارِ ، وَ تَدَوَّيرِ قُطْبِ الْأَرْحِيَةِ عَلَى الْأَحْدَاقِ ، قَالَ : كَذَلِكَ هُوَ عَلَى بَعْضِ الْكَافِرِينَ وَالْفَاجِرِينَ أَلَّا تَرَوْنَ مِنْهُمْ مَنْ يُعَايِنُ تِلْكَ الشَّدَائِدِ . فَذَلِكَ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا إِلَّا مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا .^١

١- أوردها في نسخة «بحار الأنوار» بلفظ «يُعاني» .

٢- «العيون» ، الطبعة الحجرية ، ص ١٧٨ ؛ و يروي الصدوق ص ١٧٨ عن محمّد بن القاسم المفسّر المعروف بأبي الحسن الجرجاني قال : حدّثنا أحمد بن الحسن الحسيني ، عن الحسن بن علي ، [عن أبيه عن الجواد] عن أبيه الرضا ، عن أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال : قيل للصادق عليه السلام : صف لنا الموت . قال : للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس به

إرسال الحق تعالى ربحانين باسم المُسَخِيَةِ و المُنْسِيَةِ لقبض روح المؤمن المجلس الثامن

بلى إنّ هذا القسم من أنواع العذاب في سكرات الموت مُختَصّ بالظالمين و الحُكّام الجائرين و الكفّار من ذوي القلوب المتحجرة القاسية و البعيدين عن الإنصاف و العدالة .

أمّا المؤمنون الذين اعتقدوا بالله و سلّموا لأمره و عمروا لأنفسهم عالم الوجدان و الآخرة ، و لم يتخطّوا دائرة الإنصاف قدماً واحداً ، و لم يتعدّوا على حقوق الآخرين . و الذين سعوا و جاهدوا لإعلاء كلمة الحقّ و التوحيد المقدّسة ما وسعهم ، فصاروا في زمرة أولياء الله و محبّيه ، و في مصاف المنزهين و المخلصين ، فإنّ قبض أرواحهم سهل يسير لا حدّ ليُسره و سهولته .

يروى الشيخ الطوسي في كتاب «الأمالى» عن الشيخ المفيد ، عن عمرو بن محمّد الصيرفي ، عن محمّد بن همام ، عن الفزاري ، عن سعيد بن عمر ، عن الحسن بن ضوء ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال :
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ :
 مَا مِنْ شَيْءٍ أَتَرَدَّدُ عَنْهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَ أَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، فَإِذَا حَضَرَهُ أَجَلُهُ الَّذِي لَا يُؤَخَّرُ فِيهِ بَعَثْتُ إِلَيْهِ بَرِيحَانَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ تُسَمَّى إِحْدَاهُمَا الْمُسَخِيَّةُ وَالْأُخْرَى الْمُنْسِيَّةُ ؛ فَأَمَّا الْمُسَخِيَّةُ فَتَسْخِيهِ عَنْ مَالِهِ ، وَ أَمَّا الْمُنْسِيَّةُ فَتَنْسِيهِ أَمْرَ الدُّنْيَا .

و يروى متن هذه الرواية في كتاب «الكافي» و «معاني الأخبار» بسنديهما المتصل عن الصادق عليه السلام عن رسول الله صلّى الله عليه

«لطيبه و ينقطع التعب و الألم كلّه عنه ، و للكافر كلّسع الأفاعي .

١- «بحار الأنوار» ، طبعة الآخوند ، ج ٦ ، ص ١٥٢ . أمّا في نفس «أمالى الطوسي» ، طبع النجف ١٣٨٤ هجرية ، المجلّد الثاني ، ص ٢٩ فقد وردت الرواية بهذا اللفظ : ما من شيءٍ أَتَرَدَّدُ فِيهِ مِثْلَ تَرَدُّدِي عِنْدَ قَبْضِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ ...

و آله :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا أَقْسَمَ عَلَى رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ لَا يُؤْمِنَهُ مَا أَمَاتَهُ أَبَدًا ، وَلَكِنْ إِذَا حَضَرَ أَجَلُهُ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ رِيحَيْنِ إِلَيْهِ .^١

أما المراد بالتردد والتأخير في هذه الرواية فهو تردد الله في مراتب الأسماء الجزئية ، وإلا فإن التردد في ذاته المقدسة جلّ وعزّ ليس معقولاً ، كما أنّ التردد في الأسماء الجزئية هو الإبطاء في مقام العمل وفي مقام التغيير إلى الفعلية . وبإجمال فإنّ هذا المؤمن لا يرغب في الرحيل عن الدنيا ، والله سبحانه لا يرغب أن يقبض روحه بلا رضاه وخلافاً لرغبته واختياره .

يقول سبحانه : إذا حضر أجل المؤمن بعثتُ إليه بيد ملك الموت ريحانيتين ، تسمى إحداهما المسخية ، مشتقة من مادة «السَخَاء» ، وحين يمسكها المؤمن في يده يعبق عطرها في أنفه فيُسكّرهُ فيسخر عن جميع ماله ، ويخلو وجوده من أيّ علاقة بالمال ؛ والأخرى المُنسية ، مشتقة من مادة «النسيان» ، وحين يُعطّاها المؤمن فإنّ أريج عطرها يُنسيه كلّ ما عدا الله من الأمور الدنيوية ، كالزوجة والولد والعشيرة والأعوان والأنصار والخدم والحشم والاعتبار والجاه وغير ذلك .

هاتان الريحانتان تعبقان وتتضوّعان برائحة الله ، فيسكّرُ من يعبق عطرُ حرمِ الله في مشامه ويدهش فلا يُقيم وزناً في كيانه ووجوده لأيّ شيء في مقابل جمال الحضرة الأحديّة ، فيفدي كلّ ذلك فداء قدم

١- «فروع الكافي» ، كتاب الجنائز ، الطبعة الحيدريّة ، ج ٣ ، ص ١٢٧ ؛ و «معاني الأخبار» ، الطبعة الحيدريّة ، ص ١٤٢ .

المحسوب .

اگر زکوی تو بوئی بمن رساند باد

بمژده جان گرامی به باد خواهم داد^۱

و قد وردت رواية «الكافي» و «معاني الأخبار» بلفظ ريحین بدل ريحانتيں ؛ أي أنّ هناك نسيمين يهتان من الجنة ، و أيّ نسيمين ؟ نيسمان منعشان مبهجان يبعثان النشاط ، ينمحي كلّ شيء بوجودهما و هبوبهما على مشام الروح .

همای اوج سعادت به دام ما افتد

اگر تراگذری بر مقام ما افتد

حباب وار براندازم از نشاط کلاه

اگر ز روی تو عکسی به جام ما افتد

شبی که ماه مراد از افق شود طالع

بود که پرتو نوری به بام ما افتد

ز خاک کوی تو هر دم که دم زند حافظ

نسیم گلشن جان در شام ما افتد^۲

۱- يقول : «إِذَا هَبَّتْ عَلَيَّ الصَّبَا بِنَسَائِمٍ مَعْطَرَةٍ مِنْ حَيِّكَ ، فَسَأُهَبُهَا - لبشارتها بك -

روحي الغالية» .

۲- يقول : «لو مرّ خيالك علينا فإنّ طائر اليمّن و السعادة سيسقط أسير حبائلنا .

و لو انعكس خيالك في كأسنا لقدفّت من الجذل قُبعتي في الهواء كما تتصاعد الفقاعة .

و الليلة التي يطلع فيها قمر المراد من الأفق ، هي الليلة التي سيشرق شعاع نوره على

شرفة دارنا .

و كلّ آن تحدّث فيه حافظ عن تراب حَيِّكَ ، عبت نسائم الحياة و عبير رياضها في

مشامنا» .

هذا وقد روى البرقي في كتابه «المحاسن» هذه الرواية الشريفة بسندين آخرين باختلاف يسير في المتن . الأول عن ابن فضال عن ابن فضيل ، عن أبي حمزة الثمالي :

قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي عَنْ الْمُؤْمِنِ فَإِنِّي أَحِبُّ لِقَاءَهُ وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ فَأَزْوِيهِ عَنْهُ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَأَكْتَفَيْتُ بِهِ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِي وَلَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ إِيْمَانِهِ أَنْسًا لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ .^١

و الثاني عن ابن فضال ، عن أبي جميلة ، عن محمد بن علي الحلبي

قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : لِيَأْذَنَ بِحَرْبٍ مِنِّي مُسْتَذِلُّ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ كَتَرَدُّدِي فِي مَوْتِ الْمُؤْمِنِ ، إِنِّي لِأَحِبُّ لِقَاءَهُ وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ ، فَأَصْرِفُهُ عَنْهُ ، وَإِنَّهُ لَيَدْعُونِي فِي الْأَمْرِ فَأَسْتَجِيبُ لَهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَجْعَلُ لَهُ مِنْ إِيْمَانِهِ أَنْسًا لَا يَسْتَوْحِشُ فِيهِ إِلَى أَحَدٍ .^٢

وهذه الرواية تشابه في مفادها و مضمونها الرواية السابقة ، إلا أن في

مطلعها عبارة :

«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : لِيَأْذَنَ بِحَرْبٍ مِنِّي مُسْتَذِلُّ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ» ويقول في الجملة قبل الأخيرة : «وَإِنَّهُ لَيَدْعُونِي فِي الْأَمْرِ فَأَسْتَجِيبُ لَهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ» .

وهذه الرواية في غاية الأهمية من جهة سندها و متنها ، فهي أولاً

١- «محاسن البرقي» ، كتاب «الصفوة و النور و الرحمة من المحاسن» ، باب الانفراد ،

في طبعة رنگين ج ١ ص ١٥٩ و ١٦٠ .

٢- نفس المصدر السابق .

- من جهة السند - قد رويت بأسانيد مختلفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن زين العابدين و جعفر الصادق عليهما السلام في مثل «المحاسن» و «الكافي» و «معاني الأخبار» .

و ثانياً : فهي من جهة متنها و قوّة دلالتها على جلالة مقام المؤمن و منزلته ؛ تلك الدلالة التي صيغت بأحلى لحن و أرق عبارة ؛ حاكية عن المعاني الدقيقة و الأسرار الخفية ، فعبارة «لِيَأْذَنَ بِحَرْبٍ مِنِّي» لها دلالة على أنّ إهانة المؤمن هي إهانة لله ، تلك الإهانة التي لا تُغتفر و التي تُعدّ من أكبر الذنوب ، لأنّها إعلان الحرب مع الله . سبحانه ، و تدلّ عبارة «وَإِنَّهُ لَيَدْعُونِي فِي الْأَمْرِ» على أنّ دعاء المؤمن لا يُردّ أبداً ، و أنّ له مقاماً عند الله تبارك و تعالى بحيث أنّه مهما أراد من ربّه و في أيّ حال و تحت أيّ شرائط و بأيّ كيفة و مقدار ، فإنّ المعبود سبحانه يمنّ عليه بما طلبه أو بأفضل منه .

كما أنّ عبارة «مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ» من العبارات البديعة و التعبيرات الظريفة التي لم تنقل عن الله عزّ و جلّ في غير هذا المورد ، و يصعب تصوّر الحدّ الذي يظهر فيه مقام لطف الله بالمؤمن و رحمته له ، و أنّ تردّد الله و تفقّده لحال المؤمن يماثل تماماً حال العاشق الذي يتفقّد على الدوام حال المعشوق و لا يرضى أن يلحقه أدنى أذى ، كما يسعى في الوقت نفسه أن لا يصيبه أيّسر انزعاج ، فيجد نفسه متردداً بين هذين الأمرين فهو يبحث عن منفذ و طريق للحلّ .

إنّ المؤمن الذي يخوض على الدوام مُعترك المناجاة و التضرّع و الابتهاال في مسير لقاء الله عزّ و جلّ ، و الذي وضع أقدامه ضمن دائرة المحبّة و العشق ، فرضي بآثار العشق الشديد و الوله و الهيام و التحير عن كلّ شيء غير زيارة حبيبه و لقائه ، و الذي صارت له علاقة خاصّة تربطه

بخالقه في مرحلة الخلوة و الصفاء ، قد صار محبوباً عزيزاً عند الله سبحانه
حتى عشقه الله فصار يعامله وفق أدق أسرار المحبة و خفاياها .
و ما أقرب هذه العبارة للحديث القدسي الآخر القائل :
أَنَا جَلِيسٌ مَنْ جَالَسَنِي ، أَنَا ذَاكِرٌ مَنْ ذَكَرَنِي ، أَنَا غَافِرٌ مَنْ اسْتَغْفَرَنِي ،
أَنَا مُطِيعٌ مَنْ أَطَاعَنِي ^١ .

ستاره ای بدرخشید و ماه مجلس شد
دل رمیده ما را آنیس و مؤنس شد
نگار من که بمکتب نرفت و خط ننوشت
به غمزه مسئله آموز صد مدرّس شد
طرب سراى محبت کنون شود معمور
که طاق ابروی یار منش مهندس شد
بصدر مصطفی ام می نشاند اکنون دوست
گدای شهر نگه کن که میر مجلس شد ^٢

١- «أسرار الصلوة» للحاج الميرزا جواد آقا الملكي التبريزي ، الطبعة الحجرية ، ص ١٠ ؛ والطبعة بالحروف ص ١٩ . ولكن يبدو في الظاهر أنّ ذلك المرحوم قد نقل هذا الحديث على لسان الملك الداعي . كما أنّ المرحوم قد ذكر هذا الحديث في كتابه «المراقبات أو أعمال السنة» ، ص ٣٦ في مراقبات شهر رجب . و أورد السيد ابن طاووس في «الإقبال» أصل الحديث ، كما أورد ذلك المرحوم في أعمال شهر رجب ص ٦٢٨ إلا أنّه لم يذكر عبارة «أنا ذاكر من ذكرني» . و أصل الحديث طبقاً لرواية الإقبال هو : من كتب العبادات عن النبي صلوات الله عليه و آله قال : «إنّ الله تعالى نصب في السماء السابعة ملكاً يقال له الداعي ، فإذا دخل شهر رجب ينادي ذلك الملك كلّ ليلة منه إلى الصباح : طوبى للذاكرين طوبى للطائعين ، ويقول الله تعالى : أنا جليس من جالسني ومطيع من أطاعني وغافر من استغفرني» .
٢- يقول : «تألّق نجم الحبيب وتوهّج فصار شمع مجلسنا و أنيس قلبي النافر الجفول . لقد صار حبيبي الذي ما يمّم قطّ صوب مدرسة و ما خطّ حرفاً .. معلماً بغنجه الفاتن ☞

حضور الأرواح المقدسة لرسول الله و الأئمة الطاهرين عند المحتضر
المجلس الثامن

و تدلّ عبارة «رَيْحَانَتَيْنِ أَوْ رَيْحَيْنِ : الْمُسَخِيَّةِ وَ الْمُنْسِيَّةِ» على أنّ هناك نسيمين يهتبان عليه من جذبات الجمال و الجلال فيدخلانه مباشرة في جزائر الرحمة و الأنس الخالدة ؛ فالمُسَخِيَّة هي جذبة الجمال التي لا يبقى عند المؤمن بطلوعها أثرٌ لأيّ شيء ، فتتلاشى بظهور تلك الجذبة علائق جميع أمواله و ثروته التي كان يعوّل عليها .

أمّا الْمُنْسِيَّة فهي جذبة الجلال التي لا يبقى عند ظهورها قدر وقيمة للعالم و آثارها من التعلّق القلبي و الارتباط بشؤون الحياة .

تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^١.

و قد صرّح المرحوم المولى صدرا في كتاب «الأسفار» أنّ المراد من الإكرام في هذه الآية الشريفة مقام الجمال الذي هو عدلّ الجلال ، و يشمل العطاء و الرحمة^٢.

حضور الأرواح المقدسة لجميع الأئمة و لرسول الله
و الصديقة الزهراء لدى المؤمن عند سكرات الموت

روي عن «تفسير فرات بن إبراهيم» ، عن أبي القاسم العلويّ ، معنعناً

١- لمائة مدرّس .

و غداً فناء طرب المحبّة معموراً حين صار محراب حاجب الحبيب مهندساً له .
لقد صار الحبيب يُجلّسني الآن في صدر المنصّة ، فانظر كيف استحال شحاذ المدينة أمير المجلس!

١- الآية ٧٨ ، من السورة ٥٥ : الرحمن .

٢- «الأسفار» ، الطبعة الحجرية ، ج ٣ ، ص ٢٤ و ٢٥ . و عبارته : «الصفة إمّا إيجابيّة ثبوتية و إمّا سلبية تقديسية» ، و قد عبّر الكتاب عن هاتين بقوله : تبارك اسم ربّك ذي الجلال و الإكرام...».

عن أبي بصير قال : قُلْتُ لأبي عبد الله عليه السلام : جُعِلْتُ فداك يُستكره المؤمنُ على خروج نفسه ؟
قال : لا والله .

قال : قُلْتُ : وكيف ذاك ؟

قال : إِنَّ المؤمنَ إِذَا حضرته الوفاةُ حضرَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وآله وأهل بيته : أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب و فاطمة والحسينُ و جميعُ الأئمةِ عليهم الصلاة والسلام - ولكنْ أَكْثَرُوا عن اسمِ فاطمة - ويحضره جبرئيلُ و ميكائيلُ و إسرائيلُ و عزرائيلُ عليهم السلام .
قالَ : فيقولُ أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام :
يا رسولَ الله إِنَّه كَانَ مَمَّنْ يَحِبُّنَا وَ يَتَوَلَّانَا فَأَجِبْهُ . قالَ : فيقولُ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وآله :

يا جبرئيلُ إِنَّه مَمَّنْ كَانَ يَحِبُّ عَلِيًّا وَ ذُرِّيَّتَهُ فَأَجِبْهُ ، وَ قالَ جبرئيلُ لميكائيلُ و إسرائيلَ عليهم السلامَ مثْلَ ذلك . ثُمَّ يَقُولُونَ جميعاً لملكِ الموتِ : إِنَّه مَمَّنْ كَانَ يَحِبُّ مُحَمَّدًا وَ آلَهُ وَ يَتَوَلَّى عَلِيًّا وَ ذُرِّيَّتَهُ فَارْفُقْ بِهِ .
قالَ : فيقولُ ملكُ الموتِ : وَالَّذِي اخْتَارَكُم وَ كَرَّمَكُم وَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا صَلَّى الله عليه وَ آلَهُ بالنبوةِ وَ خَصَّهُ بالرَّسالةِ لَأَنَا أَرْفُقُ بِهِ مِنْ وَالِدٍ رَفِيقٍ ، وَ أَشْفُقُ عَلَيْهِ مِنْ أَخٍ شَفِيقٍ . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ ملكُ الموتِ فيقولُ : يا عبدَ الله أَخَذْتَ فَكَأكَ رَقَبَتَكَ ؟ أَخَذْتَ رَهْنَ أَمَانِكَ ؟
فيقولُ : نَعَمْ . فيقولُ ملكُ الموتِ : فَبِمَاذَا ؟ فيقولُ : بِحَبِّي مُحَمَّدًا وَ آلَهُ ، وَ بولايتي علي بن أبي طالب وَ ذُرِّيَّتَهُ .

١- «أَكْثَرُوا عن اسمِ فاطمة عليها السلام» ، أي لا تصرّحوا باسمها لئلا يصير سبباً لإنكار الضعفاء من الناس بسبب حضورها عند أجنيبي .

فيقول : أمّا ما كنتَ تحذُر فقد آمنك اللهُ منه ، و أمّا ما كنتَ تَرجو فقد أتاك اللهُ به . افتحْ عينيكَ فانظرْ إلى ما عندك .

قال : فيفتح عينيه فينظرُ إليهم واحداً واحداً ، و يُفتحُ له بابٌ إلى الجنّة فينظرُ إليها . فيقولُ له : هذا ما أعدَّ اللهُ لك ، و هؤلاء رفقاؤك ، أفتحبُّ اللّحاقَ بهم أو الرجوعَ إلى الدنيا ؟ قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : أمّا رأيتَ شُخوصَهُ و رَفَعَ حاجبيهِ إلى فوق مِن قوله :

لَا حاجةَ لي إلى الدُّنيا و لا الرجوعَ إليها . و يناديه منادٍ من بطنانِ العرش يسمعه و يسمع من بحضرته : «يَأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ»^١ إلى مُحَمَّدٍ وَ وَصِيَّهِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ «أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً»^٢ بِالْوِلَايَةِ ، «مَرْضِيَّةً»^٣ بِالثَّوَابِ ، «فَادْخُلِي فِي عِبَادِي»^٤ مَعَ مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ «وَادْخُلِي جَنَّتِي»^٥ غَيْرَ مَشُوبَةٍ^٦.

هناك في تلك الجنّة نورٌ محض ، و حرّيّة محضة ، و راحة محضة خالصة لا يشوبها شيء ؛ أمّا في الدنيا فإنّ أيّ راحة للإنسان مشوبة بنوع من الأذى و التكدير ، السلامة مشوبة بالمرض ، و الراحة مخلوطة بالمتاعب ، و النور مشوب بالظلمة ، و الأمان ممزوج بالقلق ، و الطمأنينة توأم مع الاضطراب و التشويش . لكنّ جميع هذه الجهات التي تسبب تنغيص العيش منتفية في الجنّة ، و ليس هناك إلّا الراحة الخالصة و النور المحض . لذلك فإنّ الإنسان لن يرضى بالعودة إلى الدنيا ، و لن يقبل باستبدال تلك

١- الآية ٢٧ ، من السورة ٨٩ : الفجر .

٢ و ٣ - الآية ٢٨ ، من السورة ٨٩ : الفجر .

٤- الآية ٢٩ ، من السورة : ٨٩ : الفجر .

٥- الآية ٣٠ ، من السورة ٨٩ : الفجر .

٦- «بحار الأنوار» ، طبعة الآخوند ، المجلّد السادس ، ص ١٦٢ و ١٦٣ .

الراحة و فراغ البال و الأنس و الألفة بالعلّيين بالمنقّصات و بالمعاشرة مع أهل السجّين . قال أصحاب سيّد الشهداء عليه و عليهم السّلام : «لن نرجع عمّا عقدنا عليه العزم» . و كان الإمام صلوات الله عليه قد قال لهم :
أَلَا وَ أَنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ ، فَانْطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِمَامٌ ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً^١ .

فقال كلّ واحد من أهله الهاشميين و أصحابه شيئاً في جوابه و أظهروا الخجل [من عجزهم أن يقدّموا غير أرواحهم فداءً له] ، و نهض من جملتهم زهير بن القين فقال : وَاللّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ ثُمَّ نُشِرْتُ ثُمَّ قُتِلْتُ حَتَّى أُقْتَلَ هَكَذَا أَلْفَ مَرَّةٍ وَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلَ عَنْ نَفْسِكَ وَ عَنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ^٢ .

و لقد كانوا يتسابقون يوم عاشوراء في الحرب دفاعاً عن سبط النبيّ ، فقد صارت الحياة لديهم مرّة كالعلم ، و صارت أبدانهم تضيق بأرواحهم الكبيرة ، و كان بعضهم يتوسّل كي يُسمح له بالبراز إلى الحرب .

مقتل عابس بن شيب الشاكريّ يوم عاشوراء

يقول الطبري في تأريخه :

فَوَقَفَ عَابِسُ أَمَامَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَالَ : مَا أُمْسَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ قَرِيبٌ وَ لَا بَعِيدٌ أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ . وَ لَوْ قَدِرْتُ أَنْ أَدْفَعَ الضَّيْمَ عَنْكَ بِشَيْءٍ أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي لَفَعَلْتُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى

١- «الإرشاد» للمفيد ، الطبعة الحجرية سنة ١٢٨٥ ، ص ٢٥٠ .

٢- «الإرشاد» للمفيد ، الطبعة الحجرية سنة ١٢٨٥ ، ص ٢٥١ .

هُدَاكَ وَهُدَى أَبِيكَ ، وَمَشَى نَحْوَ الْقَوْمِ مُصْلِتًا سَيْفَهُ وَبِهِ ضَرْبَةٌ عَلَى جَبِينِهِ
فَنَادَى : أَلَا رَجُلٌ ! فَأَحْجَمُوا عَنْهُ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ أَشْجَعَ النَّاسِ . فَصَاحَ عُمَرُ
بْنُ سَعْدٍ : إِرْضُخُوهُ بِالْحِجَارَةِ ! فَرُمِيَ بِهَا . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَلْقَى دِرْعَهُ
وَمِغْفَرَهُ وَشَدَّ عَلَى النَّاسِ وَأَنَّهُ لَيَطْرُدُ^١ . أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْنِ ، ثُمَّ تَعَطَّفُوا عَلَيْهِ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَقُتِلَ ، فَتَنَازَعَ ذَوُو عِدَّةٍ فِي رَأْسِهِ ، فَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : هَذَا لَمْ
يَقْتُلْهُ وَاحِدٌ . وَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ^٢ .

وكان الوجود المقدس لسيد الشهداء عاشقاً للموت ! فلقد قال في
خطبة أوردتها في مكة المكرمة لما عزم على الخروج إلى الكوفة :

وَمَا أَوْلَهُنِي إِلَى أَسْلَافِي اِشْتِيَاقُ يَعْقُوبُ إِلَى يَوْسُفَ^٣

و حين اعترض الحرّ بن يزيد الرياحيّ و جيشه الحسين عليه السلام
فمنعوه عن متابعة المسير ، حتّى أتهم منعوه عن العدول و الانحراف في
مسيره ؛

فَقَامَ الْحُسَيْنُ خَطِيباً فِي أَصْحَابِهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ ذَكَرَ جَدَّهُ
فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِنَا مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ تَرَوْنَ ؛ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَ تَنَكَّرَتْ
وَ أَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا وَ اسْتَمَرَّتْ جَذَاءً^٤ ، وَ لَمْ تَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كُصْبَابَةٌ الْإِنَاءِ ،
وَ خَسِيسٌ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَيْلِ ؛ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لَا يُعْمَلُ بِهِ ، وَ إِلَى
الْبَاطِلِ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ ؛ لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ رَبِّهِ مُحِقّاً^٥ ، فَإِنِّي لَا أَرَى

١- ضبط في بعض النسخ بلفظ «يَكْرُدُّ» و هو أيضاً بمعنى «يَطْرُدُ» .

٢- «تاريخ الطبريّ» ، طبع مصر ١٣٨٥ هـ ، ص ٣٣٨ و ٣٣٩ .

٣- «اللهوف» للسيد ابن طاووس ، ص ٥٣ .

٤- و روي جذاء ، أي مُسرعة .

٥- عدّ البعض «ليرغب» فعل أمر ، و اعتبروه مجزوماً إلا أنه كُسِرَ للقاء ساكنين ،

الْمَوْتُ إِلَّا سَعَادَةً وَالْحَيَاةُ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا^١.

❦ فيكون المعنى على ذلك : على المؤمن - و الحال هذه - أن يرغب في لقاء ربه محققاً .
١- «اللاهوت» ، الطبعة الحجرية ، ص ٦٩ .

لَمَّا جَلَسَ التَّاسِعُ

لَيْسَ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ خَوْفٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَا

سُكْرٌ أَوْ مَوْتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم التاسع من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
و صلى الله على محمد وآله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

هذه الآيات الكريمة هي الآيات ٦٢ - ٦٤ من سورة يونس ، السورة
العاشرة من القرآن الكريم ، وهي آيات ينبغي التوقف عندها و التأمل
فيها .

«أولياء» جمع وليّ ؛ وليّ ، يليّ ، وَلَايَةٌ وَ وَلَايَةٌ . و الولاية بمعنى
امتلاك المشيئة و الإرادة و الاختيار ، و لازمها الهيمنة و التصرف في جميع
الشؤون بحيث لا يبقى للشخص الخاضع للولاية أيّ مشيئة و إرادة و اختيار .
و وَلِيّ على وزن فعيل بمعنى والي ، و هو أيضاً بمعنى مُوَلَّى عَلَيْهِ ،
لذا فإنّه يستعمل في اسم الفاعل كما يستعمل في اسم المفعول ؛ فيُطلق على
من يمتلك مقام الولاية و على المهيمن و صاحب الاختيار و المتصرف في

جميع الشؤون لفظ وليّ، كما يُطلق نفس اللفظ على من يخضع لولاية ذلك الفرد فيسلم له جميع إرادته و اختياره و يخضع لإشرافه و هيمنته .

معنى الولاية و آثارها

و بناءً على ذلك يُطلق اسم الوليّ على الذات المقدسة للخالق عزّ وجلّ، كما في الآية ٢٥٧ من سورة البقرة :

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

كما يُطلق على أولئك الأفراد الذين يضعون أنفسهم تحت اختيار الله و إرادته ، و يعتبرونه المهيمن المتصرّف في جميع أمورهم ، كما في هذه الآية :

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

فإنّ المقصود بأولياء الله الأفراد الذين تنصّلوا تماماً من جميع شوائب اختيارهم الذاتي و أوكّلوا إرادتهم و اختيارهم و وجودهم بجميع شؤونه إلى الذات المقدسة للحّيّ الأزليّ ، و اعتبروه المتصرّف فيهم و المالك لإرادتهم . إنّ جميع الموجودات خاضعة للإرادة و الاختيار التكوينيّ للخالق سبحانه ، لا يُستثنى من هذا القانون العامّ حتّى الذرّة الواحدة التي لا تبصرها العين ، لكنّ البحث في الولاية التشريعيّة ، أي فهم و إدراك هذا المعنى بدرجة الحسّ و الوجدان أنّ لا حقّ لولاية غير ذات القيوم الأبديّ . و كلّ من يدرك هذا الناموس و القانون العامّ و يرى وجوده و سائر وجود الموجودات منذكّ في إرادة و اختيار القيوم ، و يضع نفسه وجداناً تحت إرادة و اختيار كهذه ، يُدعى بـ «وليّ الله» .

و سرّ إدراك هذه الدرجة و الوصول إليها أنّ البعض من المؤمنين ينال

مقام القرب من الله إثر الطاعة و ترك المعصية ، و يفوزون بمقام كمال الأخلاق ، لأنّ محبة الله ستلتهب في قلوبهم يوماً بعد آخر ، و تمنّي الوصول لمقام القرب و العزة سيشتعل في كيانههم ، فتحترق جميع الصفات الرذيلة و الأخلاق الذميمة و تفنى كما يحترق ما يفضل من الأشواك و الأعشاب ، حتّى يستقرّوا أخيراً في حدود المحبة .

و من الواضح أنّ من آثار المحبة ظهور أخلاق المحبوب في وجود المحب ، و كلّما زادت درجة الشوق و المحبة زاد معه هذا التخلّق بالأخلاق الإلهية ، حتّى ينمحي من صفحات أنفسهم كلّ أثر للتلوّث و يُزال كلّ قشر من قشور الأنانية ، بحيث لا يتمكنوا حتّى عقد نيّة سيئة في ذواتهم ، و بحيث لا تخطر في أذهانهم أيّ خاطرة سيئة ، و ذلك لأنّ أصل النفس قد طهر و تمت تصفيته و تنقيته .

فإذا شملتهم العناية و التوفيق الربّاني في هذه المرحلة رَقَوْا إلى مقام أعلى و نالوا مقام أسماء الخالق و صفاته و إدراك أسمائه الكليّة و صفاته العامة في جميع الموجودات .

و إن أعانتهم العناية الأزليّة بعد هذه المرحلة فقدّموا وجودهم مقابل الخالق و عظمتهم و قدرته و جماله و جلاله ، و عبروا من مقام التوكّل و التفويض إلى مقام الرضا و التسليم ، فيكون الله هو المختار في أمورهم ، و لا يكون لهم بعد ذلك اختيار و لا إرادة ، بل تكون الذات المقدّسة للحقّ تعالى هي المتصرّفة في وجودهم و شؤونهم ، فأولئك هم الذين يُقال لهم : «أُولِيَاءُ اللَّهِ» أولئك الأفراد هم الذين يفيدون من درجات القوة العلاميّة و العقل النظريّ (العلميّ) ، أي العقل الهيولائيّ و العقل بالملكة و العقل بالفعل و العقل المستفاد ، و الذين رَقَوْا إلى أعلى درجاته و عبروا المراحل الثلاث السابقة ، فصارت علومهم و معارفهم تُفاض عليهم من الذات

المقدسة للحضرة الأحديّة بواسطة العقل الفعّال ، أو أن يكونوا قد تخطّوا العقل الفعّال و عبروا مراتب العقول فصاروا يأخذون علومهم بلا واسطة من ذات الحق كالعقل الأوّل بسبب اندكاكهم فيه . كما أنهم فازوا بالمرحلة الأخيرة من مراتب القوّة العمّالة و العقل العمليّ ، و هي التجلية و التخلية و التحلية و الفناء ، و تحقّق في وجودهم المراحل الثلاث التي تسبقها .

و طبقاً للآيات المباركة للقرآن الكريم التي بُيّنت فيها خصائص أولياء الله ، و التي ربّما سنتحدّث عن بعضها عند الحاجة في المباحث التالية ، فإنّ الشيطان لا يملك سلطاناً على أولياء الله ، فهو قد يأس منهم إذ أوكّلوا إرادتهم و اختيارهم إلى الله ، فصارت الذات المقدسة للحقّ تعالى تقود الإرادة و الاختيار في وجودهم ؛ فكيف يتصوّر مع ذلك أن يتغلّب الشيطان على إرادة الله و اختياره فيمكنه خداعهم ؟

إنّ أمل الشيطان ينصبّ على أولئك الذين يمكنه التصرف فيهم و دعوتهم إلى الشهوات و الغفلات ، و جعلهم غافلين عن الله سبحانه ، أمّا من تخطّى وجوده في سبيل الله و أوكّل أنانيّته إلى ربّه ، و جعل اختياره مندكّاً في اختيار الله تعالى ، فلمس و تحقّق معنى «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»^١.

و أقرّه في سويداء قلبه ، فصار يرى بعين الله ، و يسمع بأذن الله ، و ينطق بلسان الله ، و يبطل بيد الله ، فلم يبقَ شيء منه في عالم الوجود ليتصرّف به الشيطان . و قد ورد في الحديث القدسيّ أنّ الله سبحانه يقول :
وَمَا يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ؛
وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ

١- الآية ٣٠ ، من السورة ٧٦ : الإنسان ؛ و الآية ٢٩ ، من السورة ٨١ : التكوير .

بِهِ ، وَ بَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَ لِسَانُهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَ يَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ،
إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ ، وَإِنْ سَأَلْنِي أَعْطَيْتُهُ^١ .

يقول الخواجه نصير الدين الطوسي (ره) في الفصل التاسع عشر من
التمط التاسع من «شرح الإشارات» :

إِنَّ الْعَارِفَ إِذَا انْقَطَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَاتَّصَلَ بِالْحَقِّ ، رَأَى كُلَّ قُدْرَةٍ
مُسْتَغْرَقَةٍ فِي قُدْرَتِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِجَمِيعِ الْمُقْدُورَاتِ ، وَ كُلَّ عِلْمٍ مُسْتَغْرَقًا فِي
عِلْمِهِ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَ كُلَّ إِرَادَةٍ مُسْتَغْرَقَةٍ فِي
إِرَادَتِهِ الَّتِي يَمْنَعُ أَنْ يَتَأَبَّى عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ .
بَلْ كُلُّ وُجُودٍ وَ كُلُّ كَمَالٍ وَجُودٌ فَهُوَ صَادِرٌ عَنْهُ فَائِضٌ مِنْ لَدُنْهُ .

١- أورد هذا الحديث في كتاب «كلمة الله» ص ٦٨ ، و قال في ص ٥١٩ من نفس
الكتاب في أصل هذا الحديث : أولاً أوردته البرقي في «المحاسن» عن عبدالرحمن بن حمادة ،
عن حنان بن سدير ، عن الصادق عليه السلام . و ثانياً ورد في كتاب «الكافي» لمحمد بن
يعقوب الكليني ، المجلد الثاني ، ص ٣٥٢ بثلاثة أسناد ، الأول : رواه عن أبي علي الأشعري ،
عن محمد بن عبد الجبار و عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، روي
كلاهما عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن حماد بن بشير ، عن الصادق عليه السلام ، عن
رسول الله صلى الله عليه و آله . و الثاني : رواه عن جماعة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد
ابن خالد البرقي ، عن إسماعيل بن مهران ، عن أبي سعيد القمّاط ، عن أبان بن تغلب ، عن
الباقر عليه السلام . و الثالث : رواه عن عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن
محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن المعلى بن خنيس ، عن الصادق عليه السلام ، عن
رسول الله صلى الله عليه و آله .

و قد ورد هذا الحديث في كتب كثيرة ، ورواه العامة بألفاظ مختلفة .
يقول المرحوم الحاج الميرزا جواد آقا الملكي التبريزي رضوان الله عليه في كتاب
«لقاء الله» : هذا الحديث القدسي متفق عليه بين جميع أهل الإسلام .
و قد أوردته الغزالي في «إحياء العلوم» كتاب المحبة و الشوق لله ، المجلد الرابع ،
ص ٢٦٣ ، و عدّه العراقي في هامش تلك الصفحة من حديث البخاري عن أبي هريرة .

صَارَ الْحَقُّ حِينَئِذٍ بَصَرَهُ الَّذِي بِهِ يُبْصَرُ ، وَ سَمْعَهُ الَّذِي بِهِ يَسْمَعُ ، وَقُدْرَتَهُ الَّتِي بِهَا يَفْعَلُ ، وَ عِلْمَهُ الَّذِي بِهِ يَعْلَمُ ، وَ وُجُودَهُ الَّذِي بِهِ يُوْجَدُ .
فَصَارَ الْعَارِفُ حِينَئِذٍ مُتَحَلِّقًا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ ١ .
و باعتبار أنَّ أبا علي يقول في نفس النَمَط في الفصل الواحد والعشرين :

الْعَارِفُ هَشٌّ بَشٌّ ٢ ، بَسَّامٌ ، يُبَجِّلُ الصَّغِيرَ مِنْ تَوَاضُعِهِ كَمَا يُبَجِّلُ الْكَبِيرَ وَ يَنْبَسِطُ مِنَ الْخَامِلِ مِثْلَ مَا يَنْبَسِطُ مِنَ النَّبِيِّ .
وَ كَيْفَ لَا يَهْشُ وَ هُوَ فَرَحَانٌ بِالْحَقِّ ، وَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، فَإِنَّهُ يَرَى فِيهِ الْحَقَّ ؟ وَ كَيْفَ لَا يُسَوِّي ، وَ الْجَمِيعُ عِنْدَهُ سَوَاسِيَّةٌ ، أَهْلُ الرَّحْمَةِ قَدْ شَغِلُوا بِالْبَاطِلِ ؟ ٣

فيقول المرحوم الخواجه نصير الدين في شرح هذه الفقرات :
وَ هَذَانِ الْوُصْفَانِ ، أَعْنِي الْهَشَاشَةَ الْعَامَّةَ وَ تَسْوِيَةَ الْخَلْقِ فِي النَّظَرِ ،
أَثَرَانِ لِخَلْقِي وَاحِدٍ ، يُسَمَّى بِالرِّضَا ، وَ هُوَ خُلِقَ لَا يَبْقَى لِصَاحِبِهِ انْكَارٌ عَلَى شَيْءٍ ، وَ لَا خَوْفٌ مِنْ هُجُومِ شَيْءٍ ، وَ لَا حُزْنٌ عَلَى فَوَاتِ شَيْءٍ ، وَ إِلَيْهِ أَشَارَ عَزٌّ مِنْ قَائِلٍ : وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ؛ وَ مِنْهُ تَبَيَّنَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِمْ :

١- «شرح الإشارات» بو علي سينا ، طبع مصر ، المجلد الرابع ، ص ٩٧ و ٩٨ ؛ و الطبعة الحجرية ، ١٦ صفحة قبل آخر الكتاب .

٢- الهش : الرخو اللين من كل شيء . خبزة هشة : رخوة المكسر . و يقال : فلان هش المكسر ، أي سهل الجانب فيما يطلب عنده من الحوائج .. و فلان هش الوجه أي طلق المحيا .. و قرس هش العنان أي خفيف العنان ؛ و أنا به هش بش أي فرح مسرور «المنجد» .
وقد فسر الخواجه نصير «هش و بش» بـ «طلق الوجه طيب» .

٣- «شرح الإشارات» ، بو علي ، طبع مصر ، المجلد الرابع ، ص ١٠١ و ١٠٢ ؛ و الطبعة الحجرية ١٥ صفحة قبل نهاية الكتاب .

كلام الخواجه نصيرالدين الطوسي في «شرح الإشارات» في صفات العرفاء المجلس التاسع

خَازِنُ الْجَنَّةِ مَلَكُ اسْمُهُ رِضْوَانٌ^١.

أجل ، فلأن أولياء الله قد قطعوا جذور ولايتهم للشيطان وارتبطوا بالله سبحانه ، لذلك فليس للشيطان قدرة للتصرف في قواهم المستخيلة . يقول سبحانه في الآيتين ٩٩ و ١٠٠ من سورة النحل :

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ .

و يقول في الآية ٨٢ و ٨٣ من السورة ص :

فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ .

«المخلصون» هم أولياء الله ، و من صفاتهم و خصائصهم طيهم سكرات الموت و عالم القبر و البرزخ و عالم الحشر و النشر و القيامة و الصراط و الميزان و العرض و السؤال و الجنة و النار في هذه الدنيا ، و تخطيهم جميع هذه المراحل فيها .

فلم يكونوا - بغير ذلك العبور - ليصلوا إلى مقام الولاية الملازم لمقام الخلوص و في هذه الحالة فليس هناك من معنى للعذاب عند الموت أو بعده .

فالعذاب الذي يراه الإنسان عند سكرات الموت أو في القبر أو في سؤال منكر و نكير ، أو في البرزخ المثالي ، أو في القيامة الكبرى عند الحشر و العرض و السؤال و الصراط و الميزان و الجحيم ، إنما يراه نتيجة أعماله السيئة التي اجترحها ، و التي قام بها باتباعه السيء لنفسه الأمارة بالسوء .

١- «شرح الإشارات» بو علي سينا ، طبع مصر ، المجلد الرابع ، ص ١٠١ و ١٠٢ ؛ والطبعة الحجرية ١٥ صفحة قبل نهاية الكتاب .

أما أولياء الله الذين و صلوا إلى مرحلة عالية من الطهارة و النزاهة ، فمن المحال أن يصدر منهم عمل قبيح و سيّء . فقد حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، و راجعوا صحائف أعمالهم فيها ، و وضعوا أقدامهم على طريق التزكية و التهذيب ، و عبروا من عالم الصورة و المثال ، و تخطّوا النفس و القيامة الكبرى ، فارتبطوا مع الملائكة السماويين و مع الأرواح المطهرة للأنبياء و الأئمة عليهم السلام ، و وصلوا إلى معدن العظمة و العلم و القدرة و الحياة ، أي إلى الذات المقدسة للحقّ جلّ و علا ، فوصلوا إلى مرحلة من الوجدان و التحقق بحيث لا يطرأ عليهم هناك خوفٌ و لا حزن :

إِنِّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

إنّ الخوف و الحزن ينشآن لدى الإنسان من شيء قد تعلّق به و يحتمل فقدانه في المستقبل ، فهو يخشى ضياعه من يده ، و الخوف و الحزن ينشآن من شيء تعلّق به الإنسان قبلاً ثمّ فقده ، فهو محزون مغموم لفقده .

كما أنّ جميع أفراد البشر بالنظر لابتلائهم بالعلائق الماديّة و الاعتبارات الحيويّة الدنيويّة و بناء حياتهم على أساس من المصالح الشخصية و الأمنيات الخياليّة ، فإنّهم يعيشون دوماً في خوف و حزن ، حيث لا تنقضي عليهم أيّ لحظة إلّا و أحاطهم فيها الاضطراب و الحيرة من جهة ، و الحزن و الغمّ من جهة أخرى ، و إذا ما صرفوا أذهانهم عن ذلك أحياناً بسبب بعض المشاغل و الأعمال ، فإنّ ذلك الخوف و الحزن سيكمن في نفس الوقت في أذهانهم ليبرز من جديد بمجرد ارتفاع الموانع فيجعل الإنسان في محنة و مرارة .

و هكذا فإنّ الإنسان لن يستطيع بأيّ وجه أن يفعل شيئاً لاستئصال أساس مادة الخوف و الحزن من وجوده ليعيش دوماً في سرور و ابتهاج ،

و جميع اللذائذ و دواعي الانشراح التي يُتَمَتَّع بها في الدنيا يفعلها الإنسان لسبب واحد هو صرف نفسه عن ذلك الهمّ و الغمّ ، و بمجرّد ارتوائه من تلك اللذة فإنّ ذلك الخوف و الحزن المختفي سيطفو من جديد في شعوره فيُزعجه و يُقلقه .

و علّة هذا الأمر أنّ للإنسان علائق في عالم الحيوة الدنيا و معيشته ، و باعتبار دوران عالم الدنيا على محور المادّة و الطبع ، و لأنّ المادّة دائماً في شُرف التغيّر و التحوّل و الحدوث و الفساد ، لذا فإنّ العلائق القلبية للإنسان ستكون هي الأخرى عُرضة لهذا التغيّر و التبدّل ، فيغوص الإنسان بفقدان ما يحبّ في عالم الحزن ، و يلقّ الخوف و القلق من احتمال فقدانه في المستقبل .

أمّا أولياء الله الذين وصلوا مرحلة الخلوّص ، فقد نفّضوا أيديهم من هذه العلائق ، فلم يَعدُ تغيّر الزمان و المكان و الآثار الأخرى للمادّة ليؤثّر في أفكارهم .

لا أن يكونوا قد خرجوا من الدنيا بأبدانهم و صانوا أنفسهم من تلاعب الحوادث المؤلمة ، بل أنتهم قد أخرجوا قلوبهم من محبّة الدنيا ، و نصبوا خيامهم في حرم القدس و حريم الأمان الإلهي ، و حطّوا رحالهم في ذلك الفناء .

أولئك الذين التحقوا من الجزئية بالكلية ، و نزحوا من عالم الغرور إلى الحقّ ، و التحقوا من الأمور المنقضية المتصرّمة إلى الأبدية ، فأخرجوا قلوبهم من العالمين و شدّوا رحالهم و وردوا في بحر عظمة و قدرة الحقّ جلّ و علا ، فصاروا بمنزلة البحر ، و صار وجودهم واسعاً و عبروا الحدود و المحدوديّة .

و لو اغترف أحد من البحر غُرْفَةً أو أضاف اليه قليلاً من الماء لما

تأثرت كمية الماء و لا كميته ، أمّا لو أُضيف ذلك القدر من الماء إلى قدر محدود ، كقربة أو قدح ، أو أنقص منه ذلك القدر ، لكانت الزيادة و النقصان فيه مشهودتين ظاهرتين .

و مادام الإنسان يهبط نفسه متسافلاً في حدود عالم الطبع و المادّة ، و مادام يحصر علاقاته و ارتباطاته فيها ، فإنّ وجوده سيكون أشبه بوعاء صغير محدود ، بحيث إذا أصابته فاجعة كفقدان زوجة أو ولد أو مالٍ أو عشيرة أو أقارب أو جاهٍ و اعتبار ، فإنّه يرى نفسه محزوناً خائفاً بظهور علائم تُنذر بفقدانهم في المستقبل . أولياء الله هم وحدهم الذين أخرجوا أنفسهم من جميع مراحل و منازل الطبع و المادّة و آثارها و تعلقاتها ، فسافروا إلى عالم التجرد و الملكوت ، و صاروا كالبحر ، و صار وجودهم متعدّد الجوانب ، بحيث لم يعد يظهر فيهم تزلزل أو تغيير بفقدان هذه الأمور في الماضي أو باحتمال فقدانها في المستقبل ، و لم يعد الخوف و الحزن يرتسم على طلعتهم و سيماهم . وهذا هو معنى سعة النفس و خروجها من المحدودية ، السعة التي يبينها العليّ الأعلى في القرآن الكريم ، و التي دعاها أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيره الكلام الإلهي بمعنى الزهد :

الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ .

وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي ، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ .^١

مَنْ هم أولياء الله ؟ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ ، أي الذين آمنوا و تمسكوا بالتقوى سابقاً ، أي الذين آمنوا و عملوا على الدوام على أساس

١- «شرح نهج البلاغة» ، باب الحكم ، طبعة محمد عبده ، مصر ، ص ٢٣٨ .

ذلك الإيمان فصاروا متقين ؛ ذلك الإيمان و التقوى سبباً لإيمانٍ و تقوى أفضل ، و صارت كل درجة من درجات الإيمان و التقوى سبباً دائماً يبعث على شدة و قوة الأخرى حتى يصل الإيمان فعلاً إلى أعلى درجاته و تصير درجات التقوى السابقة باعثاً على ظهور إيمان كهذا .

ورد في الآيتين ١٠ و ١١ من سورة الصف :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُجَحِّمُ مِّنْ عَذَابٍ ءَلِيمٍ *
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .

و جاء في الآية ١٣٦ من سورة النساء :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .

و يتضح أنّ للإيمان درجات و مراتب ، و أنه ينبغي الارتقاء من مراتبه الأولى لنيل درجاته العالية ، و أنّ هذا الإيمان غير الإيمان السابق ، الإيمان الذي استأصل كلياً الشرك بالله من زوايا القلب و أدى إلى طلوع نور التوحيد بتمام معنى الكلمة في القلب و الوجدان ، و بناءً على هذا المعنى قال سبحانه :

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (و لم يقل : الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ اتَّقَوْا).
لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ
ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

لهم البُشرى في هذه الدنيا بالأمور الحقيقيّة ، بسكينة الخاطر و الطمأنينة ، و باطمئنان القلب ، و بالتمتع و التنعم بالمواهب الإلهيّة و الإفادة الحقّة من المواهب الإلهيّة ، فهم يُبشّرون بالرضوان ، و باللقاء و الأنس بأرواح الأنبياء و الأئمّة و الملائكة ، و بالوصول إلى الأسماء و الصفات الكليّة للخالق ، و يُبشّرون بقاء الحضرة الأحديّة و الفناء في ذات الله المقدّسة ، و بطلوع مقام التوحيد بتمام مراتبه و درجاته ؛ كما

يبشرون في الآخرة بالجنة و الخلود و المغفرة و العبور من الصراط ،
و بالنعيم و الكوثر و الشفاعة و اللحوق بأرواح الأنبياء و مصاحبة الأطهار
و السابقين ، و بمقام أمن و سلام و جمال الباري تعالى شأنه .

و من جهة أخرى يقول في الآية ٣٠ ، من السورة فصلت (السجدة) :
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ .

و هذه البشارة لا تعطى للأفراد - الذين ثبتوا على الإيمان - في الدنيا ،
بل تعطى لهم عند الموت ، لذا فإنها ليست كمثل الآية مورد البحث «أَلَا إِنَّ
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» .

و ذلك لأنّ البشارة إنّما تتعلّق بأمر حتمي الوقوع ، أمّا حين تتعلّق
بأمر يحتمل تحقّقه أو عدم تحقّقه فلا يُقال لها بشارة .

و على سبيل المثال فلو كانت زوجة إنسان حاملاً بطفل يمكن أن
يكون ولدًا أو بنتاً ، فلا يُقال له : نبشركم بولد أنعم الله عليكم به ؛ أمّا حين
يولد الولد فعلاً فإنّه يقال له : نبشركم أنّ الله قد منّ عليكم بولد ذكر .

و هكذا حال الإنسان ، فما دام لم يصل بعدُ إلى مرحلة الولاية أو إلى
مرحلة الموت ، فإنّ طريقه ليس باتجاه واحدٍ مُعيّن ، بل إنّهُ سيكون على
الدوام في منازعة لاختيار الحسن أو السيّء ، و السعادة أو الشقاء ، و الجنة
أو النار ؛ و عليه فإنّ البشارة بدخول الجنة ، أو البشارة بإزالة الخوف
والحزن و الغمّ و القلق بالنسبة إليه ستكون بلا معنى .

إنّ البشارة لأولياء الله الذين استقروا في حرم السكون الإلهي ،
و الذين شدّ الخوف و الحزن رحالهما عن أعماق كيانهما ستكون بشارة
صحيحة ، سواءً كانت البشارة في الدنيا أو في الآخرة ؛ و لما أصبح شأنهم
ثابتاً حيث لا رجعة فيه ، و لم يعد للشيطان فيهم مطمع بعد ورودهم في عالم

الخلوص .

أما بالنسبة لغير أولياء الله ، فإنّهم مهما امتلكوا الإيمان ، ومهما ثبتوا على إيمانهم هذا وخطوا في هذا المجال بقدم راسخة ، إلّا أنّهم - في الوقت نفسه - لم يصلوا بعدُ إلى مقام الخلوص ، و لم يتبدّل حالهم إلى السعادة المحضة ، و لم يتخطّوا بعدُ أمر اختيار الخير أو الشرّ ، فلم يزل احتمال السعادة والشقاء ، و دخول الجنّة أو النار أمراً ممكناً في المستقبل . لذا فإنّ البشارة في الدنيا لا معنى لها بالنسبة إليهم ، و ينبغي القول بناءً على هذه القرينة أنّ بشارة الملائكة لهم ستكون عند الموت ، أي حين يخرجون من الاختيار فيتبدّل الطريق المزدوج أمامهم إلى طريق واحد لا عودة فيه .

و الشاهد الآخر على أنّ هذه البشارة لهم ستكون عند الموت ما جاء في الآية الشريفة :

وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ .

أي أبشروا بالجنّة التي وُعدتم بها في الدنيا ، و باعتبار أنّهم في حال الموت أو قريباً من الموت ، فإنّ الدنيا تُعدّ منقضية بالنسبة إليهم ، لذا يُقال لهم كُنتُمْ تُوعَدُونَ .

أما بالنسبة لأولياء الله فإنّهم قد بُشّروا في الدنيا ، لأنّهم و صلوا فيها إلى مقام الولاية فأزيل عنهم الخوف و الحزن ، أولئك عباد متميزون عن سائر العباد ، عبادُ خُتموا بخاتم ولاية الله فصار أحدهم يُدعى بـ (وليّ الله) ؛ و هذا المعنى من الولاية قد جرى بيانه بدقّة في الكثير من آيات القرآن الكريم ، كآيتين ١٧٣ و ١٧٤ من سورة آل عمران اللتان عبّرتا عن الولاية بالنعمة :

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ

إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسِّنْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ .
و إجمال القصة كالآتي :

لَمَّا انتهت غزوة أحد و عاد رسول الله صلى الله عليه و آله مع أصحابه إلى المدينة ، وانصرف المسلمون الجرحى إلى بيوتهم للاستراحة ولتضميد جراحهم ، أراد النبي أن يُرهب المشركين و يُريهم من نفسه و أصحابه قوّة و سطوة لئلا يطمع المشركون فيهم و يرون أن الأحرى بهم مهاجمة المدينة المنورة لقتل رسول الله و أسر المسلمين ؛ فندب أصحابه الذين اشتركوا في غزوة أحد للخروج في طلب المشركين .

و كان أمير المؤمنين عليه السلام قد أُصيب في غزوة أحد بثمانين جراحة ، كان معظمها بليغاً بحيث احتاج إلى ضماد و إلى وضع فتائل في الجروح ، وكانت الجراح تغطّي بدنه الشريف ، و كان قد انصرف هو الآخر إلى منزله و انهمك بتضميد جراحه حين دوى في المدينة منادي رسول الله يندب مُجاهدي أحد للخروج في طلب المشركين .

و لم يذخر المسلمون وسعاً عن تلبية دعوة رسول الله على ما بهم من التعب و النصب من الحرب ، فاستعدّوا لملاحقة الكفار ، و عقد رسول الله اللواء لأُمير المؤمنين عليه السلام و سلّمه إياه ، ثمّ توجه مع أمير المؤمنين و المسلمين إلى حمراء الأسد - و هي من المدينة على بُعد ثمانية أميال - .

و كان مشركو قريش من الجانب الآخر قد بلغوا الرّوحاء - و هي من المدينة على ثلاثين أو أربعين ميلاً - ، فلبثوا فيها و تأسّفوا لعدم قتلهم النبي في هذه الغزوة ، و كانوا يقولون : لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمْ وَلَا الْكَوَاعِبَ أَرَدَفْتُمْ ؛ و كانوا يستعدّون لمهاجمة المدينة و يتشاورون في هذا الأمر .

فمرّ معبد الخُزاعيّ على رسول الله في حمراء الأسد ، و كانت خُزاعة

- مسلمهم وكافرهم - عتية رسول الله بتهامة ، و صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً ، و معبد يومئذٍ مشرك ، فقال : يا محمد (صلى الله عليه و آله) و الله لقد عزّ علينا إصابتك في قومك و أصحابك ، و لوددنا أنّ الله كان أعفأك منهم . ثم خرج من عند رسول الله حتّى لقي أبا سفيان و من معه بالروحاء ، و كانوا قد أجمعوا على الرجوع إلى رسول الله و قالوا : قد أصبنا حدّ أصحابه و قادتهم و أشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراك يا معبد ؟

قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قطّ يتحرّقون عليكم تحرقاً .

قال : ويلك ما تقول ؟ قال : فأنا والله ما أراك تترحل حتّى ترى نواصي الخيل .

قال : فوالله لقد أجمعنا الكثرة عليهم لنستأصلهم .

قال معبد : فأنا والله أنهاك عن ذلك .

فشئى ذلك أبا سفيان و من معه و فضّل الانصراف و الفرار إلى مكة ، و قطع وعداً لنعيم بن مسعود الأشجعيّ أن يعطيه أموالاً كثيرة على أن يذهب فيثبّط محمداً و أصحابه عنهم ، و أن يُخبرهم أنّ أباسفيان و من معه قد أعدّوا العدة و هم يتأهبّون لمهاجمة المدينة لقتل محمد و أصحابه و أسر فتيانهم و استئصال شأفتهم .

و كان نعيم بن مسعود من منافقي المدينة ممّن أسلم ظاهراً ، فأتى المدينة فخوّف المسلمين و سعى في تشبيط عزائمهم و فلّ همهم بكلماته المخيفة ، و في تحذيرهم و تخويفهم من سطوة المشركين من أجل صرفهم عن مهاجمة الكفار ، إلّا أنّ كلامه لم يُثمر شيئاً ، فقد بقي رسول الله و أمير المؤمنين عليهما السلام مع الأصحاب الجرحى راسخي العزم ،

متوكلين على ربهم قائلين : حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ .

و على أثر هذا التفاني و التضحية ، و لتصلهم من إرادتهم و اختيارهم أمام العدو و لتوكلهم على ربهم و تفويضهم أنفسهم إليه ، فقد أمسك الله زمام تدبيرهم بيده و زاد من إيمانهم و أنعم عليهم بنعمته و هي مقام الولاية :

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ .

و المقصود بـ «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» أمير المؤمنين عليه السلام حامل لواء الحرب ؛ و كانت الجراح تغطي بدنه ؛ مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله الأوفياء الصادقين . و المقصود بـ «الناس» : نعيم بن مسعود الأشجعي المنافق المعروف . «إِنَّ النَّاسَ» أي أبوسفیان و من معه ، «قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» لمحاربتكم و استئصالكم «فَاخْشَوْهُمْ» و هابوهم و انصرفوا عن مقاتلتهم ، «فَزَادَهُمْ إِيمَانًا» و قُوَّةً و صلابة «وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» و هو المتصرف في أمورنا بإرادته و اختياره .

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ .

و لقد نصر الله نبيّه في ذلك الحال بدون أن يمسه و من معه سوء من عدوهم أو من الجراح التي أصابتهم في غزوة أحد ، فانقلبوا إلى المدينة بعافية و رباطة جأش و قُوَّة قلب و إيمان و فضل و شرف و شهرة بين الناس ، و بإرعاب قلوب المشركين .^١

١- نقله كثير من المفسرين ، و من جملةهم «تفسير الميزان» المجلد الرابع ، ص ٦٥-٧٧؛ تفسير مجمع البيان ، طبع صيدا ، المجلد الأول ، ص ٥٣٨ - ٥٤١ ؛

و بالطبع فإنّ نعمة الولاية هذه لم تُوهب لجميع الصحابة الذين تحرّكوا مع رسول الله إلى حمراء الأسد ، بل خُصّ بها الأفراد الذين قالوا في سرّهم «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» ، و يشهد على هذا المعنى قوله في الآية التي سبقت هذه الآية :

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ .

و يُلاحظ هنا أنّ هذا الأجر العظيم قد عيّن لخصوص أهل الإحسان و التقوى ، و هم الذين و صفتهم الآيات التي نتذكر بها بأنهم الذين قالوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ في ذلك الموقع الشاقّ الحساس ، و الذين فوضوا أنفسهم لربّهم و جعلوا إرادتهم و اختيارهم مندكة في إرادة الله ، و هذا هو معنى الولاية .

و قد ورد نظير هذا التعبير في آخر آية من سورة الفتح ، حيث بيّن الله سبحانه هناك صفات الأفراد التابعين للنبيّ مفصلاً ، و يقول في آخرها :

﴿ تفسير البرهان ﴾ الطبعة الحجرية ، المجلّد الأوّل ، ص ٢٠١ ؛ « تفسير أبي الفتح الرازي » طبع مظفري ، المجلّد الأوّل ، ص ٦٨٧ - ٦٩١ ، و طبع إسلامي تحقيق آية الله الشعراني ، المجلّد الثالث ، ص ٢٥٤ - ٢٦٠ ؛ « تفسير بيان السعادة » الطبعة الحجرية ، ص ١٧١ و ١٧٢ ؛ « تفسير الصافي » طبع إسلامي ، المجلّد الأوّل ، ص ٣١٤ - ٣١٦ ؛ و « بحار الأنوار » الطبعة الكمباني ، المجلّد السادس ، ص ٥٠٦ .

كما نقله كثير من المؤرّخين ، و من جملةهم الواقديّ في كتاب « المغازي » ، تحقيق مارسدن جونس ، المجلّد الأوّل ، ص ٣٣٤ - ٣٤٠ ؛ « روضة الصفا » ، المجلّد الثاني تحت عنوان ذكر غزوة حمراء الأسد و وقائع السنة الرابعة ؛ « تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس » المجلّد الأوّل ، ص ٤٤٧ - ٤٤٩ ؛ « تاريخ الطبري » طبع مصر ، مطبعة الاستقامة ١٣٥٧ هجرية ، المجلّد الثاني ص ٢١١ - ٢١٣ ؛ و « منتهى الآمال » الطبعة الرحلية ، علمية إسلامية ، المجلّد الأوّل ، ص ٤٧ .

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

و من الآيات القرآنية الدالة على معنى الولاية ، الآيات ٢٧ - ٢٩ من سورة إبراهيم :

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ .

و المراد بالقول الثابت هنا كلمة التوحيد الثابتة في الدنيا و في الآخرة لأنَّ كلَّ ما عدا التوحيد متزلزل ، وكلَّ ما عداه قابل للتغيير ، و قابل للتريد و التأمل .

أما القول الثابت في الدنيا و الآخرة فلا يقبل التغيير ، و هذه الدرجة من التوحيد التي تصبح ظاهرة . تتلازم مع فقدان اختيار الشخص و إيكاله أمره بيد ربِّ الأرباب ، وهذا هو معنى الولاية .

ثمَّ يقول : أَلَمْ تَرَ أولئك الذين لم يقبلوا هذه الولاية و هي نعمة الله ، و لم يقبلوا التوحيد ، فاعتمدوا في النتيجة على أنانيتهم و شخصيتهم ، و أبوا أن يجعلوا خالق العالمين مدبّر أمورهم ، فكفروا في النهاية بالله تعالى و بدّلوا تلك النعمة كفرًا ، فصار مقرّ هؤلاء و أمثالهم المستكبرين دار البوار و جهنّم المحرقة التي يصلونها .

و عليه فإنَّ جميع الأفراد الذين يمتلكون مقام الولاية بعيدون عن تلاعب الشيطان بهم و سلطانه عليهم و متخطّون لمراحل سكرات الموت و القبر و البرزخ و القيامة ، فقد طووا جميع هذه المراحل في الدنيا إثر مجاهدتهم للنفس الأمّارة ، و سيكون مأواهم عند الموت في الجنان

الموعودة من قبل الرب الودود بلا حساب ولا كتاب .

أولياء الله و أتباع أولياء الله و صفاتهم

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في علامات و أوصاف أولياء الله :
 إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا ، وَاشْتَغَلُوا بِأَجْلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ ، وَ تَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّه سَيُتْرَكُهُمْ ، وَ رَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا ، وَ دَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتًا ، أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ ، وَ سِلْمُ مَا عَادَى النَّاسُ ، بِهِمْ عِلْمُ الْكِتَابِ وَ بِهِ عِلْمُوا ، وَ بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَ بِهِ قَامُوا ، لَا

١- يقول ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ، المجلد العشرون في الطبعة ذات العشرين مجلدًا ، ص ٤٣٨ ؛ و في طبعة الأُفست ذات المجلدات الأربعة : المجلد الرابع ، ص ٤٧٤ : هذا [أي التعبيرات التي وصف بها أمير المؤمنين عليه السلام أولياء الله] يصلح أن تجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذهبهم ، لقوله «فوق ما يرجون ، بهم علم الكتاب و به علموا» ؛ و أمّا نحن فنجعله شرح حال العلماء العارفين ، و هم أولياء الله الذين ذكرهم عليه السلام ، لما نظر الناس إلى ظاهر الدنيا و زخرفها من المناكح و الملابس و الشهوات الحسية ، نظروا إلى باطن الدنيا فاشتغلوا بالعلوم و المعارف و العبادة و الزهد في الملاذّ الجسمانية .

أقول : ليس هناك من لزوم في أن تعدّ الإمامية هذه الصفات منحصرة في الأئمة الطاهرين ، بالرغم من اتصافهم عليهم السلام بها و تحليهم بشروطها على أتم وجه و أكمله ، فقد وُجد و يوجد الكثير من شيعتهم و أتباعهم المخلصين ممّن تنطبق عليهم هذه المواصفات ، و ممّن وصلوا إلى مرحلة المخلصين و قطعوا كل أمل لديهم إلّا في الله تعالى ، و ممّن عرفوا بالقرآن و كانوا حُماة حقًا ، لذا فإنّ ما نسبته ابن أبي الحديد إلى ذوق الإمامية و مسلّكهم يبقى محلّ إشكال و إيراد .

يَرُونَ مَرْجُوءًا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ ، وَ لَا مَخُوفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ .^١

خطبة أمير المؤمنين في شأن أولياء الله

وكذلك ورد له عليه السلام كلام في نهج البلاغة في تفسير الآية المباركة :

رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ،^٢ حِينَ تَلَى هَذِهِ الْآيَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ،^٣ وَ تَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمَعَانِدَةِ . وَ مَا بَرَحَ لِلَّهِ - عَزَّتْ أَلَاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَ فِي أَرْزَمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ، وَ كَلَمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ ، فَاسْتَضْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَ الْأَفْنِدَةِ . يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَ يُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدَلَةِ فِي الْفُلُوكَاتِ . مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمْدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ، وَ بَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ ، وَ مَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَ شِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَ حَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَ كَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَ أَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ .

وَ إِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْهُ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ ، وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ . وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتِمِرُونَ بِهِ ، وَيَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَنْهُ ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَ هُمْ فِيهَا ، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ .

١- «نهج البلاغة» ، أواخر باب الحكم ، طبعة محمد عبدة ، مصر ، ص ٢٣٧ .

٢- الآية ٣٧ ، من السورة ٢٤ : النور .

٣- ضبطها ابن أبي الحديد بالفتح .

فَكَأَنَّمَا اِطْلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ ، وَ حَقَّقَتْ
الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا ، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرُونَ
مَا لَا يَرَى النَّاسُ ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ .

فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ ، وَ مَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ ،
وَ قَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ ، وَ فَرَّغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ
وَ كَبِيرَةٍ أُمُروا بِهَا فَقَصَّروا عَنْهَا ، أَوْ نُهِوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا .

وَ حَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ ، فَضَعُفُوا عَنِ الْاِسْتِقْلَالِ بِهَا ،
فَنَشَجُوا نَشِيجاً وَ تَجَاوَبُوا نَحِيباً . يَعُجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ
وَ اعْتِرَافٍ ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى ، وَ مَصَابِيحَ دُجَى ، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ،
وَ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَ فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَ أُعِدَّتْ لَهُمْ
مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ اِطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِي سَعْيِهِمْ وَ حَمْدُ
مَقَامِهِمْ .

يَتَسَنَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ ، وَ أُسَارَى
ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ ، وَ طَوَّلُ الْبُكَاءِ عُمُيُونَهُمْ .
لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ
الْمَنَادِحُ وَ لَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ .

فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .^١
والحق أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا في حالات أولياء الله
هو كتاب حكمة يحتاج بيانه إلى كتاب مبسوط ، كما يتضح جلياً من التأمل
في فقراته ، كيف أن أولياء الله يتوجهون إلى الجنة مباشرة بلا حساب

١- «شرح نهج البلاغة» ، طبعة محمد عبده مصر ، المجلد الأول ص ٤٤٦ - ٤٤٨ ؛

و «شرح النهج» للملا فتح الله الكاشي ، ص ٣٦١ - ٣٦٣ ، الخطبة ٢٥٠ .

ولا مناقشة ولا سكرات موت ولا أهوال قبر ولا برزخ ولا قيامة ، فقد صرفت عنهم كل هذه الأمور ، لأنهم تجاوزوا جميع هذه العقبات في الدنيا .

كلام أمير المؤمنين في أوصاف أخ له في الله

كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف حال الصحابي الكبير عثمان بن مظعون .^١

١- أورد كبار أهل الحديث و التاريخ و التراجم ترجمة عثمان بن مظعون و شرح أحواله ، و نذكر هنا ما أورده ثلاثة كتب في ترجمته (كما أن ابن حجر العسقلاني ذكر ما نقله في كتاب «الإصابة» ، المجلد الثاني ، ص ٤٥٧) :

الأول : من كتاب «الطبقات» لابن سعد ، المجلد الثالث ، ص ٣٩٣ .

الثاني : من كتاب «الاستيعاب» ، المجلد الثالث ، ص ١٠٥٣ .

الثالث : من كتاب «أسد الغابة» ، المجلد الثالث ، ص ٣٨٥ .

و الخلاصة فقد كان عثمان بن مظعون أحد أصحاب رسول الله الكبار الأوفياء ، و قد آمن في مكة المكرمة برسول الله صلى الله عليه و آله بعد ثلاثة عشر نفر ، و هاجر الهجرتين إلى الحبشة و المدينة ، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله قد آخى بينه و بين أبي الهيثم ابن التيهان . حضر غزوة بدر ، ثم توفى في المدينة في شهر شعبان لثلاثين شهراً من هجرة رسول الله صلى الله عليه و آله ، و هو أول من توفى من المهاجرين في المدينة . و قد اختار رسول الله أرض بقيع الغرقد لدفن المؤمنين ، فكان أول من دُفن فيها عثمان بن مظعون . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه و آله أن تدفن ابنته زينب (أو رقية) قرب قبره ، ثم خاطب ابنته المتوفاة حديثاً بقوله :

إلحقي بسلف الصالح عثمان بن مظعون .

و قال عن ولده الصغير إبراهيم حين توفى :

ادفنيه جنب سلفنا الصالح عثمان بن مظعون .

و قال حين مرّ على جنازة عثمان بن مظعون :

كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صَغُرَ الدُّنْيَا
فِي عَيْنِهِ ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ ، وَلَا يُكْثِرُ
إِذَا وَجَدَ .
وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً ، فَإِنْ قَالَ بَدْءَ الْقَائِلِينَ وَنَفَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ .

ذهب و لم تلبس منها بشيء . (عبارة الطبقات) .

و خرجت منها و لم تلبس منها بشيء . (عبارة أسد الغابة) .

١- اختلف شراح النهج في المُشار إليه بـ (الأخ) ؛ يقول ابن ميثم البحراني في المجلد الخامس من شرح النهج ، ص ٣٩٠ ، و المَلّا فتح الله الكاشي ص ٥٨١ : إنّ المراد به أبوذر الغفاري . و قال بعض : إنّ المراد به عثمان بن مظعون . و يقول ابن أبي الحديد في المجلد ١٩ ص ١٨٣ و ١٨٤ من الشرح :

قال قومٌ : هو رسول الله صلى الله عليه و آله ، واستبعده قومٌ لقوله (و كان ضعيفاً مستضعفاً) ، فإنّ النبي صلى الله عليه و آله ، لا يُقال في صفاته مثل هذه الكلمة . و قال قوم : هو أبوذر الغفاري ؛ و استبعده قومٌ لقوله «فإن جاء الجُدُّ فهو ليثٌ عادٍ و صلٌّ وادٍ» ، فإنّ أباذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة و المعروفين بالبسالة . و قال قوم : هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ، و كان من شيعة علي عليه السلام المخلصين ، و كان شجاعاً مجاهداً حسن الطريقة ، و قد ورد في فضله حديثٌ صحيحٌ مرفوع . و قال قوم : إنّه ليس بإشارة إلى أخ معيّن ، و لكنّه كلام خارج مخرج المثل ، و عادة العرب جارية بمثل ذلك ، مثل قولهم في الشعر «فقلتُ لصاحبي» و «يا صاحبي» ؛ ثمّ يقول : و هذا عندي أقوى الوجوه .

و أمّا في شرح نهج البلاغة للخوئي ، فقد نقل الشارح آقا ميرزا محمد باقر كمره اي في كلامه : هذه العبارة عن ابن أبي الحديد ، و أضاف : إنّ ابن ميثم قد أضاف عثمان بن مظعون إلى الجماعة المحتملين الذين ذكروا ، ثمّ قال : و إذا ما صحّ احتمال ابن أبي الحديد فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام ينبغي عدّه مبتكر فنّ كتابة القصّة الحديثة (القرن الرومانطقي) و الروايات التمثيلية .

أقول : لم أجد زيادة عثمان بن مظعون في شرح ابن أبي الحديد ، لا في طبعة الأُفست بيروت ذات العشرين مجلداً ، و لا في الطبعة ذات المجلدات الأربع ج ٤ ، ص ٣٧٩ .

وَ كَانَ ضَعِيفًا مُسْتَضْعَفًا فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثٌ غَابٌ^١ وَ صِلٌ وَادٍ ،
لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِيًا .
وَ كَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ .
وَ كَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ . وَ كَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ ، وَ لَا يَقُولُ
مَا لَا يَفْعَلُ . وَ كَانَ إِذَا غُلِبَ^٢ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ .
وَ كَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ . وَ كَانَ إِذَا بَدَّهَهُ
أَمْرَانِ نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ .
فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلَائِقِ فَالزُّمُوهَا وَ تَنَافَسُوا فِيهَا ؛ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا
فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخَذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ^٣ .
و هذه الفقرة من كلام أمير المؤمنين شبيهة بكلام رسول الله صلى
الله عليه و آله القائل :
وَ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ^٤ .

١- أورده في نسخة نهج البلاعة للملا فتح الله بلفظ «وليث غاد» أي : غاضب مُسرع ،
و قال : و قد روي أيضاً بلفظ «و ليث غاد» بالعين المهملة المشتقة من عدد ، و قد رواه ابن أبي
الحديد أيضاً بالعين المهملة . أمّا في «شرح نهج البلاغة» لابن ميشم البحراني و لمحمد عبده
فقد رواه بلفظ «ليث غاب» .

٢- ورد في نسخة ابن ميشم و ابن أبي الحديد و الملا فتح الله و شرح الخوئي الذي
أتمه الكمره اي : «و كان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت» ؛ أمّا في شرح النهج
لمحمد عبده فقد أورد هذين الفعلين على صيغة المعلوم : «و كان إذا غلب على الكلام لم
يغلب على السكوت» . إلا أن الرواية الأولى أنسب .

٣- «شرح نهج البلاغة» عبدة ، طبع مصر ، المجلد الثاني ، ص ٢٠٥ و ٢٠٦ .

٤- أورد الغزالي هذا الحديث في «إحياء العلوم» الباب العشرين ، من آفات اللسان ،
المجلد الثالث ، ص ١٤١ .

و أصل الحديث : «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم»

و يُستنتج من مجموع هذه المطالب التي ذكرت في شأن أولياء الله أنهم أفراد أوكلوا كل ثرواتهم الوجودية إلى الله سبحانه و صاروا في مرتبة التسليم الكلّي ، و فوضوا إليه تعالى وجودهم واختيارهم حقاً ، فصاروا في هذه المرتبة و الدرجة مصونين من جميع الحالات التي تعتري الشخص المحتضر ، كما صاروا في أمان من جميع مراحل السؤال و عذاب القبر و العرض و عذاب يوم القيامة .

المطيعون لأولياء الله يتحدون معهم

و يلزم هنا بيان نكتة مهمّة ، و هي أنّ الذين يطيعون أولياء الله يصيرون في زمرتهم ، و يُصرف عنهم عذاب القبر أيضاً . و قد ورد في الآيتين ٦٩ و ٧٠ من سورة النساء :

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ وَ الشّٰهِدَاءِ وَ الصّٰلِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلِيَٰكَ رَفِيقًا * ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كَفَىٰ بِاللّٰهِ عِلِيْمًا .

و هاتان الآيتان تبعثان كثيراً على البهجة و الأمل في قلوب الناس ، بأنهم و إن لم يُدركوا مرتبة الولاية الإلهية ، إلّا أنهم يجدون المعية مع أولياء الله بطاعتهم لهم ، كما أنهم سيُحشرون معهم و يصبحون جلساءهم و مصاحبينهم . فما هو السرّ في هذا الأمر ؟

و اختلافهم على أنبيائهم ، ما نهيتكم عنه فاجتنبوه و ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» . وقال زين الدين العراقي في هامش الصفحة في كتاب «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» : و هو تخريج قام به لأحاديث إحياء العلوم : هذا الحديث متفق عليه من طريق أبي هريرة .

السّر في ذلك أنّ معنى إطاعة المطيع للأمر المطاع يتمثل في تنصّل المرء من إرادته في العمل الذي أوكل إليه ، فلا اختيار له فيه و لإرادة ، بل أنّ إرادة الأمر و اختياره قد حلّا محلّها ، و هذا هو معنى الطاعة .

فالطفل - مثلاً - حين يطيع أباه ، فإنّته يُصغي إلى كلّ ما يقوله له ثمّ يعمل وفقاً له ، و للطفل اختيارات في مأكله و مشربه و ملبسه و محلّ استراحته و لعبه مع أترابه كثيراً ما تؤدي إلى الإضرار به أو إلى هلاكه ، فهو بطاعته لأبيه يتخلّى عن إرادته و اختياره لتحلّ إرادة الأب و اختياره بدلها ، فيقال عندئذ إنّ للأب مقام الولاية و للطفل مقام الطاعة .

كما أنّ الطفل حينما يذهب إلى المدرسة فإنّته يضع نفسه ، في جميع حالاته و حركاته و سكناته تحت اختيار و إرادة أستاذه ، فيتعلّم تحت إشرافه .

و مع أنّ الطفل يرغب في جميع الأحوال باللعب و العبث و العدو خلف رفيقه و في تناول الحلويات ، فهذا هو اختياره ، إلّا أنّ أستاذه يقيّده بالجلوس في الصفّ فيقوم بتعليمه ، و على الطفل في جميع هذه الحالات أن يطيع أمره ، فيقوم عوضاً عن إرادة اللعب و تناول الحلوى بإرادة كتابة ما يُعهد إليه و بالقراءة و المطالعة .

كما أنّ من يطيعون الله و رسوله قد استبدلوا و نقّذوا في أذهانهم إرادة الله و رسوله بدل إرادتهم و اختيارهم في جميع أمور المعاش و المعاد ، في الأمور الفرديّة و الاجتماعيّة ، و في أمور العبادات و المعاملات .

و قد أثبتنا من جانب آخر أنّ أولياء الله هم أولئك الذين قدّموا لله كلّ ما يملكون ، و غرقوا في الأسماء الكليّة و صفات الحضرة الأحديّة ، فلا افتراق بينهم و بين خالقهم ، أولئك الذين لا نفس لديهم و لا إتيّة و لا شخصيّة ، كلّ ما هو موجود : الاندكاك في الأسماء الحُسنى و الصفات

العليا للخالق سبحانه . و ما هو موجود : الخالق المتصرف في وجودهم .
ولذلك فإن أولئك الذين يطيعون الله يصبح الله وليهم ، سيصبح النبيون
والصديقون والشهداء والصالحون - الذين هم أولياء الله - أولياءهم ، لأن
الله وليهم . و ذلك لأنه ليس هناك بين الله وبين أوليائه تفاوت ولا افتراق
من وجهة نظر الإتيية ، و ليس هناك فاصل مميز بينهم ؛ و على هذا الأساس
فإن الله هو ولي المطيعين ، و جميع أولياء الله سيكونون أولياءهم أيضاً .
يقول الملائكة لهم :

نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ .^١

و أساس بُرهان هذا المطلب أن ولاية الله أمرٌ واحد لا يقبل التعدد ،
و ولاية أولياء الله هي في الحقيقة عين ولاية الله تعالى . يشهد على هذا
المعنى أن الولاية قد حُصرت في بعض آيات القرآن الكريم بالذات
المقدسة للخالق سبحانه ، كآية ٢٥٧ من سورة البقرة :

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

و الآية ٦٨ من سورة آل عمران :

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ .

و كآية ٥١ من سورة الأنعام :

لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ .

و الآية ٢٦ من سورة الكهف :

مَا لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدٌ .

و الآية ٤٤ من نفس السورة :

هُنَالِكَ لَوْلِيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَ خَيْرٌ عُقْباً .

١- الآية ٣١ ، من السورة ٤١ : فصلت .

كما نُسبت الولاية في بعض آخر من الآيات مع الله سبحانه لسواه
و أُثبتت للنبيّ و أمير المؤمنين عليهما السلام و بعض المؤمنين الحقيقيين
المخلصين ؛ كما في الآية ٥٥ من سورة المائدة :
إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ .

و قد وردت الروايات المتظافرة من الشيعة و العامة أنّ هذه الآية
نزلت في شأن أمير المؤمنين عليه السلام :
و كالآية ٦ من سورة الأحزاب :
النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ .
و الآية ٧١ من سورة التوبة :
وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ .

وعلة ضم النبيّ و أمير المؤمنين و بعض المؤمنين في مقام الولاية
الكلية الوجدانية الإلهية هو ما ذكرناه ؛ و مع وجود وحدة الولاية الإلهية
مع ولاية هؤلاء ، فلن يوجد هناك انشلال و انشقاق في الأمر .
و هكذا فإنه تبعاً للآية التي تُلحق المطيعين بأولياء الله من النبيين
و الصديقين و الشهداء و الصالحين ، فإنّ جميع الشيعة و الأتباع سيُلحقون
بأوليائهم و سيكونون في أمان من المؤاخذه و من سكرات الموت
و مهولات العوالم بعده .

و الحق أنّ هذا المعنى يبعث على غبطة الشيعة و الأتباع الحقيقيين
من أنّهم بالرغم من عدم وصولهم جميعاً إلى مقام الأسماء و الصفات
الكلية الإلهية ، و عدم طيهم لمراحل عالم التجرد و المعنى ، و عدم انكشاف
الحُجب الغيبية لهم ، و بالرغم من عدم ارتباطهم بالملائكة المقرّبين
و الأرواح الطيبة لمنزهي العالم ، و عدم مشاهدتهم للجنة و مقاماتها

ومنازلها؛ إلا أن عليهم الابتهاج في أنهم قد خطوا خطوات راسخة في مقام التشيع والطاعة، فإن طاعتهم هذه ستجعلهم يلتحقون بأولياهم وتوصلهم إليهم وتجعلهم يأمنون الأخطار والمحن ويتنعمون في ظل ولاية أولياهم.

والأمر كذلك في الأمور الاعتبارية، فقد ورد في روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن أطعموا خدمكم وجواريككم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون، وأجلسوهم معكم في طعامكم وعلى موائدكم، فإن الله سبحانه لا يحب أن يكون لرب البيت طعام خاص ولخدمه طعام آخر، أو أن يعيش السيد في غرفة فخمة فاخرة ويعيش هؤلاء في محل وضيع، أو أن يرتدي السيد الملابس الفخمة ويلبسون البسيط من اللباس. لقد كان نبينا صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين يعيشون على هذا النحو^١. وكان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام يجلس معه جميع مماليكه على مائدته فيجلسون على فراش واحد وعلى أرض واحدة ويتناولون طعاماً واحداً^٢.

١- أورد الشيخ الطبرسي في «مكارم الأخلاق»، فصل «الدعاء عند اللبس»، ص ٥٣ من الطبعة الحجرية رواية مفصلة عن مختار التمار، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيها أن الإمام ذهب مع غلامه قنبر إلى سوق الكرابيس فاشترى ثوبين، أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين، فأعطى الذي بثلاثة إلى قنبر ولبس الذي بدرهمين، فقال قنبر: أنت أولى به، تصعد المنبر وتخطب الناس. قال: وأنت شاب ولك شرة الشباب، وأنا أستحي من ربي أن أتفضل عليك. سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ألبسوههم مما تلبسون وأطعموههم مما تأكلون. وقد ورد نظير هذا الحديث في ص ٥٩ من هذا الكتاب.

٢- أورد في المجلد ١٢ من «بحار الأنوار»، طبعة الكمباني في كتاب تاريخ الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام، ص ٢٦، عن كتاب «عيون أخبار الرضا»، عن جعفر بن نعيم بن شاذان، عن أحمد بن إدريس، عن إبراهيم بن هاشم، عن إبراهيم بن عباس، قال: ...حتى

إِنَّ أَوْلَئِكَ الْخُدَمَ وَ الْمَمَالِيكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَقَامُ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا غُلَمَانًا مُطِيعِينَ ، فَأَبَى الْإِمَامُ أَنْ يَطْعَمَ طَعَاماً فَلَا يَشْرِكُهُمْ فِيهِ .

و لو اتَّفَقَ تَمَرَّدُ الْغُلَامِ وَ تَجَرَّأَ فَوْثُبُ أَمَامِ مَوْلَاهُ وَ ضَرَبَ أَحَدَ أَطْفَالِ الْمَنْزِلِ وَ اعْتَدَى عَلَى رَبَّةِ الْبَيْتِ ، لَعَاقَبَهُ رَبُّ الْبَيْتِ وَ لَقَيْدَهُ بِالْأَغْلَالِ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ حَتَّى يَثُوبَ إِلَى عَقْلِهِ فَيَكْفَ عَنْ تَمَرَّدِهِ وَ اعْتِدَائِهِ ، وَ لَجَلَدَهُ بِالسُّوْطِ كُلِّ يَوْمٍ بَعْدَ نُصْحِهِ وَ تَوْبِيخِهِ عَلَى مُوَاجَهَتِهِ لَهُ وَ تَمَرَّدِهِ عَلَيْهِ بَدَلاً مِنْ طَاعَتِهِ وَ الْإِتْقَادِ إِلَيْهِ ، وَ عَلَى اسْتِبْدَادِهِ فِي عَمَلِهِ وَ نَزْوَعِهِ إِلَى الْإِسْتِقْلَالِ وَ الْعَصِيَانِ .

و مَهْمَا عَمِلَ هَذَا الْغُلَامُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَشْفَعَ لَهُ أَوْ يُجَدِّدَ نَفْعاً ، أَيْ أَنَّ عَمَلَهُ لَنْ يَكُونَ صَالِحاً إِذَا اقْتَرَنَ بِتَمَرَّدِهِ عَلَى مَوْلَاهُ وَ عَصِيَانِهِ لَهُ . أَمَّا الْغُلَامُ وَ الْعَبْدُ الْمُطِيعُ وَ خَادِمُ الْمَوْلَى فَإِنَّ الْمَوْلَى وَ الْإِمَامَ يَحِبُّهُ كَنَفْسِهِ .

الغلام المطيع يقول بلسان حاله : سيدي ! مولاي ! ليس لي علمك ، وليس لي مالك و ثروتك ، و ليس لي قدرتك و لا كمالاتك و فضائلك ، لكنني قدمتُ إلى هذا الفناء لأطيع ، فليس لي إرادة و اختيار معك ، بل

➡ يصل إلى قوله :

و كان إذا خلا و نصبت مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه حتّى البواب و السائس . و يروي في ص ٢٩ عن «الكافي» عن عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد البرقيّ ، عن عبد الله بن الصلت ، عن رجل من أهل بلخ قال : كنتُ مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان ، فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان و غيرهم ، فقلتُ : جعلتُ فداك لو عزلتَ لهؤلاء مائدة . فقال : مه إنّ الربّ تبارك و تعالى واحد و الأمّ واحدة و الأب واحد و الجزاء بالأعمال .

الإرادة و الاختيار لك ، و الحكم و الأمر اليك .

بندگانيم جان و دل برکف چشم بر حکم و گوش بر فرمان
گر سر صلح داری اينک دل و سر جنگ داری اينک جان^۱
تماماً کمثل القصّة المشهورة لأباز و مولاه السلطان محمود الغزنوي
التي سّطرت في التواريخ و الأمثال .

إنّ الشيعة الذين لا يدّخرون وسعاً في طاعة مواليتهم ، و الذين يتحلّون
بلباس التقوى ، و الذين هم أهل التفويض و التسليم . سيُلحقون بأئمتهم
و سيُنعمون بالمرافقة معهم في جميع المنازل و المراحل .
و لقد أمرنا أنمّتنا أن نُطعم خدمنا و مطيعينا في الدنيا ممّا نأكل ، فأنتى
لهم أن يحرموا هم أيضاً المخلصين و المطيعين لهم من النعم الإلهيّة التي
يتمتّعون بها .

مَا هَكَذَا الظَّنُّ بِهِمْ وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِهِمْ وَلَا مُشَبِّهٌ لِمَا عَامَلُوا
بِهِ الْمُحِبِّينَ وَالْمُطِيعِينَ مِنْ مَوَالِيهِمْ .

إنّ إلحاق المطيعين بأولياء الله هو نصّ الآية القرآنيّة ؛ كما ورد في
مفاد روايات كثيرة في هذا الباب عن أنّ الاستار تزاح من أمام عين المؤمن
أثناء سكرات الموت فتحضر أمامه الأرواح المقدّسة لرسول الله
و أمير المؤمنين و الصّدّيقة الكبرى و الحسين و سائر الأئمة عليهم السلام
بصورهم المثاليّة و البرزخيّة فيقولون له : نحن رفقاًؤك فتعال نذهب معاً
لنسكن الجنان و لنعيش سوياً في جميع الأحوال متصاحبين متجالسين في

١- يقول : «نحن عبيدٌ ، أرواحنا و قلوبنا على أكتفنا ، عيوننا ترقب الحكم و آذاننا الأمر

والنداء .

إن شئت صلحاً فهناك قلوبنا ، أو شئت حرباً فهناك أرواحنا !»

قصر واحد في مقام الأمن ، مشغولين بالتطلع إلى بعضنا في الجلوات الإلهية عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (الآية ٤٧ من سورة الحجر ، والآية ٤٤ من سورة الصافات) ؛ وقد وردت روايات جمّة (كثيرة) في هذا الشأن بحيث فاقت حدّ الإحصاء .

و قد وَرَدَتْ في المجلّد الثالث من كتاب «بحار الأنوار» للمرحوم المجلسي رضوان الله عليه - وهو في باب العدل و المعاد حيث خصّص نصفه لبحث هذه الموضوعات ، وردت مئات الروايات المنقولة عن «الكافي» و «من لا يحضره الفقيه» ، و «الأمالي» للشيخ المفيد ، و «الأمالي» للشيخ الصدوق ، و «الأمالي» للشيخ الطوسي ، و «الاحتجاج» للشيخ الطبرسي ، و «الدعوات» للراوندي ، و «جامع الأخبار» ، و «محاسن البرقي» ، و «الاختصاص» للشيخ المفيد ، و «معاني الأخبار» ، و «عيون أخبار الرضا» وغيرها ، في أنّ المؤمن يتشرف عند موته بلقاء أئمّته الذين يأخذونه معهم إلى الجنة .

و قد نقلنا رواية في المجلس السابق ، و نقل اليوم أيضاً رواية أخرى ، و ذلك لأنّنا إذا شئنا بيان جميع الروايات الواردة في هذا الشأن و البحث فيها لانقضى شهر رمضان بأكمله و بقينا نبحث حول مسألة سكرات الموت فقط . يروي المرحوم الكليني في كتاب «فروع الكافي» عن عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن سدير الصيرفي قال : قُلْتُ لأبي عبد الله عليه السلام : جُعِلْتُ فداكَ يا بن رسول الله ! هل يُكْرَهُ المؤمنُ على قبض رُوحه ؟ قال : لا وَاَللَّهِ ! إنّه إذا أتاَهُ مَلَكُ الموتِ لِقْبُضِ رُوحِهِ جَزَعٌ عند ذلك ، فيقولُ له مَلَكُ الموتِ : يا وَلِيَّ اللَّهِ لا تَجْزَعْ ، فوالذي بعثَ محمّداً صَلَّى الله عليه و آله لَأَنَا أَكْبَرُ بِكَ وَأَشْفَقُ عَلَيْكَ من والدٍ رحيم لو حضرك . افتحْ عينيك وانظر !

معية أصحاب سيد الشهداء عليه السلام له وقصة جون العبد الجيش الاسود المجلس التاسع

قال : و يُمثّل له رسولُ الله صلّى الله عليه وآله و أمير المؤمنين و فاطمةُ و الحسنُ و الحسينُ و الأئمةُ من ذرّيتهم عليهم السلام ، فيقول له : هذا رسولُ الله و أمير المؤمنين و فاطمةُ و الحسنُ و الحسينُ و الأئمةُ عليهم السلام رفقاؤك .

قال : فيفتح عينه فينظر فينادي روحه منادٍ من ربّ العزة فيقول :
يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (إِلَى مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً (بِالْوِلَايَةِ) مَرْضِيَةً (بِالثَّوَابِ) فَأَدْخُلِي فِي عَبْدِي (يَعْنِي مُحَمَّدًا وَ أَهْلَ بَيْتِهِ) وَ ادْخُلِي جَنَّتِي . فَمَا شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ اسْتِلَالِ رُوحِهِ وَ اللُّحُوقِ بِالمُنَادِي^١ .

و قد وردت رواية في تفسير «العتاشي» و هو من نفائس كتب الشيعة ، و يعدّه البعض من أهل الفن أوثق و أكثر اعتباراً من كتاب «الكافي» ، إلا أنّه و للأسف الشديد ليس في متناول اليد غير نصف هذا الكتاب فقط من أوّل القرآن إلى سورة الكهف ، أمّا نصفه الآخر فلم يُعثر على نسخة منه في أيّ من المكتبات الموجودة . عن عبدالرحيم قال : قال أبو جعفر عليه السلام :

إِنَّمَا أَحَدُكُمْ حِينَ يَبْلُغُ نَفْسُهُ هَيْهَنَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ : أَمَّا مَا كُنْتَ تَرْجُو فَقَدْ أُعْطِيتَهُ ، وَ أَمَّا مَا كُنْتَ تَخَافُهُ فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْهُ ، وَ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى مَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ ، وَ يُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَسْكَنِكَ فِي الْجَنَّةِ ، وَ انْظُرْ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ وَ عَلِيٌّ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ رَفَقَاؤُكَ ، وَ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ : الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي

١- «فروع الكافي» ، كتاب الجنائز ، باب : «أنّ المؤمن لا يُكره على قبض روحه» ،

الطبعة الحجرية ، ج ١ ، ص ٣٥ و ٣٦ ؛ والطبعة الحيدريّة ، ج ٣ ، ص ١٢٧ و ١٢٨ .

الْآخِرَةُ ١.

و هذه الأمور جميعاً نتيجة الطاعة ، و هذا هو اللقاء و الرفقة و المعية في الوهلة الأولى ، و سيذكر بالترتيب إن شاء الله تعالى ما سيلقاه المؤمنون طوال عالم البرزخ و القيامة .

لقد وجد أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام بأجمعهم المعية و المصاحبة له ، حتّى ذلك الغلام الأسود ، فقد كان لسيّد الشهداء عليه السلام غلام اسمه جون كان مولى لأبي ذرّ الغفاريّ فوهبه للإمام ، و كان له مهارة في إصلاح الأسلحة .

و ليلة عاشوراء كان الإمام جالساً في خيمته يترنّم بهذه الأبيات :

يَا دَهْرُ أَفْ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ كَمْ لَكَ بِالْإِشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ
مِنْ صَاحِبٍ وَ طَالِبٍ قَتِيلٍ وَالْدَّهْرُ لَا يَنْقُوعُ بِالْبَدِيلِ
وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكٍ سَبِيلِ ٢

و كان هذا الغلام مشغولاً بإصلاح سلاح الإمام ، فبشّر الإمام أصحابه جميعاً أنّهم سيكونون معه في العوالم الأخرى . و لم يصدّق الغلام الأسود أنّ الله سبحانه سيحشره مع الإمام الحسين يوم القيامة . فقد كان عبداً يلقه السواد من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، و كان في لسانه لكنة ، و كان ينتمي إلى بلد آخر ، و لم يكن له قوام متناسب ، و كانت شفّته غليظتين كبيرتين و شعر رأسه مجعّد خشناً . إلّا أنّ هذه الأمور ستُزال جميعاً ، فهناك في عالم المعنى اتّحاد للأرواح ، هناك حيث يُزال عنه السواد ، فيلبس لباساً

١- «بحار الأنوار» ، طبعة الآخوند ، المجلّد السادس ، ص ١٧٧ و ١٧٨ .

٢- «الإرشاد» للمفيد ص ٢٥١ ؛ «اللهوف» الطبعة الحجرية ، ص ٧١ ؛ و «مقتل سيّد الشهداء» للسيّد عبدالرزاق المقرّم ؛ و أضاف في اللهوف نصف البيت هذا : مَا أَقْرَبَ الْوَعْدَ مِنَ الرَّجِيلِ .

أبيض ، و يصبح بدنه أبيض براقاً كاللجين .

و لقد قدموا ليلة الحادي عشر من المحرم ليفصلوا باقي الرؤوس عن أجسادها ، فأوا إلى جانب القتلى بدنأ ملقى يلمع كالفضة (لا يوجد هذا لا في «مقتل المكرم» ولا في «ابصار العين في أنصار الحسين عليه السلام») و الرائحة العطرة تتصاعد فواحة منه ، رائحة لم تُصافح أنفاسهم قبل كمثليها ، كان هو بدن ذلك الغلام الأسود ، فقد كان أسود فصار أبيض فضياً ، و صارت رائحته زكية عطرة ، فقد ألحق بمولاه المُطاع سيد الشهداء عليه السلام .^١

كيف ألحقت فضة خادمة الزهراء سلام الله عليها بمولاتها فشملتها سورة «هل أتى» التي نزلت في شأن أهل البيت ؟

و كذلك سلمان الفارسي الذي ألحق أثر الطاعة و التسليم لأهل بيت رسول الله بهم ، فقال عنه النبي سلمان من أهل البيت .

و لدينا باب في المعارف باسم : باب اللحوق ؛ في أنّ الأرواح المتجانسة تلتحق ببعضها ، سواء في ذلك الأرواح التي تُساق إلى الجنة ، أو التي تُساق إلى النار .

و لقد ألحق أصحاب سيد الشهداء عليه السلام بمولاهم أيضاً ، فكانوا يتسابقون يوم عاشوراء بمنتهى التسليم و صفاء الباطن فيفدون أرواحهم لمولاهم .

و لقد أدركوا جميعاً درجة معيتهم للإمام : الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ كَانُوا

١- مقتل المكرم ص ٢٨٩ ؛ و ينقل عن مقتل «العالم» ص ٨٨ أنّ الإمام كان قد دعا له : اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ ، وَ طَيِّبْ رِيحَهُ ، وَ احْشُرْهُ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، وَ عَرِّفْ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ . فكان كل من يمر بالمعركة يشم منه رائحة طيبة أذكي من المسك .

يَتَّقُونَ .

و لقد رحلوا جميعاً ملتبين نداء ذلك المنادي ، و أيّ منادٍ ؟ ذلك الذي
ينادي من قبل الرب سبحانه :

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ .

و لم يكن لديهم خوف و لا حزن ، فقد نسوا الأزواج و الأولاد
و المِلک و التجارة و الوطن ، نسوا کل ما کان لديهم .

قال بریر : أين أنصرف ؟!! و تکلم حبيب ، و تکلم أولاد عقيل ،
و تکلم الإخوة ، و كانوا جميعاً عشاقاً للقتل فداءً لابن رسول الله .

لِلَّهِ دَرَهُمْ مِنْ فِئْتِهِ صَبَرُوا مَا إِنْ رَأَيْتُ لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالاً
و ما أجمل ما أنشد الشاعر :

دادیم به یک جلوه رویت دل و دین را

تسلیم تو کردیم هم آن را و هم این را

ما سیر نخواهیم شد از وصل تو آری

لب تشنه قناعت نکند ماء معین را

می دید اگر چشم ترا لعل سلیمان

می داد در اوّل نظر از دست نگین را

در دایره تاجوران راه ندارد

آن سر که نسائیده به پای تو جبین را^۱

۱- يقول : « فدينا لإشراقه واحدة لطلعتك القلب والدين كليهما ، و سلمنا إليك طوعاً
هذا و ذاك .

لن نرتوي قط من وصالك يوماً ، فالشفة الظمأى لا تقنع بالماء المعين وحده .

أبدع في شعره حين قال:
 أي حمد تو از صبح ازل هممنفس ما
 کوتاه ز دامان تو دست هوس ما
 با قافله کعبه عشقیم که رفته است
 سرتاسر آفاق صدای جرس ما
 در پای تو آلوده لب از می چه بیفتیم
 رانند ملائک به پیر خود مگس ما^۱

لو شاهدت عینیک یاقوتة سلیمان ، لأعطاک فصّ خاتمه من النظرة الأولى .
 و لن یجد إلى دائرة الملوك ذوي التيجان سبيلاً ، رأس لم یمرّغ جبینه على قدمیک.»
 ۱- یقول :
 «یا من تردّد مدیحك منذ صبح الأزل مع أنفاسنا ، وكانت أوها منا تقصر عن نیل فضل
 ردائك .
 لقد طَبّق الآفاق صوت جرسنا المتصاعد مع قافلة العشق الراحلة .
 و لو تهاوينا على أقدامك بشفاهنا المدنّسة بالخمير ، لَطَرَدَتْ ذُبَابِنَا ، بأجنحتها
 الملائكة.»

لَمَجْلِسِ الْعَاشِرِ

لِحَقِّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَالْمُتَكِبِينَ بِأَوْلِيَاءِ

الشَّيْطَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

و صلى الله على محمد وآله الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بِئْسَ
الْقَرَارُ ١.

إنّ الدنيا التي نعيش فيها دنيا امتزج بها الحسن و السيّء ، و هناك
أفراد في هذه الدنيا امتزج فيهم الحسن و السيّء فلم يتميّزا من الوجهة
الظاهريّة ، إلّا أنّ البواطن تختلف و تمتاز عن بعضها . فهناك البعض ممّن
لهم باطن حسن ، بينما البعض الآخر لهم باطن سيّء ؛ و كما أنّ باطن البعض
يغلب على ظاهرهم ، بينما ظاهر البعض الآخر يغلب على باطنهم . و هناك
البعض الآخر ممّن تتساوى لديهم الحسنات و السيّئات . و يمكن أن تتغيّر

١- الآيات ٢٧ إلى ٢٩ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

البواطن إثر الأعمال الصالحة أو الأعمال السيئة ، فيصبح الباطن الحسن سيئاً و يصير الباطن السيء حسناً ، كمثّل الفاكهة التي يتسرّب التلف إلى بقعة صغيرة فيها ، فإذا ما استؤصلت تلك البقعة بقيت الفاكهة سالمة ، و إلاّ سرى التلف إلى جميع الفاكهة فأتلفها .

إنّ الأفراد الذين يمتلكون باطناً جيّداً هم الذين قد آمنوا بالله و عمروا باطنهم إلى حدّ ما بالأعمال الصالحة و ذلك باتباع رسول الله ، إلاّ أنّ من الممكن أن تصدر منهم أعمالاً قبيحة أحياناً . كما أنّ الأفراد الذين يمتلكون باطناً سيئاً قد أشركوا و كفروا و انهمكوا بالفسق و الفجور ، إلاّ أنّ من الممكن أيضاً أن تصدر منهم أعمالاً حسنة أحياناً . فما الذي ستكونه عاقبة هاتين المجموعتين يا ترى ؟ و هل سيأخذون معهم عند رحيلهم من هذه الدنيا هذه الأعمال الحسنة و الأعمال السيئة بشكل منفصل ؟ و ما الذي سيكون عليه مقامهم و منزلتهم ؟

أو هل أنّ عالم ما بعد الموت هو الآخر عالم تمتزج فيه الحسنات و السيئات ؟ أو تمتزج هناك الحسنات و السيئات ، المعصية و التقوى ، النور و الظلمة ، السعادة و الشقاء مع بعضها فتتحرك سوياً في مصافّ بعضها ؟ أم أنّ العالم هناك عالم يمثل السعادة و النور المحضين ، فهو جنة و فرح و محض لذة للصادقين ، لا غلّ و لا غشّ و لا كدر فيه أبداً ؛ و سيكون كمصداق للآية ٤٣ من سورة الأعراف :

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ .

و للآية ٤٧ من سورة الحجر :

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ .

أو أنّه ظلّمة محضة و كدر و غلّ محض و شقاء لا يشوبه سعادة للخاسرين والضالّين و المسيئين .

إنّ الناس السعداء و الأشقياء ليسوا منفصلين عن بعضهم في الدنيا ، بل إنّ السعادة الكاملة و الشقاء الكامل ليسا مشهودين في كلّ واحد من أفراد الناس ، بل إنّ ذلك شيء يتعلّق بما سيفعلونه بمرور الأيام ، و بالمبدأ الذي سينزعون إليه مستقبلاً ، و بما ستكون عليه عاقبتهم في الختام ؛ ألسعادة سيذهبون أم للشقاء ؟

و مادام الإنسان يعيش في عالم التكليف ، و مادام مشرفاً من قبل الخالق بهذا الشرف ، فإنّ احتمال السعادة و الشقاء سيكون وارداً بالنسبة له ، و لن يكون بمقدور أحد أبداً أن يعدّ نفسه من السعداء أو من الأشقياء . إنّ الحسنات و السيئات ، و الإلهامات الربّانية و الخواطر الشيطانية ممترجة في داخل الأفراد ، فهناك معجون من أجزاء هذه المتضادات في نفس كلّ فرد . و بغضّ النظر عن هذا فإنّ أفراد البشر يعيشون في الدنيا على أساس من الحياة الماديّة ، فيأمنون ببعضهم البعض ، و يعيشون في بيت واحد . و ما أكثر ما جلس الأفراد الأشقياء و السعداء على مائدة واحدة ، باطن أحدهم ظلمة محضة و باطن الآخر نورٌ صرف ؛ يميل باطن أحدهم إلى الإنفاق و الإيثار ، و ينزع باطن الآخر إلى الجُحْل و الإمساك .

و لأنّهم محدودون في هذه الدنيا ، و لأنّ الظاهر له الغلبة على الباطن ، و لأنّ حواس الإنسان من الذوق و الشمّ و السمع و البصر و اللمس هي و سيلة ارتباط الإنسان بهذا العالم ، فإنّ الإنسان يتمكّن فقط من إدراك الظاهر ، في حين تخفى عليه البواطن و النوايا و السرائر .

أمّا عند الارتحال و الموت ، و حين يستعدّ الإنسان للهجرة و الرحيل ، فإنّه يوضع في محكّ يفصل الحسنات عن السيئات ، و بمجرد أن يصل الإنسان إلى نقطة الموت و يفقد فيها اختياره و إرادته الدنيويّة ، فإنّه سيواجه هناك أمّا عالم الخير المحض أو عالم الشرّ المحض ، فهو إمّا

سالك طريق الجنة أو منكفئ في طريق النار، وليس هناك من معنى للشك والاختلاط بعد عالم الموت.

و بواسطة ذلك المحك الإلهي فإن حسنات كل امرئ ستجبه إلى عالم الحسنات، في حين تتحرك سيئاته إلى عالم السيئات.

ذلك العالم هو عالم ظهور الخفيات و بروزها، وهو عالم كشف البواطن و السرائر، تذهب فيه البواطن الحسنة إلى الجنة، و البواطن السيئة إلى جهنم، فيزول هذا الاختلاط و الامتزاج بين الحسنات و السيئات. هناك عالم تتجمع فيه الحسنات إلى بعضها، و السيئات إلى بعضها، فهي تتجزأ عن بعضها كما يحصل في تجزئة الماء و تحلله إثر مرور شرارة كهربائية إلى غازين مختلفي الهوية.

فهذان الغازان ما كانا منفصلين عن بعضهما، إلا أنهما فصلا في شروط معينة إثر مرور الشرارة التي جعلت أحد الغازين يتجه إلى قطب، و الآخر المختلف عنه في هويته و جنسه إلى قطب آخر.

إن الشخص الجميل الذي له ظاهر ملوث في الدنيا، ملابسه قذرة و بدنه متسخ و وجهه مغطى بغبار الفحم، فإنه بالنظر إلى جمال شمائله و حسن شكله الحقيقي ينبغي أن يؤخذ فيُغسل في الحمام و تُزال عنه الأدران و الكدورات و تُبدل ملابسه لتتشخص حقيقته جهاً و عياناً.

كما أن هناك أشخاصاً قبيحي المنظر مُنفري السحنة، إلا أنهم زينوا أنفسهم بزينات مختلفة و احتلوا مكان الجميلين و سيمي الطلعة. أولئك أيضاً سيؤخذون إلى الحمام فتغسل الزينة ليظهر شكلهم الواقعي على حقيقته، ثم يُقال لهم: اذهبوا إلى من يُماثلونكم.

إن الأفراد الذين أحيوا باطنهم و عمروه بالإيمان بالله و العمل الصالح، و الذين تجملوا بالجمال الإلهي سيكون مكانهم الجنة، لأن باطنهم

انفصال الحسنات عن السيئات عند التجرد و الموت و لحوق كل منها بأصله المجلس العاشر

جميل و حسن ، و الباطن مركز ترشح العواطف و الأحاسيس الإنسانية ،
كالمروءة و العدل و العبودية لله سبحانه ؛ يئد أن ظاهر هؤلاء قد تلوث
وتدنس بسبب المعاصي التي بدرت منهم أحياناً ، إلا أن هذه المعاصي لم
تسر إلى الباطن بل شملت الظاهر وحده ، لذا فإن أمثال هؤلاء يجب أن
يُغسلوا . و هكذا فإنهم يطهرون وينزهون بواسطة المشاكل التي
يواجهونها في الدنيا ، و بالمصائب التي ترد عليهم ، و بظهور الأمراض ،
و بسكرات الموت و قبض الروح ، و مجيء منكر و نكير ؛ و حين يطهرون
فإنهم سيذهبون فيلتحقون بالأطهار .

أما أولئك الأفراد الذين تدنس باطنهم في الدنيا بالشرك و الكفر ،
و الذين أفسدوا ذلك الباطن و أتلّفوه بالعمل السيء و بالاعتداء على حقوق
الناس و التعدي على حريم الله سبحانه ، ثم جمّلوا ظاهرهم أحياناً ببعض
الأعمال الحسنة ، إلا أن هذه الزينة لم تتمكن من النفوذ إلى باطنهم
لتصلحه ، فإنّ هذا الحجاب الظاهري و هذا الستار سيُزاح جانباً بلذّة مؤقته
ونعمة سريعة الزوال ، أو بامتحان بسيط يمرّون به ، فيبرز باطنهم الملوّث
بصورته الحقيقيّة و يُقال لهم : اذهبوا فالتحقوا بالملوثين .

ذرّه ذرّه كاندرين أرض و سماست

هر يكي همجنس خود را كهرياست

نوريان مر نوريان را طالبند

ناريان مر ناريان را جاذبند^١

١- يقول : «إنّ كلّ ذرّة في باطن الأرض أو في السماء ستجذب أمثالها في الجنس

كالمغناطيس .

فأهل النور يسعون إلى أمثالهم ، و أهل النار يجذبون أشباههم» .

لحوق الذنب بأصله و الطاعة بأصلها

إنَّ المؤمن الذي زَيَّن باطنه بالإيمان و لوازمه ، و الذي قد يحدث أن يتلوَّث ظاهره بالمعصية أحياناً ، ستنفصل عنه المعصية بشرارة كهربائية ملكوتية تتصل به ، فيخلق ذلك الباطن الجميل الحسن إلى محلّه الحقيقي **فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ** ^١.

كما أنَّ الكافر الذي زَيَّن ظاهره ببعض الأعمال الصالحة و الأخلاق الحميدة ، إلّا أنَّ باطنه فاسد متعَدُّ متجاوز ، سيمرّ هو الآخر بامتحان تسلّط عليه فيه شرارة كهربائية ملكوتية للتجزئة و التحليل ، فينهار ظاهره و يتحرّك باطنه إلى محلّه و مستقرّه .

و خلاصة الأمر فإنَّ كلَّ صفة ستعود بعد التجزئة و الامتحان إلى أصلها ، تماماً كما يحدث حين يحرق الحطب المركّب من المواد الترابية و المواد النارية ، فتتحرك النار صوب مبدأه أي الشمس ، و يعود الرماد إلى مبدأه ، أي الأرض ، بعد أن كانا ممتزجين متآلفين في الفحم و الحطب .
كُلُّ شَيْءٍ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ ، أصل الجنّة الطهارة و النزاهة ، و أصل جهنّم القذارة و الدّنس ، و على المؤمن الذي يريد الذهاب إلى الجنّة أن يتخلّى عن جوانبه الظلمانية العارضة فيذهب دونها ، و إلّا لما قدر على الذهاب .

كما أنَّ على الكافر الذي يريد الحركة إلى جهنّم أن يترك جوانبه النورانية العارضة ، و إلّا لما تمكّن من الحركة في ذلك الاتجاه .
و هناك نقطة مهمّة أخرى يلزم ذكرها ، و تستحقّ العناية و التأمل ، و هي أنَّ مَنْ كان باطنه جميلاً حسناً فسعى - بالإيمان الحقيقي بالله تعالى

١- الآية ٥٥ : من السورة ٥٤ : القمر .

احتجاج الإمام الباقر على إبراهيم الليثي في لحوق المؤمنين و المنكرين بأصولهم المجلس العاشر

و بالتقوى و العمل الحسن - في حفظ هذا الباطن غصّاً حياً ، فإنّ العمل القبيح الذي يبدر منه ليس قبيحاً في الحقيقة ، بل إنّ له صورة قبيحة فقط . و ذلك لأنّ باطنه الحسن لا يتقبّل هذا العمل و لا يسمح له بالاقتراب منه ، فإذا ما بدر من المؤمن أحياناً عمل بسبب غضبه . و شهوته ، متعمداً كان أم غير متعمد ، فإنّ ذلك الباطن سيُبعد ذلك العمل عنه و يطرده باستمرار .

كما أنّ الشخص المتعدّي المتجاوز الذي ينزع باطنه إلى الدنيا ، و الذي أفسد ذلك الباطن بعمله الغير مقبول فأدّى إلى فساد و تعقّنه ، إذا ما صدر منه عمل حسن ، فإنّ ذلك العمل ليس عملاً صالحاً ، بل إنّ ظاهره حسن فقط ، لأنّ باطن هذا الشخص لا يسمح له بفعل عمل حسن ، و سيقوم ذلك الباطن باستمرار بإبعاد هذا العمل الصالح عنه رافضاً قبوله .

و إذا ما خضع العمل الحسن الذي يصدر من رجل خبيث الذات إلى منطق العقل و إلى واقع التجزئة و التحليل ، فإنّ رائحة الرياء و التظاهر و دواعي الصيت و السُّمة و الشُّهرة ستتصاعد منه فتزكم الأنوف .

و حين يريد كلّ إنسان أن يرحل عن الدنيا ، و حين يريد الله الحقّ أن يعيد كلّ موجود إلى أصله ، فيأخذ الملكوت إلى الملكوت ، و العلّيين إلى العلّيين ، و لسجّين إلى السجّين ، فإنّ عالم الحقّ و الحقيقة سيظهر و حجاب الاعتبار سيُهتك و يُزاح جانباً ، فيُساق أهل الجَنّة إلى الجَنّة و يوضع كلّ منهم في درجته الخاصّة ، و يُساق أهل جهنّم إلى جهنّم و يوضع كلّ منهم في الدرك الخاصّ به ، ثمّ يُصار إلى تجزئة الإنسان بالملكّ الملكوتيّ و الشرارة الكهربائيّة الرَبّائيّة ، فتذهب الحسنات إلى جهة و السيئات إلى أخرى ، و تتحرّك الحسنات العارضة إلى الحسنات الذاتية الثابتة ، في حين تتحرّك السيئات العارضة صوب السيئات الذاتية .

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ .^١

تقول الآية ٣٧ من سورة الأنفال :

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ .

و من جانب آخر ، و بالملازمة ، فإنَّ الطَّيِّبَ سيُجعل بعضه على بعض فيركم جميعاً فيُجعل في الجنة .

رُوي في كتاب «علل الشرايع» رواية مفصلة عن أبي إسحاق إبراهيم الليثي ، عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام في طينة المؤمن والمنافق و أعمال المؤمنين و المعاندين ، إلى قول الإمام عليه السلام :

احتجاج الإمام الباقر عليه السلام على إبراهيم الليثي

أَخْبَرَنِي يَا إِبْرَاهِيمُ عَنِ الشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ وَ بَدَأَ شُعَاعُهَا فِي الْبُلْدَانِ ، أَهْوَأُ بَايِنٌ مِنَ الْقُرْصِ ؟

قُلْتُ : فِي حَالِ طُلُوعِهِ بَايِنٌ .

قَالَ : أَلَيْسَ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ اتَّصَلَ ذَلِكَ الشُّعَاعُ بِالْقُرْصِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ؟

قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ : كَذَلِكَ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى سِنِّهِ وَ جَوْهَرِهِ وَ أَصْلِهِ ؛ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَزَعَ اللَّهُ تَعَالَى سِنِّ النَّاصِبِ وَ طَيْتَهُ مَعَ أَثْقَالِهِ وَ أَوْرَارِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ فَيُلْحِقُهَا كُلَّهَا بِالنَّاصِبِ ؛ وَ يَنْزِعُ سِنِّ الْمُؤْمِنِ وَ طَيْتَهُ مَعَ حَسَنَاتِهِ وَ أَبْوَابِ بَرِّهِ وَاجْتِهَادِهِ مِنَ النَّاصِبِ فَيُلْحِقُهَا كُلَّهَا بِالْمُؤْمِنِ .

١- الآية ٩٨ ، من السورة ١١ : هود .

أَفَتَرَى هَاهُنَا ظُلْمًا وَعُدْوَانًا ؟

قُلْتُ : لَا ، يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ .

قَالَ : هَذَا وَاللَّهِ الْقَضَاءُ الْفَاصِلُ وَالْحُكْمُ الْقَاطِعُ وَالْعَدْلُ الْبَيِّنُ ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ .

هَذَا يَا إِبْرَاهِيمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ، فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ؛ هَذَا مِنْ حُكْمِ الْمَلَائِكَةِ .

قُلْتُ : يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَمَا حُكْمُ الْمَلَائِكَةِ ؟

قَالَ : حُكْمُ اللَّهِ وَحُكْمُ أَنْبِيَائِهِ وَقِصَّةِ الْخِضِرِ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حِينَ اسْتَضَحَبَهُ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا .

إِنْفَهَمَ يَا إِبْرَاهِيمُ وَاعْقِلْ ، أَنْكَرَ مُوسَى عَلَى الْخِضِرِ وَاسْتَفْطَعَ أَعْمَالَهُ ؛ حَتَّى قَالَ لَهُ الْخِضِرُ : يَا مُوسَى ؟ مَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي ، إِنَّمَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، مَنْ هَذَا وَيَحْكُ يَا إِبْرَاهِيمُ قِرْآنُ يُتْلَى وَأَخْبَارُ تُؤْتَرُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ رَدَّ مِنْهَا حَرْفًا فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ وَرَدَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

قَالَ اللَّيْثِيُّ : فَكَأَنِّي لَمْ أَعْقِلُ الْآيَاتِ وَأَنَا أَقْرَأُهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ .

فَقُلْتُ : يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ! مَا أَعْجَبَ هَذَا ، تُؤْخَذُ حَسَنَاتُ أَعْدَائِكُمْ فَتَرُدُّ عَلَى شِعْتِكُمْ ؛ وَتُؤْخَذُ سَيِّئَاتُ مُحِبِّيكُمْ فَتَرُدُّ عَلَى مُبْغِضِيكُمْ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَالِقَ الْحَبَّةِ وَبَارِئُ النَّسَمَةِ وَفَاطِرُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ؛ مَا أَخْبَرْتُكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَا أَنْبَأْتُكَ إِلَّا الصِّدْقَ ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ، وَأَنَّ مَا أَخْبَرْتُكَ لَمَوْجُودٌ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ .

قُلْتُ : هَذَا بِعَيْنِهِ يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ ؟

قَالَ : نَعَمْ ، يُوجَدُ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ مَوْضِعاً فِي الْقُرْآنِ ١ .

مصائب المؤمن في الدنيا كفارة ذنوبه ، و لذات الكافر فيها أجر حسناته

ورد في أخبار كثيرة أنّ المؤمن الذي يخلو قلبه من الغلّ والغش و الإنكار ، و الذي لا يتظاهر الرياء ، و لا يجحد الحقّ إذا وعاه في أيّ أمر كان ، و يقوم بفعل ما يتمكّن عليه من الخير ، إذا ما بدر منه غفلة أو ذنب ، فإنّ الله يؤدّبه عليه في الدنيا ببعض المحن الدنيويّة كالمرض و الدّين و الفقر و أمثالها ، فيزيل عنه الذنب و يُبرّأه منه ، و هكذا فإنّ أيّ حمى تصيب المؤمن ليست إلّا كفارة ذنوبه . فماذا تعني كفارة الذنب ؟ إنها تعني تساقط و تهاوي ذلك الدّنس الظاهريّ .

كما أنّ الكافر حين يلتدّ بأيّ لذة في الدنيا فليست إلّا جزاء أعماله الحسنة التي فعلها ، لأنّ الكافر لا يفعل شيئاً لله ، بل هو لا يعرف الله ولا يدرك معنى التقوى و التقرب ، و ليست الأعمال الحسنة التي تصدر منه إلّا من أجل النوايا و المقاصد الدنيويّة . لذا فإنّ الله سبحانه يؤجره عليها بأجر دنيويّ تبعاً لتلك النوايا و الأهداف ، و ذلك بإعطاء المال و الجاه و أنواع النعم التي يعطيه إيّاها جزاء عمله و مقابل حسناته .

لذا يموت هذا الكافر حين يموت و ليست لديه حسنة ؛ فأيّ عمل سيتقاضى أجره من ربّه يا ترى ؟ لقد عمل العمل الحسن في الدنيا للمقاصد

١- «علل الشرايع» ، الباب ٣٨٥ ، نوادر العلل ، الرواية ٨١ ، طبع المطبعة الحيدريّة في النجف سنة ١٣٨٥ ، ص ٦٠٦ - ٦١٠ ، و سند الرواية هو : الصدوق عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن محمّد بن أحمد ، عن أحمد بن محمّد بن السياريّ ، عن محمّد بن عبدالله بن مهران الكوفيّ ، عن حنان بن سدير ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق إبراهيم الليثيّ ، عن الإمام الباقر عليه السلام .

الدينيّة ثمّ نال القصد و النتيجة الدينيّة .

أمّا السيئة و الذنب الذي يرتكبه المؤمن فهو خارج عن حدود وجوده ، و منفصل عن إيمانه و هدفه السامي ، لذا يتبلي الله سبحانه ذلك المؤمن بابتلاءات من أجل محو ذلك الذنب ، فتصبح تلك الابتلاءات سبباً لتيقظه و انتباهه ، و هو معنى الكفارة و محو الذنب .

و هكذا فإنّ المؤمن يموت فيتحرّك - باعتباره صاحب هدف سامٍ و التزام و مسؤولية أمام الأمر الإلهي - إلى ذلك المكان السامي ، فقد جوزي على ذنبه الذي ارتكبه في هذه الدنيا ، و تحمّل عقاباً بأنواع الابتلاءات بما يتناسب مع ذلك الذنب ، فإنّه يحلّق إلى عالم القدس بريئاً طاهراً منزهاً .

ظهور الشيطان للمؤمن عند الموت و يأسه منه

ورد كثيراً في الروايات أنّ المؤمن حين يريد الرحيل عن الدنيا فإنّ الشيطان يأتي إليه فيحاول بمختلف الوسائل و الوعود و الآمال أن يزلزله و أن يُصادر منه إيمانه ، إلّا أنّ المؤمن الحقيقي يشخصه جيداً فلا يقبل بوعوده و لا ينخدع بها أبداً .

يروى الكليني في كتاب «الكافي» ، عن عليّ بن محمّد بن بندار ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن محمّد بن عليّ ، عن عبدالرحمن بن أبي هاشم ، عن أبي خديجة ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ إِلَّا وَكَلَّ بِهِ إِبْلِيسُ مِنْ شَيْطَانِهِ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالْكَفْرِ وَ يُشَكِّكُهُ فِي دِينِهِ حَتَّى تَخْرُجَ نَفْسُهُ ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَإِذَا حَضَرَتْهُ مَوْتَاكُمْ فَلَقْنَاهُمْ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ حَتَّى يَمُوتَ^١ .

١- «فروع الكافي» ، كتاب الجنائز ، باب تلقين الميت ، الطبعة الحيدريّة ، ج ٣ ، ص ٤٠

و من الواضح أنّ الشيطان يوسوس في باطن الإنسان و يتحكّم فيه عن طريق قوة الخيال ، فيجلب له مناظر خلابة جميلة ، و يذكره بسلسلة نوايا و خواطر نفسانية ، لينصرف الإنسان عن محبة لقاء الله و يغفل عن الدرجات و المقامات العلوية و عن رضوان الله تعالى ، و ليتعلّق قلبه من جديد بالدنيا و زينتها ، فينقسم ميثاق ضميره مع الأمور الأبدية و الموجودات المجردة الروحانية ، مثل الله و رسوله و الأئمة خلفائه صلوات الله عليهم أجمعين ، و ينعطف قلبه نحو أمور الغرور و زخرف الدنيا و الآمال السابقة ، ثم يقضي نجه في هذه الحال التي التفت فيها إلى الدنيا و أقبل عليها .

أمّا المؤمن الذي أوكل قلبه إلى الأبدية ، و صار عاشقاً للقاء المحبوب ، مولهاً بمقام جماله و التطلع إلى مظاهر الرحمة من النفوس القدسية الإلهية و الأرواح الطيبة للمولّيين به ، فأنتى له الالتفات إلى هذه الوسوس ! فهو حين يرى جميع هذه المناظر الخداعة و وسوس الشيطان يرى أنها أحولة خداع و شبكة صيد ، فينظر إليها نظرة احتقار و نفور ، و لا يعطف باطنه إليها أبداً ، بل هو بكلّه في انتظار أمر الدخول و التحليق في سماء التوحيد المطلق و السير في أسماء و صفات الربّ الودود ، و في تلك الحال التي يلتفت فيها بقلبه إلى تلك الأجواء فإنّ روحه تخلص في عالم الخلد .

و بناءً على هذا الأمر فقد قال الصادق عليه السلام : إِذَا حَضَرْتُمْ

ص ١٢٣ ، و الطبعة الحجرية ، ج ١ ، ص ٣٤ . ولكن حسب نقل «وسائل الشيعة» ج ٢ ص ٦٦٣ عن «الكافي» فقد ذكر بدل عبارة «شيطانه أن يأمره» عبارة «شياطينه من يأمره» ، وربما كان هذا اللفظ أقرب للصواب .

مَوْتَكُمْ فَلَقُّوهُمْ شَهَادَةً أَنَّ لَّإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أُنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ حَتَّى يَمُوتُ . وَ ذَلِكَ لَتَقْوِيَةِ الْمَيِّتِ فِي هَذَا الْجَانِبِ وَلِكَسْرِ صَوْلَةِ الشَّيْطَانِ .

و ينبغي أن لا يدخل في غرفة المحتضر جنب ، و أن يدخلها المرء على و ضوء ، و أن يُقرأ القرآن ، و أن يقرأ فيها سورتي «ياسين» و «الصافات» و دعاء «العديلة» ، و أن تعطر الغرفة لأتھا محلّ نزول الملائكة الذين يستأنسون برائحة العطر ، عكس الشياطين التي تهرب من العطر و من القرآن و من ذكر «بسم الله الرحمن الرحيم» .

و بالطبع فإنّ مجيء الشيطان و وسوسته هو للامتحان الذي يميّز المطهرين عن الملوّثين المدنّسين ، و يميّز الإيمان المستقرّ الثابت عن الإيمان المستودع المُعار ، و يجعل الكلم الطيب يرفع إلى الخالق جلّ و علا .

تقول الآية ١٦ من سورة الحشر :

كَمَّلَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

إنّ الشياطين الذين خلقهم الله سبحانه هم محكّ لتمييز المدنّس من المطهر ، لذا فإنّهم لم يُخلقوا عبثاً ، بل خلقهم الله تعالى لمصلحة معيّنة ، فالشيطان هو الموجود الذي يميّز الخبيث عن الطيب .

إنّ جميع الناس ، سعيدهم و شقيّهم ، يريدون الذهاب إلى الله تعالى والاستقرار في مقام الأمن ، الفاسق منهم و العادل ، المؤمن و الكافر ، الصائن لحقوق الناس و القائم بها و المتعدّي و المتجاسر عليها ؛ و هم جميعاً يرغبون في السكن في مقام الصديقين ، فيأتي الشيطان و يمتحن الناس بمحكّه الخاصّ فيميّز الأشقياء عن السعداء . فالذين هم أهل الله لن

يستجيبوا له و لن يُخدعوا به مهما دعاهم إلى الأباطيل ، أمّا الذين لم يتعمقوا الإيمان فيهم و ظلّ سطحيّاً تقليديّاً ، فسرعان ما يرتدون ، و سرعان ما يجد خداع إبليس الطافح بالمكر و التلبيس منفذاً إلى قلوبهم .

لذا فإنّ الشيطان مأمور من جانب الله و مكلف بوظيفته و واجبه ، تماماً كمثّل تلك الشرارة التي تحلّل الماء و تجزّأه إلى قسمين و مادّتين .

كما أنّ الشيطان يضحك بعد قيامه بواجبه و خداعه للناس ذوي المذهب القشريّ السطحيّ ، فيقول : لقد أوقعْتُكم في حبائلي جيّداً و أظهرتُ باطنكم و نشرتُ على الملائة تدنّسكم و عفونتكم المغطّاة المستترة . و هو معنى الآية الكريمة السابقة .

إنّ الشيطان لا يظهر للإنسان اشمئزازه و نفوره في الوهلة الأولى ، لأنّ الإنسان لا ينخدع به حينئذٍ ، بل يقوم بإراءة الإنسان باب روضة غناء يانعة ، و بإظهار الأخلاق و الفضائل و المعنويّات و طهارة الفكر و العدالة و عبوديّة الله كأمرٍ تافه غير ذي بال ، و حين ينخدع الإنسان فإنّه يقول له آنذاك : أيّتها العبد الطائش ، أيّتها الفرد الخالي من الالتزام و المسؤولية ، أيّتها الإنسان المجرّد من الوجدان و الهابط عن مرتبة الإنسانيّة ، لقد كنت إنساناً لك مقام الإنسانيّة و شرفها ، فانخدعت بخداعي أنا الشيطان و كفرت بربّك الرحيم و الحيّ العليم القدير الذي أوجدك من العدم و ربّاك بيده الحانية ، و تخيلت الموجدات الوهميّة و الاعتباريّة إلّهم ، و وضعت محور أصالتك بناءً عليها ، فاذهب فإنّ مكانك في الجحيم مأوى الكافرين ؛ لكنّ المؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف .

يروى في «تفسير العيّاشي» عن صفوان بن مهران ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال :

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَأْتِي الرَّجُلَ مِنْ أَوْلِيَانَا (فَيَأْتِيهِ) عِنْدَ مَوْتِهِ ، يَأْتِيهِ عَنْ

يَمِينِهِ وَ عَنْ يَسَارِهِ لِيَصُدَّهُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ ؛ فَيَأْبَى اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ وَ كَذَلِكَ قَالَ
اللَّهُ «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي
الْآخِرَةِ»^١.

و القول الثابت هو التوحيد و الولاية ، يثبت الله الذين آمنوا بهذا
القول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة .

و مراد الإمام من قوله «عَنْ يَمِينِهِ» الجوانب الإيمانية و المعنوية ،
و «عَنْ يَسَارِهِ» الجوانب المادية و الدنيوية ؛ أي أنّ الشيطان يرد من كلا
الجانبين فيوسوس للإنسان من طريق الله و من طريق المادة . و بناءً على
هذا القول فهو حين يقول :

ثُمَّ لَا تَنِيَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ
شَمَائِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ^٢. فَإِنَّ المراد أيضاً من جانب اليمين و
جانب الشمال سيكون هذا المعنى .

إنّ الذين آمنوا و استقرّ في وجودهم التوحيد العمليّ ، أي الولاية ،
فإنّ الله و رسوله و الأئمة سيكونون حافظيهم و صائنيهم ، لذا فإنّ على
الإنسان أن يكون دوماً على ثقة و أمل و رجاء ، فلا لليأس إلى نفسه سبيلاً ،
و إذا ما بدر منه ذنب أحياناً غسله و طهره بالتوبة و لم يترك ذلك الذنب
يسري إلى باطنه ، و إذا ما خالف لله أمراً تدارك عصيانه سريعاً ، و إذا ما
آذى أحداً أسرع بالاعتذار إليه ، و إن أخذ مالاً لأحد أعاده إليه سريعاً ، أو
أجحف في حق أحد تدارك ذلك بلا تأخير ، و هكذا في كلّ زلل يصدر منه
فإنّه يتلافاه و يصلحه ، و لا يدع الذنوب تتراكم على بعضها فتنفذ من

١- «تفسير العياشي» ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ ، طبع المطبعة العلميّة ، قم .

٢- الآية ١٧ ، من السورة ٧ : الأعراف .

الظاهر إلى الباطن فتدّسه و تلوّثه ، إذ سيعسر عند ذلك الأمر و يصعب .
 يروي المرحوم الشيخ المفيد في «المجالس» ، و الشيخ الطوسي في «الأمالى» ، و عليّ بن عيسى الأربليّ في «كشف الغمّة» ، و أبو جعفر محمّد ابن أبي القاسم الطبريّ في كتاب «بشارة المصطفى لشيعته المرتضى» روايةً باختلاف يسير في اللفظ ، و نورد هنا عين عبارة «مجالس المفيد» و نشير في الهامش إلى مواضع الاختلاف :

يروي الشيخ المفيد عن أبي الحسن عليّ بن محمّد بن الزبير ، عن محمّد بن عليّ بن مهدي ، عن محمّد بن عليّ بن عمرو ،^١ عن أبيه ، عن جميل بن صالح ، عن أبي خالد الكابليّ ، عن الأصبع بن نباته أنّه قال :
 دَخَلَ الْحَارِثُ الْهَمْدَانِيَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَفَرٍ مِنَ الشَّيْعَةِ وَ كُنْتُ فِيهِمْ ، فَجَعَلَ الْحَارِثُ يَتَنَدُّ^٢ فِي مَشْيِهِ وَ يَخِطُّ الْأَرْضَ بِمِخْبَنِهِ وَ كَانَ مَرِيضًا .

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَ كَانَتْ لَهُ مِنْهُ مَنَزِلَةٌ - فَقَالَ :
 كَيْفَ تَجِدُكَ يَا حَارِثُ ؟

فَقَالَ : نَالَ الدَّهْرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنِّي ، وَ زَادَنِي أَوَارًا^٣ وَ غَلِيلًا

١- ورد في نسخة «بحار الأنوار» ، المجلّد السادس ، ص ١٧٨ ، و نسخة «بشارة المصطفى» و نسخة «أمالى الطوسي» بلفظ «عن أبيه عن جميل بن صالح» ؛ إلّا أنّه أوردته في «مجالس المفيد» بلفظ «عن أبي جميل بن صالح» بدلاً من «عن أبيه» .

٢- ورد في نسخة المجلسي نقلاً عن «أمالى المفيد» : «يَتَنَدُّ فِي مَشْيِهِ» ؛ و في نسخة «أمالى الشيخ المفيد» بنقل المجلسي «يتأوّد» ، و في نسخة عندنا بلفظ «يتأوّد» و في نسخة «بشارة المصطفى» بلفظ «يتلوّد» ، و في نسخة «أمالى المفيد» الموجودة في «كشف الغمّة» بلفظ «يتأوّد» .

٣- ورد في نسخة المجلسي حيث يروي عن «أمالى الشيخ الطوسي» و في نسخة ٥

قول أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني: إن دين الله لا يُعرف بالرجال المجلس العاشر

اخْتِصَامُ أَصْحَابِكَ بِبَابِكَ .

قَالَ : وَفِيمَ خُصُومَتِهِمْ ؟

قَالَ : فِيكَ وَفِي الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ؛ فَمِنْ مُفْرِطٍ مِنْهُمْ غَالٍ وَمُقْتَصِدٍ^٢ قَالٍ وَ مِنْ مُتَرَدِّدٍ مُرْتَابٍ لَا يَذْرِي أَيْقُدُ أَمْ يُحْجِمُ .

فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا أَخَا هَمْدَانَ ؛ أَلَا إِنَّ خَيْرَ شَيْعَتِي النَّمْطُ الْأَوْسَطُ ، إِلَيْهِمْ يَرْجِعُ الْغَالِي وَبِهِمْ يَلْحَقُ النَّالِي .

فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ : لَوْ كَشَفْتَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي الرَّيْنِ عَنْ قُلُوبِنَا وَجَعَلْتَنَا فِي ذَلِكَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِنَا .

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَدْكَ^٣ فَإِنَّكَ امْرُءٌ مَلْبُوسٌ عَلَيْكَ ؛ إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُعْرِفُ بِالرَّجَالِ بَلْ بِآيَةِ الْحَقِّ . فَاغْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفِ أَهْلَهُ ؛

«أُمالي المفيد» و نسخة «كشف الغمّة» بلفظ «أواراً و غليلاً» ؛ و في نسخة «البحار» نقلاً عن «أُمالي المفيد» بلفظ «أوباً غليلاً» ؛ و في نسخة «أُمالي الشيخ» بلفظ «أوراً غليلاً» ؛ و في نسخة «بشارة المصطفى» بلفظ «غليلاً» فقط .

١- يقصد أبابكر و عمر و عثمان .

٢- ورد في «أُمالي الشيخ الطوسي» بنفس اللفظ ، أمّا في «بشارة المصطفى» فقد ورد بلفظ «مقتصد والي» ؛ و في «كشف الغمّة» بلفظ «مُبْغِضٍ قَالٍ» ؛ و في «بحار الأنوار» نقلاً عن «مجالس المفيد» بلفظ «و مُقْتَصِدٍ تَالٍ» .

٣- ورد في جميع النسخ بلفظ «قدك» إلّا في «بشارة المصطفى» فقد جاء بلفظ «فذاك» .

٤- يقول في كتاب «سيرى در نهج البلاغة» (تُرجم باسم : في ظلال نهج البلاغة) ما

ترجمته :

ينقل «طه حسين» الأديب و الكاتب المصري الشهير المعاصر في كتاب «علي و بنوه» خبر الرجل الذي تردّد يوم الجَمَل في أمر علي عليه السلام ، فكان يقول في نفسه : كيف يمكن أن يكون مثل طلحة و الزبير على خطأ ؟ ثم شكّا شكّه ذلك إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام و سأله منه : أيمن أن تجتمع على باطل شخصيّات عظيمة لم يصدر منها خطأ قبلاً ؟

يَا حَارِثُ ؟ إِنَّ الْحَقَّ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ ، وَالصَّادِعُ بِهِ مُجَاهِدٌ ، وَ

فالتفت إليه علي عليه السلام و قال له : إِنَّكَ لَمَلْبُوسٌ عَلَيْكَ . إِنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ لَا يُعْرِفَانِ بِأَقْدَارِ الرِّجَالِ . إِعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ . وَاعْرِفِ الْبَاطِلَ تَعْرِفْ أَهْلَهُ .
ثم يقول (طه حسين) بعد نقله هذه الكلمات : ما أعرف جواباً أروع من هذا الجواب بعد أن سكت الوصي و انقطع خبر السماء . انتهى .

و ينبغي العلم أنَّ مطلب الدكتور طه حسين الذي نقله المؤلّف المحترم لكتاب «سيرى در نهج البلاغة» ليس في شأن الحارث بن الأعور الهمداني الذي نقلنا هنا تفصيل كلامه مع أمير المؤمنين عليه السلام ، بل يعود إلى الحارث بن حوت الذي كان يتحدث مع أمير المؤمنين في شأن أصحاب الجمل . و قد أورد السيّد الرضي في «نهج البلاغة» ، باب الْجَمِّم ، ص ١٩٩ ، طبع مصر شرح محمّد عبده :

و قيل إِنَّ الحارث بن حوت أتاه فقال : أتراني أظنُّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة ؟ فقال عليه السلام : يا حارث إِنَّكَ نظرت تحتك و لم تنظر فوقك فَحِزَتْ . إِنَّكَ لم تعرف الحق فتعرف أهله ، و لم تعرف الباطل فتعرف من أتاه ؛ فقال الحارث : فإني اعتزل مع سعيد بن مالك و عبدالله بن عمر ؛ فقال عليه السلام : إِنَّ سعيداً و عبدالله بن عمر لم ينصرا الحق و لم يخذلا الباطل .

و ينقل في «تفسير العياشي» ، ج ١ ، ص ١٣٦ رواية شَيْقَةَ في هذا الشأن عن الأصبع بن نباتة ، ذيل الآية «تلك الرُّسُل فَضَّلْنَا بعضهم على بعض» : قال الأصبع : كنتُ واقفاً مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل ، فجاء رجل حتّى وقف بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين كبر القوم و كبرنا ، و هلّل القوم و هلّلنا ، و صلّى القوم و صلّينا ، فعلام نقاتلهم ؟ فقال : على هذه الآية :

تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم مَن كلّم الله و رفع بعضهم درجات و آتينا عيسى ابن مريم البينات و أيدناه بروح القدس . و لو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم (فنحن الذين من بعدهم) مِن بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم مَن آمن و منهم من كفر و لو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد .

«فنحن الذين آمنّا و هم الذين كفروا» . فقال الرجل : كفر القوم و ربّ الكعبة ثم حمل فقاتل حتّى قُتل رحمه الله . و هذه الآية هي الآية ٢٥٣ من سورة البقرة فلاحظ و تأمل !

بِالْحَقِّ أَخْبِرَكَ فَأَرَعْنِي^١ سَمِعَكَ ، ثُمَّ خَبَّرَ بِهِ مَنْ كَانَ لَهُ حَصَافَةٌ^٢ مِنْ أَصْحَابِكَ .
 أَلَا إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِهِ وَ صِدِّيقُهُ الْأَوَّلُ (الأكبر خ ل) ،
 صَدَّقْتُهُ وَ آدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَ الْجَسَدِ ؛ ثُمَّ إِنِّي صِدِّيقُهُ الْأَوَّلُ فِي أُمَّتِكُمْ حَقًّا .
 فَنَحْنُ الْأَوَّلُونَ وَ نَحْنُ الْآخِرُونَ ، وَ نَحْنُ خَاصَّتُهُ يَا حَارِثُ وَ خَالِصَتُهُ .
 وَ أَنَا صَفْوُهُ وَ وَصِيُّهُ وَ وَلِيُّهُ وَ صَاحِبُ نَجْوَاهُ وَ سِرِّهِ ؛ أُوتِيَتْ فَهَمُ
 الْكِتَابِ وَ فَضْلُ الْخُطَابِ وَ عِلْمُ الْقُرُونِ وَ الْأَسْبَابِ وَ اسْتُودِعْتُ أَلْفَ مِفْتَاحٍ
 يَفْتَحُ كُلَّ مِفْتَاحٍ أَلْفَ بَابٍ يُفْضِي كُلُّ بَابٍ إِلَى أَلْفِ أَلْفٍ عَهْدٍ .
 وَ أُيِّدْتُ^٣ وَ اتَّخِذْتُ وَ أُمِدِدْتُ بِلَيْلَةِ الْقَدَرِ نَفْلًا ؛ وَ أَنَّ ذَلِكَ يَجْرِي لِي
 وَ لِمَنْ اسْتَحْفِظُ^٤ مِنْ ذُرِّيَّتِي مَا جَرَى اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ ، حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ
 الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا .
 وَ أَبْشُرَكَ يَا حَارِثُ ! لَتَعْرِفَنِي^٥ عِنْدَ الْمَمَاتِ وَ عِنْدَ الصَّرَاطِ وَ عِنْدَ

١- وردت في جميع النسخ بلفظ «فارعني» ، إلا في نسخة «بشارة المصطفى» فقد جاءت بلفظ «فأعرنني» .

٢- في «أمالى المفيد» و «بشارة المصطفى» بلفظ «حَصَافَةٌ» ؛ و في «أمالى الشيخ» و في نسخة «بحار الأنوار» نقلاً عن «أمالى المفيد» بلفظ «حَصَانَةٌ» ؛ و في «كشف الغمّة» بلفظ «حصاة»* .

* يُقَالُ : امرؤ ذو حصاة أي ذو عقلٍ و لب . (م)

٣- وردت في «مجالس المفيد» و محكي «البحار» عنه بلفظ «وَأُيِّدْتُ وَ اتَّخِذْتُ وَ أُمِدِدْتُ» ، إلا أنها وردت في «أمالى الشيخ» و «كشف الغمّة» و «بشارة المصطفى» بلفظ : «وَأُيِّدْتُ أَوْ قَالَ أُمِدِدْتُ» .

٤- في «أمالى المفيد» و «أمالى الشيخ» و «كشف الغمّة» بلفظ «من استَحْفِظُ» ؛ و في «بحار الأنوار» نقلاً عن «أمالى المفيد» بلفظ «لمن تحفظ» ؛ و في «بشارة المصطفى» بلفظ «والمستحفظين» .

٥- في نسخة «أمالى المفيد» و «بشارة المصطفى» و حكاية «بحار الأنوار» عنه بلفظ :

الْحَوْضِ وَ عِنْدَ الْمُقَاسِمَةِ .

قَالَ الْحَارِثُ : وَ مَا الْمُقَاسِمَةُ ؟

قَالَ : مُقَاسِمَةُ النَّارِ ؛ أَقَاسِمُهَا قِسْمَةٌ صَحِيحَةٌ^١ أَقُولُ : هَذَا وَلِيِّي

فَأَتْرُكِيهِ ، وَ هَذَا عَدُوِّي فُخْذِيهِ .

ثُمَّ أَخَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِ الْحَارِثِ فَقَالَ : يَا حَارِثُ !
أَخَذْتُ بِيَدِكَ كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِيَدِي ؛ فَقَالَ لِي
وَقَدْ شَكَوْتُ^٢ إِلَيْهِ حَسَدَ قُرَيْشٍ وَ الْمُتَأَفِّفِينَ لِي : إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
أَخَذْتُ بِحَبْلِ اللَّهِ وَ بِحُجْرَتِهِ - يَعْنِي عِصْمَتِهِ مِنْ ذِي الْعَرْشِ تَعَالَى -
وَ أَخَذْتُ أَنْتَ يَا عَلِيُّ بِحُجْرَتِي ؛ وَ أَخَذَ ذُرِّيَّتَكَ بِحُجْرَتِكَ وَ أَخَذَ شَبِيعَتَكُمْ
بِحُجْرَتِكُمْ^٣ .

فَمَاذَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِنَبِيِّهِ ، وَ مَا [ذَا] يَصْنَعُ نَبِيُّهُ بِوَصِيِّهِ ؟^٤

« لتعرفني » ؛ أمّا في نسخة «أمالى الشيخ» و «كشف الغمّة» فقد وردت بلفظ «ليعرفني -
والذي فلق الحبة و برئ النسمة - و ليّى و عدوّى في مواطن شتى ؛ ليعرفني عند الممات و
عند الصراط و عند المقاسمة» .

١- في نسخة «أمالى المفيد» و محكي «البحار» عنه بلفظ «قسمة صحيحة» ؛ و في
«أمالى الشيخ» و «كشف الغمّة» و «بشارة المصطفى» بلفظ «قسمة صحاحاً» .

٢- في «أمالى المفيد» و محكي «البحار» عنه بلفظ «و قد شكوت إليه حسد قريش» ؛
و في «أمالى الشيخ» و «كشف الغمّة» و «بشارة المصطفى» بلفظ «واشتكيث إليه حسدة
قريش» .

٣- في «مجالس المفيد» و «أمالى الشيخ الطوسى» و «بشارة المصطفى» بلفظ
«بِحُجْرَتِكُمْ» ؛ و في «كشف الغمّة» و «بحار الأنوار» نقلاً عن «أمالى المفيد» بلفظ الجمع
«بِحُجْرَتِكُمْ» .

٤- أورد في «كشف الغمّة» بعد هذه الفقرة (و ما يصنع وصيّهُ بأهل بيته و ما يصنع
أهل بيته بشيعتهم) .

خُذْهَا إِلَيْكَ يَا حَارِثُ قَصِيرَةً مِنْ طَوِيلَةٍ ؛ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ وَ لَكَ
مَا اكْتَسَبْتَ ؛^١ يَقُولُهَا ثَلَاثًا^٢.

- ١- أوردها في «كشف الغمة» بلفظ «و لَكَ ما احتسبت - أو قال ما اكتسبت» .
- ٢- و ما أجمل ما نظم الشعراء الناطقين بالفارسيّة هذا المقطع من كلام المولى ، كما في «أمثال و حكم» دهخدا ، ص ١٩٢٥ ، الذي أورده في المجلد الرابع عن بابا أفضل :
تا در طلب گوهر کانی کانی تا زنده به بوی وصل جانی جانی
فی الجملة حديث مطلق از من بشنو هر چیز که در جستن آنی آنی
«يقول : ما دُمت في طلب معدن الجوهر فأنت جوهر ، و ما دُمت تعيش براثحة وصل الحبيب فأنت حبيب»
«فاسمع مني حديثاً عاماً مُجملاً : كل شيء تبحث عنه هو أنت»
و نقل عن کمال إسماعيل :
آدمی بر حسب خود همّت خویش افزاید
هر چه اندیشه در آن بسند چندان گردد
«يقول : إنّ البشر يرقى في همّته حسب قدر نفسه ؛ فكلّما تعلّق الفكر في شيء صار مثله» .
و آورد عن المولوي :
ميل تو با چيست ببين بى شك آنى بيقين
بنگر خود را که چه ای زاغی یا باز و هما
«يقول : انظر في أي شيء تنصبّ رغبتك فأنت ذاك يقيناً ؛ فتطّلع لنفسك ما أنت :
غرابٌ أم صقرٌ أو طائر اليمّن» .
و آورد عن الأوحدي :
هر چه ورزش کنی همانی تو نیکوئی ورز اگر توانی تو
«يقول : أي شيء تمرّنت عليه کُنْتَهُ ، فتمرّن على الإحسان إن كنت تقدر» .
و آورد عن عین القضاة الهمداني :
جویای هر چه هستی می دان که عین آنی
هر چه در بسند آنی بسند آنی
هر چه دل بسند تست خداوند تست
و هر چه هوای تو خدای تو ☞

فَقَامَ الْحَارِثُ يَجُرُّ رِدَاءَهُ^١ وَ هُوَ يَقُولُ : مَا أَبَالِي بَعْدَهَا مَتَى لَقِيتُ
الْمَوْتَ أَوْ لَقِيَنِي .

أشعار الحميري في قول مولى الموالي إلى الحارث الهمداني

قال جميل بن صالح : و أنشدني أبوهاشم السيد الحميري رحمه الله
فيما تضمنه هذا الخبر :

قَوْلُ عَلِيٍّ لِحَارِثٍ عَجَبٌ كَمْ نَمَّ أُعْجُوبَةً لَهُ حَمَلًا^٢
يَا حَارِ هَمْدَانٌ مَنْ يَمُتْ يَرْنِي مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلًا
يَعْرِفُنِي طَرْفُهُ وَ أَعْرِفُهُ بِنَعْتِهِ وَاسْمِهِ وَ مَا عَمِلَا
وَ أَنْتَ عِنْدَ الصَّرَاطِ تَعْرِفُنِي فَلَا تَخَفْ عَثْرَةً وَ لَا زَلَالًا
أَسْقِيكَ مِنْ بَارِدٍ عَلَى ظَمَأٍ تَخَالُهُ فِي الْحَلَاوَةِ الْعَسَلَا
أَقُولُ لِلنَّارِ حِينَ تُوقَفُ^٣ لِلْعَرَضِ دَعِيهِ لَا تَقْرِبِي الرَّجُلَا
دَعِيهِ لَا تَقْرِبِيهِ إِنْ لَمْ حَبْلًا بِحَبْلِ الْوَصِيِّ مُتَّصِلًا^٤

« يقول : أعلم أنك عين ما تبحث عنه ، و أنك عبد ما يقيّدك . »

« و أن ما يتولّه قلبك به إلهك ، و أن ما تهواه و ترغب فيه معبودك . »

١- ورد في «كشف الغمّة» بلفظ «يجرّ رداءه جذلاً» .

٢- في «كشف الغمّة» و «ديوان الحميري» بلفظ «جملاً» بالجمع المعجمة .

٣- في «كشف الغمّة» و «أمالى الشيخ» بلفظ «حين تُعرض للعرض» ؛ و في الباقي بلفظ «حين تُوقَفُ» .

٤- في «أمالى المفيد» و نقل «البحار» عنه بلفظ «لا تقربي» ؛ و في «أمالى الشيخ» بلفظ «لا تقبلي» . كما ورد في بعض النسخ البديلة بلفظ «لا تقتلي» ؛ أمّا في «بشارة المصطفى» فقد وردت بهذا اللفظ : «أقول للنار حين توقف للعرض - على حرّها دعي الرجال» . ثم أضاف بيتاً آخر .

٥- «مجالس المفيد» ، طبع النجف الأشرف ، ص ٢ - ٤ ؛ و «بحار الأنوار» كتاب العدل و المعاد بهذا السند عن المفيد ؛ و أورده في «بحار الأنوار» ، طبعة الآخوند ، المجلد السادس ، ٥٦

يقول عليّ بن عيسى الأربليّ، وهو أحد كبار علماء الشيعة، في كتاب «كشف الغمّة في معرفة الأئمّة»: السيّد إسماعيل الحميريّ رحمه الله، كان كيسانياً يقول برجعة أبي القاسم محمد بن الحنفية، فلمّا عرّفه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الحقّ والقول بمذهب الإماميّة الاثني عشرية ترك ما كان عليه ورجع إلى الحقّ

ص ١٧٨ - ١٨٠ وفي «كشف الغمّة»، الطبعة الحبريّة، ص ١٢٣ و ١٢٤ بدون ذكر السند. وأورده في «أمالي الطوسي»، طبع النجف، مطبعة النعمان سنة ١٣٨٤ هجرية، المجلّد الثاني، ص ٢٣٨ - ٢٤٠ بهذا السند: أخبرنا جماعة عن أبي المفضل، عن محمد بن عليّ بن مهديّ الكنديّ في الكوفة وغيره، عن محمد بن عليّ بن عمرو بن ظريف الحجريّ، عن أبيه، عن جميل بن صالح، عن أبي خالد الكابليّ، عن الأصبغ بن نباتة. وذكره في كتاب «بشارة المصطفى»، طبع المطبعة الحيدريّة في النجف سنة ١٣٨٣ هجرية، ص ٤ و ٥ بسند آخر، قال: أخبرنا الشيخ أبوالبقاء إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم الرقا البصريّ بقراءة عليه في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في المحرم سنة ست عشرة وخمسمائة قال: حدّثنا الشيخ أبوطالب محمد بن الحسين بن عتبة في ربيع الأوّل سنة ثلاث و ستين وأربعمائة بالبصرة في مسجد النخاسين على صاحبه السلام، قال: حدّثنا الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد الفقيه، قال: حدّثنا حمويه أبو عبد الله بن عليّ بن حمويه، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن المطّلب الشيبانيّ، قال: حدّثنا محمد بن عليّ بن مهديّ الكنديّ، قال: حدّثنا محمد بن عليّ بن عمر بن ظريف الحجريّ، قال: حدّثني أبي، عن جميل بن صالح، عن أبي خالد الكابليّ، عن الأصبغ بن نباتة.

٦- أورد في «بشارة المصطفى» بيتاً آخر:

هذا لنا شيعة و شيعتنا أعطاني الله فيهم الأملاً

وقد وردت هذه الأبيات مع هذا البيت الأخير في «ديوان الحميريّ» ص ٣٢٧ و ٣٢٨. وقال جامع الديوان: إنّها منقولة في «أعيان الشيعة»، ج ١٢، ص ٢٦٣؛ و «كشف الغمّة»، ص ١٢٤؛ و «المناقب»، ج ٣، ص ٢٣٧؛ و «شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد»، ج ١، ص ٢٩٩.

و قال به ^١ . و شعره (رحمه الله) في مذهبه السابق و الدفاع عنه معروف و كذلك الشعر الذي أنشده بعد عدوله إلى المذهب الحق مشهور لا حاجة إلى ذكره لاشتهاره . و كان نظاماً للوقائع مُجيداً ، و هو كثير الشعر ، و لا يوجد من شعره إلا القليل . و روي أنه وُجد حمال و هو يمشي بحملٍ ثقيل ، فقيل : ما معك ؟ قال : ميمّات السيّد ^{٢٠٢} .

و غلب هذا الاسم عليه ، فلم يكن علويّاً فإنّه بطريق تسميته السيّد يتوهم ذلك و على ذكره .

حدّث الحسين بن عون قال : دخلتُ على السيّد بن محمّد الحميريّ عايداً في علّته التي مات فيها ، فوجدته يساق به ، و وجدتُ عنده جماعة من جيرانه و كانوا عثمانيّة ، و كان السيّد جميل الوجه رحب الجبهة عريض ما بين السالفين ، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من الممداد ، ثمّ لم تزل تنمى و تزيد حتّى طبقت وجهه بسوادها ، فاغتمّ لذلك من حضره من الشيعة و ظهر من الناصبة و العثمانيّة سرور و شماتة ؛ فلم يلبث بذلك إلا قليلاً حتّى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء ، فلم تزل تزيد أيضاً و تنمى حتّى ابيضّ وجهه و أشرق و افتر السيّد ضاحكاً و قال :

أشعار الحميريّ عند موته

كَذَبَ الزَّاعِمُونَ أَنَّ عَلِيًّا لَنْ يُنَجِّيَ مُحِبَّهُ مِنْ هَتَاتِ

١- يقول ابن شهر آشوب في «معالم العلماء» في باب بعض شعراء أهل البيت عليهم السلام ص ١٣٤ : كان السيّد في ابتداء أمره خارجيّاً ، ثمّ صار من الكيسانيّة ، ثمّ من الإماميّة .
٢- نقل هذه الحكاية في «معالم العلماء» ص ١٣٥ ، عن ابن المعتزّ في كتاب «طبقات الشعراء» .

٣- الأشعار التي أنشأها السيّد بحرف الميم ، (القافية) .

قَدْ وَ رَبِّي دَخَلْتُ جَنَّةَ عَدْنٍ وَ عَفَا لِي الْإِلَهُ عَنْ سَيِّئَاتِي
فَابْشِرُوا الْيَوْمَ أَوْلِيَاءَ عَلَيَّ وَ تَوَلَّوْا عَلَيَّ حَتَّى الْمَمَاتِ^١
ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ تَوَلَّوْا بَيْنِهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ بِالصِّفَاتِ
ثُمَّ اتَّبَعَ قَوْلَهُ هَذَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا حَقًّا، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا حَقًّا؛ أَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا حَقًّا، أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ.

ثُمَّ أَغْمَضَ عَيْنَهُ لِنَفْسِهِ، فَكَأَنَّمَا كَانَتْ رُوحُهُ ذِبَالَةً طَفِيتَ أَوْ حَصَاةٌ
سَقَطَتْ.

قال علي بن الحسين: قال لي أبي الحسين بن عون: وكان أذينة
حاضراً فقال: الله أكبر ما من شهدكم لا يشهد، أخبرني - وإلا ضُمَّتَا -
الفضيل بن يسار عن أبي جعفر الباقر و جعفر الصادق عليهما السلام أنهما
قالا:

حَرَامٌ عَلَى رُوحٍ أَنْ تُفَارِقَ جَسَدَهَا حَتَّى تَرَى الْخَمْسَةَ: مُحَمَّدًا وَ
عَلِيًّا وَ فَاطِمَةَ وَ حَسَنًا وَ حُسَيْنًا بِحَيْثُ تَقَرَّرَ عَيْنُهَا، أَوْ تَسْخَنَ عَيْنُهَا؛ فَانْتَشَرَ
هَذَا الْحَدِيثُ فِي النَّاسِ فَشَهِدَ جَنَازَتَهُ - وَاللَّهِ - الْمُوَافِقُ وَالْمُفَارِقُ^٢.

و يروي المرحوم المجلسي عن «أُمالي الطوسي»، عن الشيخ
المفيد، عن محمد بن عمران، عن عبيد الله بن الحسن، عن محمد بن
رشيد، قال:

آخر شعرٍ قاله السيد الجُميرِيُّ قبل وفاته بساعة، و ذلك أنه أغمي

١- أورده في «كشف الغمّة» بلفظ «و تَوَلَّوْا عَلَيَّ...»؛ لكنّ المجلسي ضبطها في «بحار
الأنوار»، ج ٦، ص ١٩٣، طبعة الآخوند، رواية عن «كشف الغمّة» بلفظ «و تَوَلَّوْا الوصي».
٢- «كشف الغمّة» الطبعة الحجرية، ص ١٢٤؛ و نقله في «بحار الأنوار»، الطبعة
الكمباني، المجلد الحادي عشر، ص ١٩٩ عن «أُمالي الشيخ الطوسي».

عليه و أسودّ لونه ، ثم أفاق و قد ابيضّ وجهه و هو يقول :
أَحِبُّ الَّذِي مَن مَاتَ مِنْ أَهْلِ وَدِّهِ
تَلَقَّاهُ^١ بِالْبُشْرَى لَدَى الْمَوْتِ يَضْحَكُ
وَ مَنْ مَاتَ يَهْوَى غَيْرَهُ مِنْ عَدُوِّهِ
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِلَى النَّارِ مَسْلُكُ
أَبَا حَسَنِ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَأُسْرَتِي
وَمَا لِي وَمَا أَصْبَحْتُ فِي الْأَرْضِ أَمْلِكُ
أَبَا حَسَنِ إِنِّي بِفَضْلِكَ عَارِفُ
وَ إِنِّي بِحَبْلِ مِنْ هَوَاكِ لَمُتْسِكُ
وَ أَنْتَ وَصِيُّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ
وَ إِنَّا نَعَادِي مُبْغِضِيكَ وَ نَشْرُكَ
مُؤَالِيكَ نَاجٍ مُؤْمِنٌ بَيْنَ الْهُدَى
وَ قَالِيكَ مَعْرُوفُ الضَّلَالَةِ مُشْرِكُ
وَ لَاحِ لِحَانِي فِي عَلِيٍّ وَ حِزْبِهِ
فَقُلْتُ لِحَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ أَغْفُكُ^٢

بلى ، قيل إن سبب اسوداد وجه الحميري كان لشربه الخمر الذي كان
يفعله في سالف الأيام . ينقل في «بحار الأنوار» عن «مناقب ابن
شهر آشوب» قال : قال عباد بن صهيب : كنتُ عند جعفر بن محمد ، فأتاه
نعي السيد ، فدعا له و ترحم عليه . فقال له رجل ، يا ابن رسول الله ، و هو

١- يمكن أن يكون فاعل «تلقاه» و «يضحك» راجعاً إلى «الذي» ؛ أي أن أمير المؤمنين
عليه السلام يتلقاه ضاحكاً بالشارة .

٢- «بحار الأنوار» ، الطبعة الكمباني ، المجلد الحادي عشر ، ص ١٩٨ و ١٩٩ .

قصة موت السيد الجميري وإرسال الصادق عليه السلام كفنًا له بيد غلامه المجلس العاشر

يشرب الخمر و يؤمن بالرجعة؟^١ فقال عليه السلام: حدثني أبي عن جدي أنّ محبّي آل محمد لا يموتون إلّا تائبين، و قد تاب، و رفع مصلّى كان تحته فأخرج كتاباً من السيد يعرفه أنّه قد تاب و يسأله الدعاء.^٢

و حين توفي السيد تجمّع الشيعة الكوفيّون الذين كانوا في بغداد بأجمعهم فشيّعوا جنازته، و قيل إنهم أهدوا إليه قبل وفاته سبعين كفنًا، فأنشد السيد قصيدة و بعثها إليهم مع غلامه، و طلب إليهم أن يتكفلوا أمر تشييعه و تكفينه و دفنه، و أن لا يُشارك في تشييع جنازته أعداء آل محمد و الحكّام الظالمين و قضاتهم و عمّال دواوينهم. و مطلع تلك القصيدة:

يَا أَهْلَ كُوفَانِ إِنِّي رَامِقٌ لَكُمْ

مُذْ كُنْتُ طِفْلاً إِلَى السَّبْعِينَ وَالْكَبَرِ^٣

ولكن وفقاً لخبر نقله في «بحار الأنوار» عن «المناقب» أنّ الإمام الصادق عليه السلام أرسل له كفنًا وحنوطاً في يد غلام نوبيّ على بغلة شهباء، فجاء بها إلى منزل السيد و سلّمها لعثمان بن عمر الكوّاء و أخبره أنّ الإمام الصادق عليه السلام يأمره أن يضعها في جهاز السيد.^٤

١- أي يقول برجعة محمد بن الحنفية؛ و إلّا فإنّ الاعتقاد برجعة الأئمة المعصومين هو من الأصول المسلّمة لدى الشيعة.

٢- «بحار الأنوار»، الطبعة الكمباني، المجلد ١١، ص ٢٠١.

٣- مقدّمة «ديوان الجميري» بقلم السيد محمد تقي الحكيم، اقتباساً من كتابه «شاعر

العقيدة»، ص ٣٣.

٤- «بحار الأنوار»، الطبعة الكمباني، المجلد ١١، ص ٢٠١.

الْمَجْلِسُ الْخَادِمُ يَحْشُرُ

مُمِيزَاتُ عَالَمِ الطَّبْعِ وَعَالَمِ الْمِثَالِ وَعَالَمِ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم الحادي عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلَّى الله على محمد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ
صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ١ .

يرحل الإنسان عن هذه الدنيا حين يرحل ، فيرد في عالم آخر يُدعى
بالبرزخ ، فيُقيم هناك حتى يُنفخ في الصور ، فيُنشر الناس من قبورهم آنذاك
و يردون في عالم القيامة .

و البرزخ بمعنى الحاجز بين مائتين أو أرضين أو بين شيئين آخرين ؛
ولأنَّ العالم الذي يمكث فيه الإنسان بعد موته يمثل الحاجز و الفاصل بين
عالم الدنيا و القيامة ، فاتتهم لذلك يدعونه بعالم البرزخ .
و لابدّ - من أجل إلقاء الضوء على خصائص عالم البرزخ - أن يُصار
إلى تقديم إيضاح أكثر في هذا المجال .

١- الآيتان ٩٩ و ١٠٠ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

إنّ هناك عالمين موجودين بين هذا العالم ؛ أي عالم الجسم و الجسمانيّات الذي نقضي فيه حياتنا الماديّة ؛ و بين عالم الأسماء و الصفات الإلهيّة ، أحدهما عالم المثال الذي يُدعى أيضاً بعالم البرزخ ، و الآخر عالم النفس الذي يُدعى أيضاً بعالم القيامة .

و ما لم يعبر الإنسان من هذين العالمين و يجتازهما ، فإنّته لن يصل إلى مقام الأسماء و الصفات الإلهيّة ؛ كما أنّه ما لم يمرّ من عالم البرزخ فإنّته لن يصل إلى عالم القيامة ، و ما لم يعبر من عالم النفس و القيامة فإنّته لن يصل إلى مقام الأسماء و الصفات الإلهيّة .

و المراد بالقيامة هنا القيامة الكبرى . و ذلك لأنّ لدينا قيامتين : إحداهما القيامة الصغرى ، و هي عبارة عن الموت و الورود في عالم البرزخ ، و إلى هذا الأصل يُشير قولُ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم : مَنْ مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ .

و الأخرى القيامة الكبرى ، و هي عبارة عن الخروج من عالم البرزخ و المثال و الدخول في عالم النفس و القيامة . و حين يُنشر الناس فيخرجون من عالم القبر و يتجهون إلى عالم ظهورات النفس الكلّيّة ، فإنّ قيامتهم الكبرى ستكون قد قامت .

و بينما يمتلك عالم المادّة الهيولائيّة و الطبع و الجسم و الجسمانيّات ، فإنّ عالم النفس يمثل التجرد المطلق من المادّة و آثارها . و يبقى عالم البرزخ ممثلاً للفاصل و الحاجز بين هذين العالمين . و مع أنّه ليس بمادّة ، إلّا أنّ له آثار المادّة من الكيف و الكمّ و الأثين و غيرها .

إنّ المادّة جوهر يقبل التشكّل ، و يعرض عليه الجسم و تطرأ عليه آثار الجسم . و بواسطة قبول التشكّل و التجسّم فإنّ تلك الأعراض الانفعاليّة التي تظهر في الجسم ستظهر أيضاً في المادّة ، و ستصبح كهذه المادّة

الموجودة في العالم ، و التي ظهرت في صور مختلفة يراها الناس ، كالتراب و الصخور و الماء و الشجر و بدن الإنسان و بدن الحيوان و أمثال ذلك .
و مع أنّ الموجودات التي في عالم البرزخ لا مادة لها ، إلّا أنّها تمتلك شكلاً و صورةً وحدّاً و كمّاً و كيفاً و أعراضاً فعليةً ، أي أنّ لها أبعاداً و حدوداً و لوناً و رائحةً .

و عليه فإنّ صور الأشخاص البرزخيين ذات لونٍ و حدّ ، كما أنّ هناك فرح و مسرةً و غضب و قلق ، و هناك نور أيضاً . لذا فإنّ هذه الموجودات البرزخية تمتلك صوراً جسميةً إلّا أنّها بدون هيولى و بدون مادة .
و من جهة أخرى فإنّ عالم البرزخ يُدعى أيضاً بعالم الخيال . و يعني الخيال العالم الذي تتواجد فيه الصور المحضة ، و العالم الخالي من المادة ، مع أنّ الصور الموجودة هناك أقوى بمراتب من موجودات عالم المادة و أعظم و أسرع حركةً ، و أكثر إحساساً بالحزن و الغمّ و بالمسرة و اللذة ، و ذلك لأنّ المادة تمثّل حاجباً يحجب الكثير من هذه الخصائص . و لأنّ عالم البرزخ مطلق من المادة ، فإنّ هذه المعاني موجودة هناك على نحو الوفرة . و هناك عالم الخيال ، أي الخيال المنفصل ، لأنّ عالم الخيال المتّصل هو قوى الإنسان المتخيّلة المجاورة لبدنه الترابي و المقترنة به ، أمّا الخيال المنفصل فيمثّل تلك القوى حين تفارق البدن و تتّصل بعالم الصورة المحض ، و لذلك فإنّ جميع موجودات عالم البرزخ تدعى بالخيال المنفصل .

كما أنّ عالم البرزخ يُدعى أيضاً بالمثال المنفصل ، لأنّ المثال المتّصل هو ذلك البرزخ الموجود لدى الإنسان الترابي بين بدنه و طبعه و بين عالم نفسه ، و هو مجموعة قواه الذهنية . و حين يرحل الإنسان عن الدنيا ، فإنّ عالم ذهنه سيّتصل بعالم المثال الكلّيّ ، لذا فإنّهم يدعون هذا

بالمثال المتّصل ، كما يدعون ذاك بالمثال المنفصل . و جميع عالم البرزخ مثال منفصل . و اعلم أنّ عالم الخيال عالم واسع للغاية و أقوى بكثير من المادّة ، لا ما نتوهمه - نحن الناطقون بالفارسيّة - من أنّ الخيال بمعنى الأمر الموهوم المتخيّل ، و هو توهم خاطئ ورد على لغتنا .

و لذلك فإنّ بعض أهل الظاهر حين شاهدوا من الحكماء الأعلام أمثال هذه العبارات - مثل عالم الخيال - فقد تصوّروا أنّ أولئك يرفضون الاعتقاد بعالم البرزخ الذي هو عالم المثال ، و أنّهم يعتقدون بأنّه عالم وهميّ تصوّري ليس له حقيقة و واقع . و هو تصوّر خاطئ لا محلّ له ، و ناشئ من الجهل لمصطلحات الحكماء الأعلام .

إنّ عالم الخيال هو عالم البرزخ و المثال بعينه ، و موجوداته أقوى آلاف المرات و أعجب و أهمّ أثراً من عالم الطبع و المادّة . و نأتي بمثال لإيضاح هذا الأمر :

إنّ لدينا - أفراد البشر - بدنًا ، و هذا البدن محدود و مشخص و معيّن ، و لدينا قوى باطنية ، كالحواس المشتركة ، و قوّة الحافظة ، و القوّة المفكّرة ، و القوّة الواهمة ، و القوّة المتخيّلة . و باستخدام هذه القوى الباطنية فإنّنا نجترح الأعاجيب ، فيمكننا - مثلاً - أن نشيد في ذهننا و بزم من قصير جدّاً عمارة ذات أربعين طابقاً بكلّ تجهيزاتها و مستلزماتها . و يمكننا أن نتحوّل من شرق العالم إلى غربه في لحظة واحدة ، و أن نُنجز في زمن يسير أعمالاً يستلزم إنجازها المدّة المديدة .

فما أكبر النسبة بين هذه السعة التي يمتلكها ذهننا بقواه و بين بدننا و قواه الطبيعيّة ! فكذلك هي النسبة في السعة و العظمة بين عالم البرزخ و بين عالم الدنيا .

و باعتبار أنّ عالم اليوم يمثل أنموذجاً من البرزخ المنفصل (فالأحلام

نسبة سعة عالم البرزخ إلى الدنيا ، و سعة عالم القيامة إلى البرزخ المجلس الحادي عشر

التي يراها الإنسان في بعض الأوقات) و على الرغم من أن النوم أضعف بكثير من الموت ، و أن برزخ نوم الإنسان أضعف بكثير من برزخ موته ؛ فإنّ الإنسان يرى في هذه الأحلام موجودات أقوى و أعظم و أعجب ، ويشهد نشاطاتٍ و حركات و سُرع أشدّ ، و يحسّ بلذات و أفراح و هموم و غموم أكثر ، كما يتملّكه الخوف و الفزع بشكل أكبر . و إذا ما شاء الإنسان في هذه الدنيا أن يجتاز شارعاً ما ، فإنّ عليه أن ينظر بدقة إلى هذه الجهة و تلك تلافياً لاصطدامه بسيّارة ، ثمّ يتحرّك بهدوء ليجتاز عرض الشارع . أمّا في عالم النوم و البرزخ فالأمر ليس كذلك ، لأنّك حين تشاء فإنّك تنهض على الفور فتحلّق و تسير في السماء و تعلو الغيوم في حركتك بلا ريش ولا جناح مادّي ، و تنفّرج على جميع العالم ثمّ تهبط و تنقضّ كالبرق الخاطف فتسبح في البحار و المحيطات فتجتازها و تطويها في لحظة واحدة !

إنّ عالم البرزخ أقوى و أعظم من هذا العالم بنفس نسبة شدّة و قوّة هذه الحركات و السرعة قياساً إلى تلك الحركة في عرض الشارع .
إنّ عالم البرزخ المتّصل و ذهننا ، قياساً إلى نفسنا ، مثل نسبة بدننا قياساً إلى برزخنا ضعيف و صغير ؛ كما أنّ سعة و عظمة النفس التي تخطّت الحدود و الكيفيات الصوريّة و صار لها التجرّد المحض بالنسبة إلى عالم الذهن ، إذا ما قيسّت إلى عالم الذهن و المثال المتّصل ، فإنّ نسبتها ستكون في عظمتها و سعتها عين نسبة عالم الذهن إلى البدن المادّي و الطبيعي . و عليه فإنّ عالم القيامة الكبرى ، قياساً إلى عالم البرزخ ، له نفس هذه النسبة في السعة و العظمة . و ذلك لأنّ عالم البرزخ يمتاز بكيفيّة المادّة و آثارها من الكمّ و الكيف ، أمّا عالم القيامة فقد تجرّد من الصورة أيضاً فصار إطلاقاً محضاً .

على أنّ هذا العالم مثال و أنموذج لعالم البرزخ ، و عالم البرزخ مثال لعالم القيامة ، و عالم القيامة مثال لعالم الأسماء و الصفات الكلّية الإلهيّة . وكذلك فإنّ البدن مثال و نموذج للقوى الذهنيّة ، و القوى الذهنيّة مثال للنفس الناطقة ، و النفس الناطقة بدورها مثال للروح الكلّية بوحدها و كليّتها . و كلّما تخطّينا هذه العوالم المحدودة و نظرنا إلى الإطلاق ، فإنّ العوالم ستصبح أكثر سعةً و عظمة ؛ و على العكس فإنّنا كلّما هبطنا من عوالم الإطلاق و تنزلنا إلى الأسفل ، فإنّ العوالم ستصبح أضعف و أصغر . تماماً كمثّل الصورة المنعكسة في المرآة و الحاكّية عن شكل و أبعاد و لون الطلعة ، لا عن حقيقة و واقع ذلك الشخص صاحب الصورة ، كما أنّها لا تُظهر عقله أو سخاءه أو شجّاته أو سائر ملكاته المعنويّة ، و فوق ذلك كلّه فهي لا تُظهر نفسه الناطقة التي لا تمتلئ - أصولاً - شكلاً و لا صورة .

و لذلك فإنّ ما نشاهده في عالم المادّة هذا ليس إلّا أنموذجاً من عالم البرزخ لا نفس عالم البرزخ ، ذلك العالم الواسع إلى الحدّ الذي لا يمكن مشاهدته بالأعين الظاهريّة ، و لا إدراكه بالحواس الخمس الظاهريّة . فقد وُجدت هذه الحواس لربط الإنسان بعالم الطبع و المادّة ، و ليس فيها قوّة لربطه بما فوق عالم المادّة .

و عليه فإنّ الحقائق البرزخيّة ليست - أصولاً - قابلة للنزول و الإراءة في مرآة المادّة ، و ما يُظهره عالم المادّة في نفسه من عالم البرزخ إنّما هو بقدر سعة المادّة و ظرفيّتها فقط .

كما أنّ عالم القيامة و الحقائق الظاهرة لعالم النفس ليست قابلة للنزول و الإراءة في مرآة البرزخ و الصورة المثاليّة ، و ما يظهره البرزخ من عالم القيامة إنّما هو بقدر سعته و ظرفيّته فقط .

افرضوا أنفسكم الآن في هذا الفضاء الواسع لجوّ السماء ، وانظروا كم

نسبة سعة عالم البرزخ إلى الدنيا و سعة عالم القيامة إلى البرزخ المجلس الحادي عشر

يكون بدنكم صغيراً قياساً إلى هذا الجو المحيط بكم ! إنّ عالم الطبيعة والدنيا قياساً إلى عالم المثال و البرزخ صغير بنفس النسبة .

و إذا ما جعلنا عالم النفس عرش الخالق ، و جعلنا عالم المثال عالم الكرسي ، فإن نسبة أحدهما إلى الآخر و إلى عالم الطبع و المادّة سيُشخّص جيّداً و فق الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام :

يروى في «تفسير العياشي» عن محسن المثنى (الميثميّ ظ) ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام :

قال : قال أبوذرّ ، يا رسول الله ! ما أفضل ما أنزل عليك ؟ قال : آية الكرسي ؛ ما السموات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرضٍ بلاقع ، وإنّ فضله على العرش كفضل الفلاة على الحلقة^١ .

١- وردت هذه الرواية في «تفسير العياشي» ، طبع علميّة قم ، المجلّد الأوّل ، ص ١٣٧ بالعبارة التي نقلناها هنا ، و يبدو أنّ هناك سهواً في العبارة ، و أنّ تقديماً و تأخيراً قد حصل بين الكرسي و العرش ، و أنّ العبارة كان ينبغي أن تكون و إنّ فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة هكذا .

و يشهد على هذا الخطأ ؛ إضافة إلى الروايات العديدة التي تعتبر العرش أفضل من الكرسي ، التي وردت في تفسير ، «البرهان» ، و «الميزان» و «الصافي» ذيل آية الكرسي ؛ ما ورد في «تفسير الصافي» ، الطبعة الحجرية ، في حاشية «مجمع البيان» ص ٧٤ ، و في الطبعة الحروفية للمكتبة الإسلامية ، المجلّد الأوّل ص ٢١٤ ، و في تفسير «الميزان» ، المجلّد الثاني ، ص ٣٥٤ . فقد روى هذه الرواية عن «تفسير العياشي» على النحو الذي صحّحناه . و يقول في تفسير «الصافي» :

و فضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة . (رواه العياشي عن الصادق عليه السلام)

و يقول في تفسير «الميزان» : و قد ورد في «تفسير العياشي» حتّى يصل إلى قوله : ثم قال : و إنّ فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة .

و يعتبر الشيخ أبو عليّ بن سينا عالم خيال الإنسان من آثار المادّة و خواصّها ، و لذلك فإنّه لا يعتقد أيضاً بعالم البرزخ ، أي الخيال المنفصل ، و ذلك لأنّ البرزخ يجب أن يكون له تجرّد ماديّ لينفصل عن عالم المادّة . و في اعتقاده فإنّ من غير المتصوّر أن يكون هناك عالم كهذا له صورة محضة ، و فيه حدّ و كمّ وكيف إلّا أنّه ليس له مادّة . و لذا فإنّه لم يعتقد و لم يقلّ بعالم البرزخ الواقع بين عالم المادّة و النفس . بيّد أنّه كان يقول بتجرّد النفس الناطقة ، حيث أقام البراهين الساطعة على تجرّدها ، بالرغم من إمكان نسبة تجرّد الخيال و البرزخ إليه ، استناداً إلى بعض عباراته التي يذكرها على نحو التشكيك .

أمّا صدر المتألّهين الشيرازيّ ، فقد أقام أدلّة متينة على تجرّد عالم الخيال المتّصل ، و كان يقول في كتبه صراحةً بعالم البرزخ و المثال المنفصل ، و يعدّ العبور من البرزخ للوصول إلى عالم القيامة من ضروريّات المسائل الحكيمية .

و قد تابعه في نهجه سائر الحكماء المتأخّرين عنه ، و أجمعوا على القول بعالم البرزخ و القول بتجرّده .

و قد سار المرحوم الحاج المولى هادي السبزواريّ على هذا النهج و قام بإثبات تجرّد عالم الخيال ؛ و لأنّه كان يعتبر المعاد الجسمانيّ ببقاء الصور في عالم الدّهر و عالم الكون ، فقد قال بأنّ إثبات تجرّد الخيال مفيد لإثبات المعاد الجسمانيّ .

هذا و قد أقام دليلين رئيسيّين في إثبات تجرّد الخيال ، أحدهما برهان التحلّل ، و الآخر برهان امتناع انطباع الشيء الكبير في الشيء الصغير . و نغضّ الطرف عن بيان كيفية هذين الاستدلّالين ، و نرجع الراغبين في الإطلاع إلى كتب الحكمة .

يقول المرحوم السبزواري في منظومته :

تَحَلُّلُ الرُّوحِ وَ أَنَّهُ امْتَنَعَ كَوْنُ الْعَظِيمِ فِي صَغِيرٍ أَنْطَبَعَ
دَلًّا عَلَى تَجَرُّدِ الْخَيَالِ فَهُوَ مِثَالُ عَالَمِ الْمِثَالِ^١

و اعلم أنَّ البدن الذي يدخل القبر فيهُال عليه التراب هو غير الصورة
المثاليَّة التي تذهب إلى البرزخ ، و أنَّ السؤال و الحساب يُوجَّهان للبدن
المثالي لا للبدن الترابي ، فالأخير لا حركة له و لا عين و لا أذن و لا إدراك ،
سواءً استحال رميمًا في القبر أم لم يستحل .

أمَّا البدن المثالي الذي هو عالم الصورة الإنسانيَّة ، فإنَّه حيّ
لا يموت ، لا ينقص إدراكه أو تضعف بصيرته ، بل يزدادان قوَّةً و مضاءً ،
و هو الذي يصبح موردًا للسؤال و المؤاخذة ، و موردًا للشواب أو العقاب
البرزخي . وعلَّة ما ورد في كثير من الروايات من التعبير بعالم القبر ،
و منكر و نكير في عالم القبر ، و المؤاخذة في القبر ؛ هو أنَّ عالم البرزخ
يعقب هذه الدنيا ، كما أنَّ القبر يعقب هذه الحياة الدنيويَّة ، و لهذه المناسبة
فقد عبَّروا بعالم القبر عن عالم البرزخ المتعلِّق بعالم القبر .

بلى ، ستصبح الروح مع البدن الجسماني في القيامة موردًا للمؤاخذة
و الثواب و العقاب ، و المعاد الجسماني من ضروريَّات المذهب ، و هكذا
فإنَّ الله تبارك و تعالى سيُحضر الروح و البدن معاً في المحشر فيجزيهما
بأعمالهما خيراً أو شراً . و سنبحث إن شاء الله تعالى مفصلاً في بحث
الحشر الذي سيأتي ، عن كَيْفِيَّةِ المعاد الجسماني و بيان الآراء و المذاهب
فيه .

١- «شرح المنظومة السبزواريَّة» ، مبحث الطبيعيات ، مبحث النفس ، غرر في النفس

الباطنيَّة ، حيث شرح هذا الموضوع بشكل كامل من ص ٢٨٦ إلى ص ٢٨٨ .

و يشهد على إثبات العوالم الثلاثة المذكورة ، أي عالم الطبع و عالم البرزخ و عالم القيامة ، وجدائنا بنفسه ، ناهيك عن البراهين التي أقيمت في العلوم الإلهيّة و الحكمة المتعالية .

إنّنا نمتلك مراتب من مراتب الوجود

الأولى : بدننا المنتمي إلى عالم الطبع و المادّة ، و الذي يعروه و يطراً عليه التغيّر و التحوّل و الفساد و الصلاح و العمران ، و المتغيّر دوماً مع تغييرات المادّة و الظرف الزمانيّ و المكانيّ . فالبدن بجميع أعضائه و جوارحه من القلب و المخّ و الكبد و الرئة و الكلية و المعدة و الأمعاء و اليدين و الرّجلين و العين و الأذن و آلاف الأعضاء و ملايين الخلايا ليس في ثبات و استقرار و لو للحظة واحدة ، بل يتخذ لنفسه دوماً في حركته الجوهرية و الذاتية حالاتٍ جديدةٍ تخلف حالاته السابقة و تحلّ محلّها .

الثانية : مرحلة ألطف و أعلى ، و هي ذهننا الذي يمتلك قوى باطنية من القوة المفكّرة و المتخيّلة و الواهمة و الحافظة و الحسّ المشترك ، و الذي يستقبل آلاف الصور و الأشكال و المعاني ، كما أنّه يُوجد بنفسه مثل هذه الصور و المعاني أيضاً .

فذهننا لا وزن له و لا ثقل ، و ليس مادّياً ، إلّا أنّ له كيفيّة المادّة و آثارها من الشكل و الصورة و اللّذة و الحزن و غيرها .

و يمكن لذهننا أن يُوجد في داخله بإرادته موجوداتٍ لا يمكنها الظهور في هذا العالم بواسطة كثافة المادّة .

كما أنّ حركة بدننا تابعة لإرادة ذهننا و أمره ، فلا يمكن للإنسان إنجاز عملٍ مادون أن يتصوّر صورة ذلك العمل . و لقد تصوّرنا حين كنّا في

المنزل صورة المسجد و الحركة تجاهه ، و وضعنا في نظرنا فائدة ذلك ، ثم إن أنفسنا أمرتنا لنعمل وفق تلك الخطة التي رُسمت في أذهاننا من المسجد و الحركة و تصوّر فائدة المجيء للمسجد ، فعملنا بذلك .

الثالثة : نفسنا و حقيقتنا ، و هي أعلى و أوسع و ألطف بكثير من ذهننا ، لأنها تفوقه في عدم امتلاكها شكلاً و لا صورة ، و لا أبعاداً و لا كيفية . و هي تلك الماهية التي يُعبّر عنها بـ «أنا» و «أنت» و «هو» و «نحن» و «أنتم» و «هم» .

و هي أعلى من القوى و من الملكات و الصفات ، لأنّ جميع القوى الباطنية و الملكات و الصفات موجودة في شعاع وجودها و قائمة بها ، و هي حقيقة مجردة عن المادّة ، و مجردة عن صورة المادّة و آثارها . و هذه المراحل الثلاث لوجودنا أنموذج و مثال للمراحل الثلاث من وجود العالم الكلّي ، فبدننا أنموذج من عالم الهيولا و الطبع ، و ذهننا و مثالنا المتصل أنموذج من عالم البرزخ و المثال المنفصل ، و نفسنا الناطقة و حقيقتنا أنموذج من عالم النفس الكلّيّة و القيامة الكبرى . و قد أُشير إلى هذا الأمر في الأشعار المنسوبة إلى مولى الموالى أمير الموحدين و المؤمنين عليه السلام :

دَوَاؤُكَ فِيكَ وَ مَا تَشْعُرُ	وَ دَاوُوكَ مِنْكَ وَ مَا تُبْصِرُ
وَ تَحْسَبُ أَنَّكَ جِزْمٌ صَغِيرٌ	وَ فِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ
وَ أَنْتَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ الَّذِي	بِأَحْرَفِهِ يَظْهَرُ الْمُضْمَرُ
فَلَا حَاجَةَ لَكَ فِي خَارِجٍ	يُخْبِرُ عَنْكَ بِمَا سَطُرَ

١- «الديوان المنسوب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام» ، الطبعة الحجرية ، قافية

و قد صُرح بهذه المراتب الثلاث في وجود الإنسان في السجدة التي سجدها رسول الله صلى الله عليه و آله في ليلة النصف من شعبان ، وكذلك في الدعاء الوارد في سجدة النصف من شعبان بعد إيراد الصلاة بالكيفية الخاصة .

روى الشيخ الطوسي في كتاب «مصباح المتهجد» عن حماد بن عيسى ، عن أبان بن تغلب قال :

قال أبو عبد الله عليه السلام: لما كانت ليلة النصف من شعبان كان رسول الله صلى الله عليه و آله عند عائشة ، فلما انتصف الليل قام رسول الله صلى الله عليه و آله ، عن فراشها ، فلما انتهت وجدت رسول الله صلى الله عليه و آله قد قام عن فراشها ، فدخلها ما يتداخل النساء و ظنت أنه قد قام إلى بعض نساءه ، فقامت و تلقفت بشملتها و أيم الله ما كان قرأ و لا كتاناً و لا قطناً ، ولكن كان سداه شعراً و لحمته أوبار الإبل ، فقامت تطلب رسول الله صلى الله عليه و آله في حُجر نساءه حجرة حجرة ، فبينما هي كذلك إذ نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه و آله ساجداً كثوب متلبط على وجه الأرض ، فدنّت منه قريباً فسمعت في سجوده و هو يقول :

سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَ خِيَالِي وَ آمَنَ بِكَ فُؤَادِي ، هَذِهِ يَدَايِ وَ مَا جَنَيْتُهُ عَلَى نَفْسِي ، يَا عَظِيمًا تَرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ ، إِغْفِرْ لِي ذَنْبِي الْعَظِيمَ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ إِلَّا الرَّبُّ الْعَظِيمُ .

ثم رفع رأسه و أهوى ثانياً إلى السجود و سمعته عائشة يقول :

أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَتْ لَهُ السَّمَوْتُ وَالْأَرْضُونَ ، وَانْكَشَفَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَ صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، مِنْ فُجَاءَةٍ نَقَمْتِكَ وَ مِنْ تَحْوِيلِ عَافِيَتِكَ وَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي قَلْبًا تَقِيًّا نَقِيًّا وَ مِنَ الشُّرْكِ بَرِيئاً لَا كَافِراً وَلَا شَقِيًّا .

ثمّ عَفَّرَ خَدَّيْهِ فِي التُّرَابِ فَقَالَ :

عَفَّرْتُ وَجْهِي فِي التُّرَابِ وَحَقَّقَ لِي أَنْ أَسْجُدَ لَكَ .

فلَمَّا هَمَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بالانصراف هرولت إلى فراشها، فأَتَى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وآله فراشها فإذا لها نَفْسٌ عالٍ، فقال لها رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : ما هذا النفس العالي ؟ أمّا تعلمين أيّ ليلةٍ هذه ؟ هذه ليلة النصف من شعبان فيها تُقَسَّمُ الأرزاق وفيها تُكْتَبُ الآجالُ وفيها يُكْتَبُ وفدُ الحاجِّ، وأنَّ الله ليغفر في هذه الليلة من خلقه أكثر من شعر معزى قبيلة كلب، وينزل الله تعالى ملائكة من السماء إلى الأرض بمكّة .

و قد ذكر المرحوم السيّد بن طاووس هذه الرواية في «الإقبال» و أورد سندها بهذه الكيفيّة، أي : الشيخ الطوسيّ، عن حمّاد بن عيسى، عن أبان بن تغلب، عن الإمام الصادق عليه السلام، إلّا أنّه ذكر - بدلاً من عائشة - أنّ رسول الله كان عند بعض نساءه . ثمّ أنّه نقل عن الزمخشريّ في كتاب نابق «الفائق خ ل» أنّ أمّ سلمة تبعّت النبيّ فرأته يتّجه إلى البقيع، ثمّ إنّ أمّ سلمة رجعت، فشاهد النبيّ عند عودته أنفاسها المتلاحقة من إسراعها . إلّا أنّ الزمخشريّ لم يذكر في هذه الرواية أدعية النبيّ في سجوده . ثمّ يوحّد السيّد ابن طاووس بين هذه الرواية و رواية الشيخ في «المصباح»، ثمّ يختتمها بنسبتها إلى أمّ سلمة و بذكر الأدعية الواردة في السجّادات و دعاء الخدين^١.

إلّا أنّ لهذه الرواية إضافة على رواية الشيخ في «المصباح» و هي
يَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا الْمُشْرِكَ^٢ أَوْ مُشَاجِنٍ أَوْ قَاطِعٍ رَحِمٍ أَوْ مُدْمِنٍ

١- «الإقبال» الطبعة الحجرية، أعمال النصف من شعبان، ص ٧٠٢ و ٧٠٣ .

٢- من الممكن أنّه كان «الْمُشْرِكِ»، و هو الأقرب .

مُسْكِرٍ أَوْ مُصِرٍّ عَلَى ذَنْبٍ أَوْ شَاعِرٍ أَوْ كَاهِنٍ .

كما يروي الشيخ الطوسي في «مصباح المتهجد» عن الحسن البصري، عن عائشة؛ و الشيخ الصدوق بسند آخر عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، أن من جملة الأعمال التي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالإتيان بها ليلة النصف من شعبان عشر ركعات يؤتى بها بعد منتصف الليل يتلى في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و التوحيد عشر مرات، ثم يسجد فيقول:

اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدَ سَوَادِي وَ خَيَالِي وَ بَيَاضِي يَا عَظِيمَ كُلِّ عَظِيمٍ
إِغْفِرْ لِي ذَنْبِي الْعَظِيمَ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ غَيْرُكَ .

ثم قال رسول الله فإنه من فعل ذلك محا الله عنه اثنتين و سبعين ألف سيئة، و كتب له من الحسنات مثلها، و محا الله عن والديه سبعين ألف سيئة^١.

و الخلاصة فقد كان القصد من ذكر هاتين الروايتين خصوص لفظ «سواد» و «خيال» و «فؤاد» في الرواية الأولى، و لفظ «سواد» و «خيال» و «بياض» في الثانية. و ذلك لأن المراد بها تلك العوالم الثلاثة الموجودة في الإنسان، فالسواد كناية عن عالم البدن و المادّة، لأنّ عالم البدن و الطبع مُبتلى بالآلام و المصائب و مُعرض للحوادث و التغيرات و للكون و الفساد، و محدود بالزمان و المكان و أعراض المادّة، حيث عبّر عنه في الرواية بـ «أظلم العوالم».

و الخيال بمعنى عالم المثال و الذهن الذي يتعامل مع الصور بشكل دائمٍ، فلا تتجاوز دائرة نشاطه الشكل و الصورة و التصرّو و التصديق.

١- «مصباح المتهجد» الطبعة الحجرية ص ٥٨٣ و ٥٨٤.

أما البياض فكناية عن عالم النفس الناطقة و حقيقة الإنسان المجردة و المنزهة عن المادّة و الطبع ، و عن شكل و صورة و حدود و ثغور عالم المثال ؛ و السبحة في بحر التحرّر و الإنطلاق . و هو معنى الفؤاد الذي ورد في الرواية الأولى ، كما أنّ السجدة عبارة عن غاية التذلّل و العبوديّة و مقام الفناء .

و عليه فإنّ معنى ذلك سيصبح : يا إلهي ، لقد قدّمتُ بجميع مراتب و درجات وجودي ، من الطبع و البدن ، و من الخيال و المثال ، و من النفس و الحقيقة إلى مقام التسليم و العبوديّة المحضة و الفناء في ساحتك المقدّسة فليس هناك في أيّ منها شائبة للأناثيّة و الشخصيّة و الاستكبار و الاستقلال رزقنا الله ذلك بمحمّد و آله صلواته عليهم و سلامه .

و لهذا المعنى فقد صرّح آية الحقّ و اليقين ، زين الحكماء و العرفاء الشامخين ، الحاجّ الميرزا جواد آقاي الملكي التبريزي أعلى الله مقامه الشريف في كتاب «المراقبات أو أعمال السنة» ص ٨٥ ضمن أعمال ليلة النصف من شعبان بقوله :

و مِنَ الْمُهَمَّاتِ سَجَدَاتٌ بِدَعَوَاتٍ مَخْصُوصَةٍ ، وَ فِي بَعْضِهَا إِشَارَةٌ إِلَى الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثَةِ لِلْإِنْسَانِ حَيْثُ قَالَ فِيهِ : «سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَ خَيَالِي وَ بَيَاضِي» وَ هُوَ كَالنَّصِّ بِعَالَمِهِ الْمَحْسُوسِ فَإِنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ مَادَّةٍ وَ مِقْدَارٍ ، وَ عَالَمِهِ الْمِثَالِ وَ هُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ صُورَةٍ وَ رُوحٍ ، وَ عَالَمِهِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي بِهِ صَارَ إِنْسَانًا يَعْنِي حَقِيقَةَ نَفْسِهِ وَ هُوَ عَالَمُهُ الَّذِي لَا صُورَةَ فِيهِ وَ لَا مَادَّةَ ، وَ هُوَ حَقِيقَتُهُ الْعَالِمَةُ اللَّطِيفَةُ الرَّبَّانِيَّةُ الَّتِي مِنْ عَرَفِهَا فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ ، أَيْ تَكُونُ مَعْرِفَتُهُ وَسِيلَةً لِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ تَعَالَى .

و كذلك كتب ذلك المرحوم في إجابته على رسالة للمرحوم زين الفقهاء و جمال السالكين الحاجّ الشيخ محمّد حسين الكمباني الأصفهاني

سأله فيها إرشاده إلى طريقة للعمل و إلى المقدّمة المؤدّية إلى معرفة
الحضرة الأحديّة ؛ متعرّضاً إلى هذا المعنى يقول :
و العجب من التصريح بهذه المراتب في سجدة دعاء ليلة النصف من
شعبان ، و هو وقت وصول الرسالة ؛ في قوله :
سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَ خَيَالِي وَ بَيَاضِي .
فأصل المعرفة ذلك الوقت الذي يفنى فيه الثلاثة معاً ، حيث أنّ
حقيقة السجدة عبارة عن الفناء ، و عند الفناء عن النفس بمراتبها يحصل
البقاء بالله .^١

و قد روي في كتب أربعة معروفة رواية عجيبة عن السؤال في عالم
القبر و عن استجواب منكر و نكير ؛
الأوّل : في «تفسير عليّ بن إبراهيم» ، ذيل الآية الشريفة :
يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي
الْآخِرَةِ .^٢

يرويه عن أبيه ، عن عليّ بن مهزيار ، عن عمر بن عثمان ، عن
المفضل بن صالح ، عن جابر ، عن إبراهيم بن العلاء ،^٣ عن سويد بن غفلة .^٤
الثاني : في «تفسير العياشي» ، ذيل نفس الآية المباركة ، عن سويد
ابن غفلة دون ذكر السند .^٥

١- يوجد لدى الحقيير نسخة من هذه المراسلة .

٢- الآية ٢٧ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٣- ورد في التفسير بلفظ ابن العلاء ، إلّا أنّه ذكر في «الكافي» و «أمالي الشيخ» بلفظ
عبد الأعلى .

٤- «تفسير عليّ بن إبراهيم» ، سورة إبراهيم ، ص ٣٤٦ ، الطبعة الحجريّة سنة ١٣١٣ .

٥- «تفسير العياشي» ، سورة إبراهيم ، المجلّد الثاني ، ص ٢٢٧ .

الثالث : في «الكافي» ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان ، و عدّة من الأصحاب ، عن سهل بن زياد ، عن البرنظيّ و الحسن بن عليّ جمعياً ، عن أبي جميلة ، عن جابر ، عن عبد الأعلى ؛ وكذلك عن عليّ ابن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن إبراهيم بن عبد الأعلى ، عن سويد بن غفلة .^١

الرابع : في «الأمالي» ، الشيخ الطوسي ، عن ابن صلت ، عن ابن عقدة ، عن القاسم بن جعفر بن أحمد ، عن عباد بن أحمد القزويني ، عن عمّه ، عن أبيه ، عن جابر ، عن إبراهيم بن عبد الأعلى ، عن سويد بن غفلة .^٢

كما قام المجلسيّ بروايتها عنهم في كتابه «بحار الأنوار»^٣ .
و بالطبع فقد كان اختلاف اللفظ في نسخ هذه الرواية طفيف جداً ، إلّا أننا ننقل هنا عين عبارة «تفسير عليّ بن إبراهيم» .

فبعد ذكر السند السابق يحدث سويد بن غفلة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال : إِنَّ ابْنَ آدَمَ إِذَا كَانَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ مَثَلُ لَهُ مَالُهُ وَ وَلَدُهُ وَ عَمَلُهُ ، فَيَلْتَفِتُ إِلَى مَالِهِ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ عَلَيْكَ لَحْرِيصاً شَحِيحاً ، فَمَا لِي عِنْدَكَ ؟
فَيَقُولُ : خُذْ مِنِّي كَفَنَكَ .

١- «الكافي» ، كتاب الفروع ج ١ كتاب الجنائز ، باب أَنَّ الْمَيِّتَ يُمَثَّلُ لَهُ مَالُهُ وَ وَلَدُهُ وَ عَمَلُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ ، الطبعة الحجرية ص ٦٣ ؛ و الطبعة الحيدريّة : المجلّد الثالث ، ص ٢٣١ .
٢- «الأمالي» للشيخ الطوسي ، طبع مطبعة النعمان ، النجف ، المجلّد الأوّل ، ص ٣٥٧ إلى ٣٥٩ .
٣- «بحار الأنوار» ، كتاب العدل و المعاد ، طبعة الآخوند ، المجلّد السادس ، ص ٢٢٤ إلى ٢٢٨ .

ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى وَلَدِهِ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ لَكُمْ لَمُحِبًّا ، وَإِنِّي كُنْتُ عَلَيْكُمْ لَمُحَامِيًّا ؛ فَمَاذَا لِي عِنْدَكُمْ ؟
 فَيَقُولُونَ : نُودِيكَ إِلَى حُفْرَتِكَ وَنُوارِيكَ فِيهَا .
 ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى عَمَلِهِ فَيَقُولُ : إِنِّي كُنْتُ فِيكَ لَزَاهِدًا ؛ وَإِنَّكَ كُنْتَ عَلَيَّ ثَقِيلًا ؛ فَمَاذَا لِي عِنْدَكَ ؟
 فَيَقُولُ : أَنَا قَرِينُكَ فِي قَبْرِكَ وَ يَوْمَ حَشْرِكَ حَتَّى أُعْرَضُ أَنَا وَ أَنْتَ عَلَى رَبِّكَ .

فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا أَتَاهُ أَطِيبُ النَّاسِ رِيحًا وَ أَحْسَنُهُمْ مَنْظَرًا وَ أَحْسَنُهُمْ رِيَاشًا ؛ فَيَقُولُ : ابْشُرْ بِرَوْحٍ مِنَ اللَّهِ وَ رِيحَانٍ وَ جَنَّةٍ نَعِيمٍ ؛ قَدْ قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ .

فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟
 فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، أَرْتَحِلُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْجَنَّةِ ؛ وَ إِنَّهُ لَيَعْرِفُ غَاسِلُهُ وَ يُنَاشِدُ حَامِلِيهِ أَنْ يُعَجِّلُوهُ .
 فَإِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ أَتَاهُ مَلَكَانِ ، وَ هُمَا فَتَنَانَا الْقَبْرِ ؛ يَجْرَانِ أَشْعَارُهُمَا وَ يَبْتَخَنَانِ الْأَرْضَ بِأَنْيَابِهِمَا ؛ وَ أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْعَاصِفِ ؛ وَ أَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ .

فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَ مَنْ نَبِيِّكَ ؟ وَ مَا دِينُكَ ؟ وَ مَنْ إِمَامُكَ ؟
 فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَ مُحَمَّدٌ نَبِيِّي ، وَ دِينِي الْإِسْلَامُ ، وَ عَلَيَّ وَ الْأَئِمَّةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أُمِّمَنِي .

فَيَقُولَانِ : ثَبَّتَكَ اللَّهُ بِمَا تُحِبُّ وَ تَرْضَى وَ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ : يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ... الْآيَةِ ؛ فَيَفْسَحَانِ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ، وَ يَفْتَحَانِ لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ؛ وَ يَقُولَانِ لَهُ : نَمَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ نَوْمَ الشَّابِّ النَّاعِمِ وَ هُوَ قَوْلُهُ : أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا . وَ إِذَا كَانَ

لِرَبِّهِ عَدُوًّا ، فَإِنَّهُ يَأْتِيهِ أَقْبَحُ خَلْقِ اللَّهِ رِيَاشًا وَأَنْتَنَةً رِيحًا . فَيَقُولُ لَهُ : أَبَشِّرْ بِنُزُلٍ مِنْ حَمِيمٍ ، وَتَصْلِيَةٍ جَحِيمٍ ؛ وَأَنَّهُ لَيَعْرِفُ غَاسِلَهُ وَ يُنَاشِدُ حَامِلِيهِ أَنْ يَحْبِسُوهُ .

فَإِذَا دَخَلَ قَبْرَهُ أَتَيَاهُ مُفْتَحِمَا الْقَبْرِ ، فَأَلْقِيَا عَنْهُ أَكْفَانَهُ ؛ ثُمَّ قَالَا لَهُ : مَنْ رُبُّكَ ؟ وَ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ وَ مَا دِينُكَ ؟
فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي .

فَيَقُولَانِ لَهُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا هُدَيْتَ ؛^١ فَيَضْرِبَانِي بِمِرْزَبَةٍ ضَرْبَةً مَا خَلَقَ اللَّهُ دَابَّةً إِلَّا وَ تَذَعَّرَ لَهَا خَلَا الثَّقَلَانِ .

ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ؛ ثُمَّ يَقُولَانِ لَهُ : نَمَّ بَشَرٌ حَالٍ فَهُوَ مِنَ الضُّيْقِ مِثْلُ مَا فِيهِ الْقَنَا مِنَ الزُّجِّ حَتَّى أَنْ دِمَاغَهُ يَخْرُجُ مِنْهَا مِمَّا بَيْنَ ظُفْرِهِ وَلَحْمِهِ ؛ وَ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ حَيَّاتُ الْأَرْضِ وَ عَقَارِبُهَا وَ هَوَامُّهَا فَتَنْهَشُهُ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ قَبْرِهِ ، وَ أَنَّهُ لَيَسْمَنِي قِيَامَ السَّاعَةِ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ .

و هذه الرواية منقولة في الكتب المذكورة إلى هذا المقدار الذي ذكرناه ، إِلَّا أَنْ لَهَا تَمَتَّةٌ فِي «تفسير العياشي» و في «الكافي» ، و هي :

وَ قَالَ جَابِرٌ^٢ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : إِنِّي كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَ أَنَا أَرْعَاهَا ؛ وَ لَيْسَ مِنْ نَسَبِي إِلَّا وَ قَدْ رَعَى الْغَنَمَ ، وَ كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَ هِيَ مُتَمَكِّنَةٌ فِي الْمَكِينَةِ ، مَا حَوْلَهَا شَيْءٌ يَهَيِّجُهَا حَتَّى تَذَعَّرَ فَتَطِيرُ .

فَأَقُولُ : مَا هَذَا وَ أَعَجَبُ حَتَّى حَدَّثَنِي جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْكَافِرَ

١- يُمكن أن تكون جملة «لَا دَرَيْتَ وَ لَا هُدَيْتَ» إستفهامية ، أو أن تكون لعناً و دعاءً

بالسوء و هو الأقرب إن لم يكن متعيناً .

٢- و هو من سلسلة رواة هذا الحديث .

يُضْرَبُ ضَرْبَةً مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئاً إِلَّا سَمِعَهَا وَ يَذْعَرُ لَهَا إِلَّا الثَّقَلَيْنِ .
فَقُلْتُ : ذَلِكَ لِضَرْبَةِ الْكَافِرِ ، فَتَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .

قصة آية الله الأنصاري و جنازة الحاكم الظالم في همدان

نقل المرحوم آية الحق و اليقين ، ترجمان القرآن و سلمان الزمان ،
آية الله الحاج الميرزا جواد آقاي الأنصاري الهمداني أعلى الله مقامه
الشريف و جعل قبره في الرضوان . كنتُ أجتاز أحد شوارع همدان ،
فرأيتُ جنازة محمولة على الأكتاف يُتَجّه بها إلى المقبرة و يسير خلفها
جمع من المشيعين ، إلا أنه كان يُساق في الجانب الملكوتي إلى ظلمة
مُبهمّة عميقة ، و كانت الروح المثالية لهذا الرجل المتوفى تذهب معه في
أعلى جنازته و تحاول الصراخ باستمرار أن :

يا إلهي نجني كي لا يأخذوني هناك ! إلا أن لسانه لم يكن ليجري
بذكر الله ، فكان يلتفت آنذاك إلى الناس و يقول لهم : أيتها الناس نجوني
ولا تدعوهم يأخذوني ! إلا أن صوته لم يكن ليصل إلى سمع أحد و كان
ذلك المرحوم أعلى الله شأنه يقول : و كنتُ أعرف صاحب الجنازة ، فقد
كان من أهل همدان ، و كان حاكماً ظالماً مستبدّاً .

قصة الدكتور إحسان و جنازة الرجل العربي في مدينة الكاظمين عليهما السلام

كان أحد أصدقائنا و يدعى الدكتور حسين إحسان رحمه الله رجلاً
جديراً بالاحترام و التقدير ، و كان له عيادة في طهران ، إلا أنه كان

قصة آية الله الأنصاري و جنازة الحاكم الظالم ؛ وقصة جنازة الرجل العربي المجلس الحادي عشر

يسافر في الشتاء إلى العتبات المقدسة لمدة ستة أشهر ، وكان له عيادة في كربلاء ، و لم يكن يتقاضى من الفقراء أجراً ، وكان يعتمد إلى إعطاء بعض المحتاجين الدواء ، بل و نفقات الغذاء أحياناً . وكان يعيش حياة بسيطة مفعمة بالصفاء ، حيث ينقضي على رحيله خمس عشرة سنة تقريباً .

و قد نَقَلَ يوماً : كنتُ قد تشرفتُ يوماً بالذهاب إلى مدينة الكاظمين ، و جئتُ إلى شاطئ النهر (يقصد نهر دجلة الذي يمرّ على الكاظمين و يبعد عن الحرم المطهر مسافة قليلة) ، فشاهدتُ أنهم قد جاءوا بجنازة محمولة على سَيَّارة ، ثم ترجلوا و حملوها على أكتافهم متجهين بها مع المشيعين إلى الصحن المطهر .

و كان معهوداً في العراق أنه حين يتوفى أحد أفراد الشيعة ممّن ينتمي إلى عشيرة و قبيلة ، فإنّ جنازته كانت تُوضع في تابوت و تُحمل على سَيَّارة خاصّة فتؤخذ إلى الكاظمين عليهما السلام تصحبها سَيَّارات المشيعين العديدة ، فيُطاف بها هناك ، ثم تؤخذ إلى كربلاء فيُطاف بها هناك أيضاً ، ثم تؤخذ إلى النجف فيُطاف بها ، و تُدفن من ثمّ في وادي السلام في النجف الأشرف .

و كان ذلك المرحوم يقول : كنتُ عازماً على التشرف بالذهاب للزيارة في نفس الوقت الذي كانوا يأخذون فيه تلك الجنازة إلى الصحن المطهر ، فتحرّكتُ خلفها . و حين شيعتها مسافّة ما شاهدتُ فجأة أنّ هناك كلباً أسوداً مُخيفاً جالساً فوق الجنازة ، فاستغربت كثيراً لذلك و تساءلتُ في نفسي : لماذا جلس هذا الكلب فوق الجنازة ؟!

و لم ألتفت إلى أنّ هذا هو البدن المثالي للمتوفى ، و أنه ليس كلباً خارجياً . ثم سألتُ المشيعين الذين كانوا إلى جانبي : ماذا يوجد على

الجنّازة ؟

قالوا : لا شيء ، إلا قطعة القماش التي تراها !
فأدركتُ آنذاك أنّ هذا الكلب صورة مثاليّة ، و أنّني أراه لوحدي
بينما لا يدركه الآخرون .

و لم أنبس بشيء بعد ذلك ، حتّى وصلوا بالجنّازة إلى الصحن
المطهر ، ثم رأيتُ عند باب الصحن حين أرادوا إدخال التابوت في الصحن
المطهر للطواف ، أنّ ذلك الكلب قفز من فوق التابوت و وقف جانباً ، حتّى
طافوا بالجنّازة . و ما إن جاءوا بها يريدون إخراجها من باب الصحن حتّى
قفز ذلك الكلب ثانيةً فوق التابوت و جلس فوق الجنّازة . و من المعلوم
بالطبع أنّ صاحب تلك الجنّازة كان رجلاً ظالماً و متجاوزاً ، لذا فقد
تجسّمت صورته الملكوتية في هيئة صورة الكلب ، و لأنّ ذلك المرحوم
كان يمتلك صفاءً باطنيّاً فقد أدرك هذا المعنى ، بينما خفي ذلك على
الآخرين فلم يروا شيئاً .

والخلاصة فإنّ هذه الدنيا التي نعيش فيها قد وضعت وفق هدف
و حكمّة ، كما أنّ كلمات الله و رسوله و الأئمّة السالكين في سبيله لم تصدر
دون حساب .

لقد منحنا البارئ سبحانه قوتين ، إحداهما القوّة الباطنيّة و العقل ،
و الأخرى القوّة الخارجيّة و هي الدين و المذهب و سُنّة أولياء الله ، و على
الإنسان أن يتجنّب ارتكاب الخطأ ، فهذا العالم لم يُخلَق لهوّاً و عبثاً ،
و الإنسان لم يُخلَق مهملاً مغفولاً عنه :

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ .^١

١- الآية ١١٥ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

خرامیدن لاجوردی سپهر
همان گِردگردیدن ماه و مهر
مپندار کاین چرخ بازیگریست
سرا پرده ای این چنین سرسری است^۱

و لم یکن عبثاً أَنْ أَمیر المؤمنین علیه السلام کان إذا وصل إلى هذه الآية :
أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ،^۲ کَرَرها و ترتم بها مع نفسه .
فلا یظنَّنَّ أحد إذا ما ارتكب ذنباً في خلوةٍ أته کان بمعزل و أَنْ أحدًا
لم یطلع علیه ، فالله هناك ، و الملائكة هناك ، و عالم الغیب هناك ، و عالم
البرزخ و المثال هناك ، و عالم تدوین الأحوال و الأعمال هناك ، و عالم
إثبات الصور و الأشكال هناك ؛ و إن ترکوا المرء اليوم دون استجواب ،
فسیفعلون ذلك غداً .

و هکذا سیلقى الذین حاسبوا أنفسهم من أمرهم یُسراً ، و سیخلدون
بأفضل سبیل و أحسن وجه في مقام الأمن و مقر الأمان الإلهی .
أما الذین تخیلوا أَنَّ هذا العالم خلق عبثاً و أَنْ لا مدبر له ؛ فبدرت
منهم المظالم ، فإنهم مُبتلون مؤاخذون ، مبتلون بسکرات الموت ، و إلا
فبسؤال منکر و نکیر ، أو بعذاب القبر ، أو بالحشر و الصراط و المیزان
والعرض ، أو بورود النار و الإقامة في مرحلة الملكات السيئة التي اقترنت
به ، و الله وحده یعلم کم یلزمهم من الوقت لیخرجوا من هذه المحن .
و إن لم یحاسب المرء نفسه اليوم ، فإن من المسلم أَنه سیحاسب غداً

۱- یقول : لا یُخیلَنَّ لك أَنَّ تبخر السماء الزرقاء اللازوردیة ، واستدارة الشمس
والقمر ، کان لعب لاعبٍ و لهو لاهٍ ، أو أَنَّ کُلَّ هذا الوجود کان عبثاً لا طائل وراءه !
۲- الآية ۳۶ ، من السورة ۷۵ : القيامة .

و سيخرج مُثَقَلًا بالعار و الفضيحة .

قال النبي الأكرم : الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ الْآخِرَةُ ¹.

و قال الصادق عليه السلام :

أَلَا فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا فَإِنَّ فِي الْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفًا
كُلُّ مَوْقِفٍ مَقَامٌ أَلْفَ سَنَةٍ ... الخبر ².

و كذلك روى في «الكافي» بسنده المتّصل ، عن إبراهيم بن عمر

اليمني ، عن الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليه قال :

لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَإِنْ عَمِلَ حَسَنًا اسْتَرَادَ
اللَّهَ ، وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئًا اسْتَغْفَرَ اللَّهُ مِنْهُ وَ تَابَ إِلَيْهِ ³.

و خلاصة الأمر ، فإن تدارك الإنسان ذنبه ، و قام بتأدية حقوق
الآخرين و أقام على مرحلة الطاعة و التسليم لله ، فإن سفره إلى الآخرة لن
يكون فقط في غاية اليسر ، بل إنّ الملائكة السماويين و الحور العين
سيكونون في استقباله و تهنئته ، و ملائكة الرحمة سيكونون في انتظاره
ترقب و صوله .

١- «أحياء العلوم» ، المجلّد الرابع ، ص ١٨ .

٢- «بحار الأنوار» ، الطبعة الكمباني ، المجلّد ١٥ ، الجزء الثاني في الأخلاق ، ص ٤٠ ،
رواه عن «مجالس الشيخ المفيد» و عن «أُمالي الشيخ الطوسي» . و ورد في «أُمالي الطوسي»
ج ١ ، ص ٣٤ و ص ١٠٩ .

٣- «أُصول الكافي» ، المجلّد الثاني ، ص ٤٥٣ من الطبعة الحيدريّة ؛ و باعتبار أنّ هذا
الحديث فقرة من فقرات الوصيّة التي أوصاها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إلى هشام
ابن الحكم ، و هي وصيّة طويلة و مفصّلة للغاية ؛ فقد وردت هذه الفقرة أيضاً ضمن تلك
الوصيّة في المجلّد الثاني من «أُصول الكافي» ص ١٣ و في «تحف العقول» ص ٣٨٣ ، و في
المجلّد الأوّل «لبهار الأنوار» الطبعة الكمباني ص ٤٣ نقلاً عن «تحف العقول» .

قصة بُرير بن خضير الهمداني و عبد الرحمن بن عبد ربّ الأنصاري المجلس الحادي عشر

يروى المجلسي (ره) في «بحار الأنوار» رسلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

إِذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عَبْدٍ قَالَ : يَا مَلَكُ الْمَوْتِ اذْهَبْ إِلَى فُلَانٍ فَأُتِنِي بِرُوحِهِ ، حَسْبِي مِنْ عَمَلِهِ قَدْ بَلَوْتُهُ فَوَجَدْتُهُ حَيْثُ أَحَبُّ .
فَيَنْزِلُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَمَعَهُ خَمْسُمِائَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُمْ قُضْبَانُ الرِّيحَيْنِ وَأَصُولُ الزَّعْفَرَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُبَشِّرُهُ بِبَشَارَةٍ سِوَى بَشَارَةِ صَاحِبِهِ .

وَيَقُومُ الْمَلَائِكَةُ صَفَّيْنِ لِخُرُوجِ رُوحِهِ ، مَعَهُمُ الرِّيحَانُ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ صَرَخَ : فَيَقُولُ لَهُ جُنُودُهُ : مَا لَكَ يَا سَيِّدَنَا ؟

فَيَقُولُ : أَمَا تَرَوْنَ مَا أُعْطِيَ هَذَا الْعَبْدُ مِنَ الْكَرَامَةِ ؟
أَيْنَ كُتِّمَ عَنْ هَذَا ؟
قَالُوا : جَهَدْنَا بِهِ فَلَمْ يُطِغْنَا .^١

و بالطبع فإنّ الملائكة الخمسائة في هذه الرواية هم بقدر سعة و قابليّة الشخص المؤمن ، فإذا زادت درجات المؤمن عند الله تبارك و تعالى عن ذلك بكثير ، فما أحراه سبحانه أن يُرسل آنذاك ألف ملك أو عشرة آلاف أو سبعين ألف ملك .

كان بُرير بن خضير الهمداني من أصحاب سيّد الشهداء الأجلّاء ، وكان ينتمي إلى قبيلة همدان ، وكان قارئاً للقرآن ، يجلس في مسجد الكوفة فيعلّم في مدرسته العلميّة القرآن و الأحكام .

١- «بحار الأنوار» ، كتاب العدل و المعاد ، طبعة الآخوند ، المجلّد السادس ،

[وكان] عبدالرحمن بن عبد ربّه و برير بن خضير الهمدانيّ على باب الفسطاط [الذي ضربه الحسين ليطلّي فيه بالنورة] تحتكّ مناكبهما فازدحما أيهما يطلّي على أثره ، فجعل برير يُهازل عبدالرحمن ، فقال له عبدالرحمن : دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل .

فقال له بُرير : والله لقد علم قومي أنّي ما أَحَبَبْتُ الباطلَ شابّاً و لا كهلاً ، ولكن والله إنّني لمستبشر بما نحن لاقون ، و الله إنّته ليس بيننا و بين الحور العين إلّا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم ، و لوددتُ أنّهم قد مالوا علينا بأسيافهم الساعة .^١

وعده وصل چون شود نزدیک

آتش عشق شعله ور گردد^٢

قَوْمٌ إِذَا نُودُوا لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ

وَالْقَوْمُ بَيْنَ مُدْعَسٍ وَ مُكَرَّدَسٍ

لَبَسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ وَأَقْبَلُوا

يَكْتَهِفَتُونَ عَلَى ذَهَابِ الْأَنْفُسِ

١- نقل المجلسيّ هذه الحكاية مرسلّة في «بحار الأنوار» ، الطبعة الكمباني ، المجلّد العاشر ، ص ١٩٢ ، إلّا أنّ المحدث القميّ رواها في «نفس المهموم» ص ١٤٣ عن أبي مخنف ، عن عمرو بن مرّة الجمليّ ، عن أبي صالح الحنفيّ ، عن غلام عبدالرحمن بن عبد ربّه الأنصاريّ .

٢- يقول : «إذا ما دنى الوصال الموعد ، تأجّجت نازّ العشق و زاد أوارها» .

الْمَجْلِسُ الثَّانِي عَشَرَ

مُمَيَّزَاتُ عَالَمِ الطَّبْعِ وَعَالَمِ الْبَرْزَخِ وَعَالَمِ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

و صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ^١

لقد ذكرنا أن روح الإنسان تذهب بعد الموت إلى عالم يدعى بعالم البرزخ ، و أن عالم البرزخ يُدعى أيضاً بالمثال و عالم الخيال .

و عالم المثال يعني عالم الصورة المحضة الذي لا يحوي مادة ، بل هناك خواص المادة و آثارها ، مثل الكمية و الكيفية .

و لكي يتضح هذا المعنى قدرأ فإتينا نقول - من باب المثال - إن الإنسان إذا ما تأمل في وجوده فإنه سيلاحظ أن له بدنأ ، و لهذا البدن وزن و ثقل لأتته مادتي ؛ كما أن التغير و التبدل يطرأ على هذا البدن .

و كذلك فإنه يمتلك صورة ، و هذه الصورة في هذا البدن ، إلا أنها

١- الآيات ١٦٩ - ١٧١ من السورة ٣: آل عمران .

ليست داخل هذا البدن ، بل محيطة به . فهذه الصورة هي التي منحت هذا البدن شكلها و جعلته يتخذ هيئتها .

و حين تتطلّعون في المرأة فإنّ صورتكم ترسم في المرأة ، إلّا أنّ ثقلكم لا يترك أثراً فيها ، فلا تثقل المرأة لذلك . وإذا ما كنتم تحسّون بالتعب فإنّ المرأة لا تتعب ؛ أو كنتم تفرحون أو تحزنون فإنّ المرأة لا يعترىها الفرح أو الحزن ، بل أنّها تحكي صورتكم فقط .

و بالطبع فقد قلنا هذا من باب المثال ، وإلّا فإنّ تلك الصورة البرزخيّة و الملكوتيّة هي أولاً غير الشكل و الشماثل الخارجيّة . و ثانياً فإنّ الصورة لا تظهر في المرأة ، بل إنّ المرأة تعكس الأمواج (الأشعة) فيرى الإنسان نفسه - لا المرأة - بسبب انعكاس الشعاع فوق سطح المرأة الصقيل ، أي أنّ الشعاع المارّ من بؤبؤ عين الإنسان حين يرتطم بالمرأة ينعكس إلى نفس الإنسان فيرى نفسه ؛^١ و يُقال لهذه الصورة : الصورة المثاليّة .

و يحصل أن تشاهدون حلماً في عالم النوم بينما يرقد بدنكم على الأرض ، فتتحرك صورتكم المثاليّة في النوم ، بينما لا يُبدي البدن أيّ حركة ، لكنكم تحسّون لنفسكم واقعيّة و موجوديّة معيّنة في عالم النوم ، فترون أنفسكم أحياء ، و ترون لنفسكم علماً و قدرة ، تتحرّكون و تتكلّمون و تقومون بمختلف الأعمال دون أن يحسّ بدنكم شيئاً أو أن يتحرّك أو يفعل شيئاً .

إنّ تلك الصورة التي كنتم تدركون موجوديّتها و شخصيّتها في النوم هي صورتكم المثاليّة و الملكوتيّة المنفصلة تماماً عن البدن الراقد .

١- و هذا بالطبع بتعبير القدماء ، أمّا في تعبير علماء الفيزياء الحديثة فليس هناك من شعاع للعين ، بل إنّ الشعاع من الشيء المرئي يرتطم بالمرأة و ينعكس فيوجد صورة في العين .

البدن شيء ، و تلك الصورة المتحرّكة النشطة التي يقوم بها جميع وجود الإنسان في النوم شيء آخر . تلك الصورة هي الصورة المثالية أو الخيالية أو البرزخية التي تقطع علاقتها بالبدن جملةً عند النوم ، لكنها تتحد به حال اليقظة و تعكس الأعمال التي تقوم بها في قالب البدن فيقوم البدن بمتابعتها - لا تحاده معها - في القيام بتلك الأعمال . و هكذا يقوم بدننا بالصلاة و الصيام و الحج ، لأنّ الصورة المثالية و الملكوتية تقوم بهذه الأعمال .

و يمكن القول عموماً إنّ تلك الصورة المثالية المتّحدة بالبدن مهما شئت و مهما تصوّرت ، فإنّ هذا الهيكل الخارجي سيتحرّك بأمرها و بواسطة اتّحاده بها و عينيته لها . و تبعاً لحركة تلك الصورة و الرسم الذي تحقّق له مثال الإنسان ، فإنّ المادّة و البدن سيتحرّكان و يقومان بنشاطاتهما .

على أنّ هذه الصورة تقلّل من ارتباطها بالبدن في عالم النوم ، فتجرّد نفسها و تجد - بدون البدن - واقعيتها في نفسها .

كما أنّ حقيقة النفس تلك تنفصل أيضاً عن الصورة المثالية في عالم النفس و القيامة ، فتتجلّى آنذاك نفس الإنسان في واقعيتها بدون صورة .

أمّا في الدنيا ، حيث يتّحد عالم المثال ببدن الإنسان ، فإنّ نفس الإنسان تتّحد هي الأخرى ببدن الإنسان و مثاله ، كما أنّ قوى النفس تتّحد جميعها مع مثال الإنسان فتكون جميع مراتب الإنسان الوجودية مجتمعة معاً .

ثمّ إنّ الصّورة المثالية تنفصل بالموت عن البدن ، فتدرك تجرّدها بدون المادّة ، كما أنّ نفس الإنسان تنفصل عن عالم الصورة بعد العبور من عالم المثال و الورود في عالم القيامة ، فتدرك تجرّدها الحقيقي بدون الصورة .

و يُدعى عالم المثال بالقيامة الصغرى ، كما يُدعى عالم النفس بالقيامة الكبرى . على أنّ هذا البدن و الصورة و المثال مجتمعة معاً في هذه الدنيا ، أي في عالم المادّة و عالم الطبع ، ثمّ إنتها تنفصل عن بعضها بالترتيب . كما أنّ اجتماعها ليس بمعنى مجاورة أحدها للآخر ، بل إنّ للنفس نوعاً من السعة و الإحاطة بالصورة المثاليّة ، و للصورة المثاليّة نوع من السعة و الإحاطة بالبدن . غاية الأمر أنّ الناس الرازحين تحت أسر الطبع في هذه الدنيا لا يمكنهم إدراك أكثر من أنّ وجودهم هو هذا البدن ، لذا فإنّهم يتخيّلون وجودهم منحصراً في هذا البدن ، و يتصوّرون أنّ حقيقتهم النفسانيّة أو المثاليّة هي هذا البدن ، في حين أنّ البدن له حكم اللباس و حكم القالب و حكم الجلد ، فهو يسقط عند تبديل هذا الجلد و يُزاح جانباً ، فلا يعلم بعدُ أنّ لتلك الصورة حقيقة .

و الأمر كذلك في عالم البرزخ و المثال ، فالنفس تتخيّل أنّ حقيقتها هي صورتها ، و لا تعلم أنّ الصورة من متعلّقات النفس . و حين تُدرك النفس واقعيتها و تصل إلى التجردّ و تخلع البدن و الصورة ، فإنّتها ستفهم آنذاك أنّ حقيقتها قد كانت نفسها التي هي أعلى و أسمى بكثير من عالم الصورة ، و الصورة أعلى و أسمى بكثير من عالم البدن .

و عليه فإنّ الصورة المثاليّة التي نأخذها بنظر الاعتبار هي الآن معنا ، و إلّا فإنّ بدننا لن يتحرّك و لن يقدر على إنجاز عمل ، يئد أنّها ليست داخل البدن و ليست منفصلة عنه .

و من الممكن لبعض الأفراد الذين يعملون بالتعاليم الشرعيّة و يسلكون طريق السير و السلوك و تهذيب النفس أن يحصل لهم الموت الاختياري ، و يمكنهم أن يتخلّوا عن البدن متى شاءوا حال حياتهم ، فتقوم صورتهم المثاليّة بمغادرة البدن . كما يمكن للبعض أن يتركوا و يتخلّوا عن

صورتهم المثالية فتخرج تلك النفس المجردة عن الصورة ، ثم ترجع إليها ثانية ، فيعودون أحياء يتحرّكون كالأفراد الآخرين .

و تبعاً لهذا فإنّ مقولة البعض ممّن تصوّروا أنّ الله عزّ وجل أوجد في عالم البرزخ صورة مثالية للإنسان منفصلة عنه ، و أنّ الإنسان يموت حين يموت فتخرج روحه و ترد في ذلك البدن المثالي البرزخي ، مقولة خاطئة . فليس القلب المثالي خارجاً عن حقيقة الإنسان ليخلقه الله فتحلّ الصورة فيه ، و تذهب الروح فيه . الصورة المثالية لها اتّحاد و معيّة مع الإنسان ، و هناك خلع و لبس يحصل بينهما ، تماماً كما أنّ للإنسان نوع من الاتّحاد مع لباسه ، إلّا أنّه يخلع اللباس و يُلقِي به ، ثمّ يرتديه على جسده من جديد .

إنّ حقيقة الإنسان لا تنغمر في قالب خارج عنه ، و لا تخرج من قالب خارج عنه ؛ كما أنّ الصورة لا تدخل في بدن خارج عن حقيقتها ، و لا تخرج من بدن خارج عنها ، فلها مع هذا البدن نوعٌ من الوحدة والمعيّة . كما يُخطئ البعض ممّن يتخيّلون أنّ الصورة المثالية لا معنى لها أصلاً ، و أنّ ما يبقى من الإنسان بعد الموت أجزاء لطيفة و صغيرة جداً واقعة في البدن بحيث يقوم بها البدن ، و حين يموت هذا البدن و يُدفن تحت التراب و يتلاشى فإنّ تلك الأجزاء الممعنة في اللطافة و الصغر و التي تقوم بها حقيقة الإنسان و قوامه ، و التي ترتبط بها نُطفة الإنسان في أصل الخلقة و بدنها ، ستبقى حيّةً فيتعلّق بها العقاب أو الثواب و الجزاء . فهذه هي الأخرى مقولة خاطئة .

و ذلك لأنّ تلك الأجزاء مهما تناهت في اللطف و الصغر ، فإنّها أخيراً مادة و من الأجزاء المادّية لهذا العالم ، و عالم المادّة سينطوي بعد الموت ، و سيكون الحساب و السؤال للصورة التي رحلت عن هذه الدنيا

و وصلت إلى تجرّدها ، لا للمادّة .

و من جملة الأدلّة التي يمكن إقامتها على حياة الإنسان بعد الموت ، هاتان الآيتان اللتان ذكّرنا في مطلع الحديث :

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

فبالوصول إلى مقام الولاية ، أي العبوديّة المطلقة ، سيزول عنهم أي نوع من الخوف و الحزن الذي هو من لوازم الكثرة و من آثار التفرقة و الثنائية .

و سيحصل لديهم في ذلك العالم الذي يذهبون إليه اطلاق على أرواح المؤمنين الذين لم يموتوا بعد ، و ذلك بسبب هذا النوع من السعة و التجرد الذي يمتلكونه ، فيبشرون أولئك بهذا المقام الذي أنعم خالقهم به عليهم . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ . و قد ذكر سابقاً أنّ المراد بهذه النعمة مرتبة الولاية ، أي الفناء في سبيل الله . و علاوة على ذلك فإنّ الربّ سبحانه سيُنيلهم المُنَى من فضله فيُدركون حقيقة معنى : وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قال في هذه الآية : وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ؛ و لم يقل : إِنَّ اللَّهَ يُحْيِيهِمْ يوم القيامة ، بل هم أحياء عند موتهم ؛ و هو دليل على الحياة و المعيشة البرزخية .

و بالطبع فإنّ الجميع أحياء ، و كلّ من يموت فهو حيّ ، إلّا أنّ خصوصيّة و ميزة أولئك التي ميّزهم القرآن بها جاءت في ذيل الآية : عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .

و من الثابت في علم الحكمة المتعالية أنّ رزق الجواهر المجردة

المتلاثلة هو مقارنة الصفات و الأسماء الإلهية . فما أن تُوضع أمام نور الأسماء و الصفات ، و ما أن تتجلى فيها وحدة الذات المقدسة للخالق سبحانه ، فإنّ جواهر وجودهم ستتألأ فتبعث فيهم البهجة و المسرة التي لا تُوصَف ، و ستكون المعارف الإلهية هي رزق الأرواح المجردة في تلك الحالة .

إنّ الله تعالى يُنعم عليهم بتلك الأرزاق ، و هم - من جهة أخرى - يدركون أنّ هذا الرزق من الله تعالى ، و هذا الإدراك و التعقل لهذا الرزق له قيمة و لذّة أكبر لديهم . لذا يقول : يُرْزَقُونَ بالمعارف الإلهية ، و يُصَقِّل جواهر وجودهم بواسطة مقارنتهم لأسمائهم و صفاتهم . كما أنّهم منعمون على الدوام فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، مسرورون مبتهجون بأنّ الله سبحانه قد عني بهم و تجلّى في الجوهر المجرد لوجودهم ، و بأنّ أسماء ذات الحقّ الأزليّ و صفاته قد ظهرت فيهم .

و هذه الآية صريحة في الحياة بعد الموت ، و علاوة على دلالتها على الحياة بعد الموت فإنّها تدلّ - باعتبار أنّ رزقهم بعد موتهم هو ذلك الغذاء الملكوتيّ و ذلك الصلاح في عالم البرزخ - على تنعم أرواح الموتى بالأرزاق المعنوية و الملكوتية .

و لهذه الآية نظير في سورة البقرة (الآية ١٥٤) :

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ
لَا تَشْعُرُونَ .

التي تدلّ على الحياة بعد الموت .

و يقول في الآية ٢٥ من سورة نوح :

مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً .

أي أنّهم حالما أُغرقوا في البحر فقد أُدخلوا النار ، و ذلك لأنّ الفاء

في العربيّة تأتي للترتيب الاتّصاليّ . يُقال : رأيتُ زيداً فقلتُ له : أي إنّني قلتُ لزيد حالما رأيته ، لا بعد ساعة مثلاً من رؤيتي له .

يقول «ابن مالك» النحويّ في معنى «الفاء» و «ثمّ» و الفرق بينهما :
وَالْفَاءُ لِلتَّرْتِيبِ بِاتِّصَالٍ وَ ثَمٌّ لِلتَّرْتِيبِ بِانْفِصَالٍ
و عليه فإنّه يمكن الاستفادة من الآيات المباركة من سورة الفجر :
يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي
فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ١ .

والتي يخاطب فيها الله سبحانه النفوس التي وصلت إلى مقام
السكينة و الاطمئنان :

«يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ» بإدراك التوحيد و الولاية ، «ارجعي إلى
رَبِّكِ رَاضِيَةً» عن ربّكِ مرضيّة منه ، «فادخلي» في زمرة عبادي و أوليائي ،
«و ادخلي جنتي» .

إنّ الإنسان ما أن يرجع إلى ربّه - و رجوعه موثّه - فإنّه يرد فوراً في
زمرة أولياء الله و عباده الخاصّين و يدخل جنّته .

كما يقول أيضاً في الآيات ٨٨ - ٩٤ من سورة الواقعة :
فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَانَ
مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ وَ تَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ .

حيث يبيّن الخالق العظيم في هذه السورة واقعة سكرات الموت
و قُرْبَهُ من الإنسان عند تلك السكرات . ثمّ يقول : إنّ مَنْ كان من المقربين
فإنّ الرّوح و الريحان و جنّة نعيم الله سيصلهم بعد سكرات الموت مباشرة ،

١- الآيات ٢٧ - ٣٠ : من السورة ٨٩ : الفجر .

أي أنهم سيردون في هذه النعم بعد موتهم مباشرة ؛ وأما أصحاب اليمين فإن الثواب والسلام من الله سيلحقهم فوراً ؛ وأما المكذّبين الضالّين فإن طعامهم طعام الجحيم الذي يُعدّ لضيوف النار ، وسيصبّ الحميم الشبيه بالمعادن المصهورة في حلقومهم ، ثم يصلون نار جهنّم . وهذا هو العذاب البرزخيّ قبل عذاب القيامة .

وهذه الآية صريحة أيضاً في أنّ الثواب والعقاب يلحقان الإنسان بعد موته مباشرة ، وهما الثواب والعقاب البرزخيّ بالطبع لا ثواب وعقاب القيامة ، فتلك مرحلة أخرى سيأتي البحث في كيفيّتها مفصّلاً .

روى المرحوم المجلسي في «بحار الأنوار» :

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى قَلْبٍ بَدْرٍ فَقَالَ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ وَقَدْ أُلْقُوا فِي الْقَلْبِ ؛ لَقَدْ كُنْتُمْ جِيرَانِ سُوءٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخْرَجْتُمُوهُ مِنْ مَنْزِلِهِ وَطَرَدْتُمُوهُ ، ثُمَّ اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ فَحَارَبْتُمُوهُ . فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا خِطَابُكَ لَهُمْ قَدْ صَدِيتَ ؟

فَقَالَ لَهُ : مَهْ يَا بَنَ الْخَطَابِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ ، وَمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ تَأْخُذَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ إِلَّا أَنْ أَعْرِضَ بِوَجْهِ هَكَذَا عَنْهُمْ .^١

١- «بحار الأنوار» ، طبعة الآخوند ، ج ٦ ، ص ٢٥٤ و ٢٥٥ . ويقول في الهامش : في

«شرح العقائد» بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله «فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً» زيادة : فهل وجدتهم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ وأورد الغزالي نظير هذا الحديث في «إحياء

العلوم» باب ما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور (ج ٤ ، ص ٤٢٢-٤٢٣) :

وَلَمَّا قُتِلَ صَنَا دِيدَ قَرِيشَ يَوْمَ بَدْرٍ نَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَأَلَهُ] وَسَلَّم

فَقَالَ : يَا قُلَانُ يَا قُلَانُ يَا فُلَانُ قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ ؟

و روي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة فصار يتخلّل بين الصفوف حتّى مرّ على كعب بن سورة - وكان هذا قاضي البصرة ، ولّاه إتيها عمر بن الخطّاب ، فأقام بها قاضياً بين أهلها زمن عمر و عثمان ، فلمّا وقعت الفتنة بالبصرة علّق في عنقه مصحفاً و خرج بأهله و ولده يقاتل أمير المؤمنين عليه السلام فقتلوا بأجمعهم - فوقف عليه أمير المؤمنين و هو صريع بين القتلى ، فقال : أجلسوا كعب بن سورة ، فأجلس بين نفسين ، فقال : يَا كَعْبُ بْنُ سُورَةَ ! قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتَ مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ حَقًّا ؟ ثمّ قال : أضجعوا كعباً ؛ و سار قليلاً فمرّ بطلحة بن عبيد الله صريعاً فقال : أجلسوا طلحة ، فأجلسوه . فقال له كما قال لصاحبه ثمّ قال : أضجعوا طلحة . فقال له رجل من أصحابه : يا أمير المؤمنين ! ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك ؟ فقال : يا رجل ! فوالله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلّى الله عليه و آله .^١

و لهذا الدليل فقد وردت زيارة أهل القبور في روايات الشيعة و السنة . بالفاظ : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَ السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

و من جملة الأدلّة على الحياة في البرزخ قول رسول الله صلّى الله عليه و آله :

« حَقًّا . فقيل : يا رسول الله أتناديهم و هم أموات ؟! فقال صلى الله عليه [و آله] و سلّم : والذي نفسي بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلّا أنهم لا يقدرون على الجواب . ثمّ يقول العراقيّ مستخرج أحاديث «الإحياء» في الهامش : و قد روى مسلم هذا الحديث عن عمر بن الخطّاب .

١- «بحار الأنوار» ، طبعة الآخوند ، ج ٦ ، ص ٢٥٥ .

الْقَبْرِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةً مِنْ حُفْرِ النَّيرانِ ١.

كما روي مضمون هذا الحديث عن الإمام سيّد الساجدين عليه السلام

أيضاً ٢.

و مع أنّ الإنسان لم يصل بعد موته إلى تلك الجنة أو النار اللتين يراهما يوم القيامة ، إلّا أنّ مثلاً و أنموذجاً سيظهر له منها ، وهو تلك الروضة من رياض الجنة أو الحفرة من حفر النيران .

و الدليل الآخر على الحياة البرزخية قول رسول الله صلى الله عليه

و آله و سلّم : مَنْ مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ ٣.

و الدليل الآخر قول رسول الله صلى الله عليه و آله :

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا يَمُوتُونَ وَلَكِنْ يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ .

وقد بيّن الفخر الرازي في تفسيره جميع هذه الوجوه ، ذيل تفسير

هذه الآية المباركة من سورة آل عمران : بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ .

كما قال الشيخ الطبرسي في تفسير «مجمع البيان» ذيل هذه الآية :

و روي عنه [عن رسول الله صلى الله عليه و آله] أنّه قال لجعفر بن

أبي طالب و قد استشهد في غزاة مؤتة :

رَأَيْتُهُ وَلَهُ جَنَاحَانِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ .

فإن كانت الروح البرزخية و الصورة تموتان بمجرد موت الإنسان ،

١- «بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ٢٠٥ ، نقلاً عن الفخر الرازي في تفسيره ، ذيل قوله

تعالى : بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ . و أورده في «أحياء العلوم» ، باب ما يلقاه الميت في

القبر ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ ، و يقول العراقي في الهامش : و قد روى الترمذي هذا الحديث عن أبي

سعيد [الخدری] .

٢- «بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ٢١٤ و ٢١٥ .

٣- «أحياء العلوم» ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ .

فإن امتلاك الجناحين و الطيران في الجنة سيكونان أمراً لا معنى له .
و علاوة على ما ذكر ، فإننا سنورد أيضاً في المباحث التالية آيات
و روايات لها دلالة على الثواب و العذاب البرزخيّ لثلاً يبقى هناك محلّ
للشبهة .

و قد أورد الشيخ الطبرسي في «الاحتجاج» ضمن حديث طويل
يطرح فيه أحد الزنادقة أسئلة على الإمام الصادق عليه السلام ، جاء فيه أن
ذلك الزنديق قال للإمام : أخبرني عن السّراج إذا انطفأ أين يذهب نوره ؟
قال : يذهب فلا يعود .

قال : فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك ، إذا مات و فارقت
الروح البدن لم ترجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السّراج إليه إذا انطفأ ؟
قال : لم تُصِب القياس . إنّ النار في الأجسام كامنة و الأجسام قائمة
بأعيانها كالحجر و الحديد ، فإذا ضرب أحدهما بالآخر سطعت من بينهما
نار تقتبس منها سراج له الضوء . فالنار ثابتة في أجسامها و الضوء ذاهب ،
و الروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً ليس بمنزلة السّراج الذي ذكرت .
إنّ الذي خلق في الرحم جنيناً من ماءٍ صافٍ ، و ركّب فيه ضروباً
مختلفة من عروق و عصب و أسنان و شعر و عظام و غير ذلك هو يُحييه
بعد موته و يُعيده بعد فنائه .

قال : فأين الروح ؟

قال : في بطن الأرض حيث مصرح البدن إلى وقت البعث .

قال : فمن صُلب أين روحه ؟

قال : في كف المَلَك الذي قبضها حتّى يودعها الأرض .

قال : أفيتلاشى الروح بعد خروجه عن قلبه أم هو باقٍ ؟

قال : بل هو باقٍ إلى وقت يُنفَخُ في الصُّور ، فعند ذلك تبطل الأشياء

تشيع رسول الله لسعد بن معاذ ، و كلامه مع أم سعد

المجلس الثاني عشر

و تفنى ، فلا حس و لا محسوس ، ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها ،
و ذلك أربعمئة سنة يسبت فيها الخلق ، و ذلك بين النفختين ^١.

و قد روى الشيخ الطوسي في «الأمال» بسنده عن الشيخ أبي عبد الله
الغضائري ، عن الشيخ الصدوق ؛ و روى المرحوم الصدوق في كتاب «علل
الشرايع» عن أبي الحسن بن إبراهيم الهمداني ، عن جعفر بن يوسف
الأزدبي ، عن علي بن نوح الحنط ، عن عمرو بن اليسع ، عن عبد الله بن
سنان ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال : أتى رسول الله صلى الله
عليه و آله فقبل إن سعد بن معاذ قد مات . فقام رسول الله صلى الله عليه
و آله و قام أصحابه فحمل فأمر فغُسل على عضادة الباب ، فلما أن حُنت
و كُفن و حُمل على سريره تبعه رسول الله ، ثم كان يأخذ يمينه السرير مرة
و يسرة السرير مرة حتى انتهى به إلى القبر فنزل به رسول الله صلى الله
عليه و آله حتى لحده و سوى عليه اللبن و جعل يقول : ناولني حجراً ناولني
تُراباً رطباً يسد به ما بين اللبن ؛ فلما أن فرغ و حثا التراب عليه و سوى قبره
قال رسول الله صلى الله عليه و آله : إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَبْلِي وَيَصِل
إِلَيْهِ الْبَلَى وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ عَبْدًا إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَحْكَمَهُ ، فلما أن
سوى التربة عليه قالت أم سعد من جانب : هنيئاً لك الجنة .

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله : يا أم سعد مه لا تجزمي على
ربك فإن سعداً قد أصابته ضمة .

قال : و رجع رسول الله صلى الله عليه و آله و رجع الناس ، فقالوا :
يا رسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد ، إنك

١- «الاحتجاج» للطبرسي ، ج ٢ ، ص ٩٦ و ٩٧ طبع النجف ، ذكره ضمن حديث

طويل .

تبعث جنازته بلا رداء ولا حذاء!
فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الملائكة كانت بلا حذاء ولا رداء
فتأسيّت بهما.

قالوا: وكنت تأخذ يمينة السرير مرّةً ويسرة السرير مرّةً.
قال: كانت يدي في يد جبرئيل آخذٌ حيث ما أخذ.
فقالوا: أمرت بغسله و صليت على جنازته و لحدته ثم قلت: إنّ سعداً
قد أصابته ضمة!

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم، إنّّه كان في خلقه مع
أهله سوءاً.^١

وقد أورد المرحوم الصدوق هذه الرواية في كتاب «الأمالي» أيضاً.^٢
ولقد وقعت قصّة عجيبة في هذه الدنيا لسماحة آية الله، رئيس الملة
و الدين، شيخ الفقهاء و المجتهدين، المرحوم الآخوند المولى محمد
مهدي التّراقي^٣ أعلى الله مقامه الشريف.

وكان المرحوم التّراقي من كبار العلماء، و كان جامعاً للعلوم العقلية
و النقلية و حائزاً لمرتبة العلم و العمل و العرفان الإلهي، و كان في الفقه
و الأصول و الحكمة و الرياضيات و العلوم الغربية و الأخلاق و العرفان من
علماء الإسلام الذين عزّ نظيرهم. و المرحوم التّراقي جدنا الأكبر لأمتنا، أي
أنّه كان أباً لجدّة جدّة الحقيير لأمة. و كان ولده الكريم الحاج المولى أحمد

١- «الأمالي» للشيخ الطوسي، طبع النجف المجلد الثاني، الجزء ١٥، ص ٤٠ - ٤٢
و «علل الشرائع» طبع حيدري - النجف، الباب ٢٦٢ - العلة التي من أجلها يكون عذاب القبر
ص ٣٠٩، ج ١.

٢- «الأمالي» الطبعة الحجرية، المجلس ٦١، ص ٢٣١.

٣- يراق على وزن عراق.

مكاشفة للمرحوم النراقي وكلامه مع ميت دُفن حديثاً في وادي السلام المجلس الثاني عشر

النراقي - خالنا - أستاذاً للمرحوم الشيخ الأنصاري ، وكان من العلماء البارزين و له تصانيف عديدة وكان الشيخ الأنصاري قد جاء من العتبات المقدسة إلى إيران أوان دراسته ، فذهب إلى أصفهان ، ثم قدم إلى قاسان (كاشان) فأفاد من محضر و درس الآخوند المولى أحمد النراقي أربع سنوات كاملة ، عاد بعدها إلى النجف الأشرف .

وهذه القصة مشهورة بين علماء وطلاب النجف الأشرف ، كما أنها تعد بين أرحامنا وأقاربنا من جهة الأم من الأمور المسلمة لأحوال المرحوم النراقي . لقد سكن المرحوم النراقي النجف الأشرف و توفي فيها ، ومقبرته في النجف ملحقه بالصحن المطهر ، و قد مرّ عليه خلال أيام إقامته في النجف يوم من أيام شهر رمضان لم يكن لديه شيء في منزله للإفطار ، فقالت له زوجته : ليس في البيت من شيء ، فاخرج و أحضر شيئاً !

و يغادر المرحوم النراقي البيت و ليس في جيبه فلس واحد ، فيتوجه مباشرة إلى وادي السلام في النجف لزيارة أهل القبور ، و يجلس مدة بين القبور يقرأ الفاتحة ، حتى مالت الشمس للغروب و بدأ الظلام ينتشر رويداً رويداً .

ثم يرى المرحوم في تلك الحال جماعة من العرب و قد جاءوا بجنائز و حفروا لها قبرا ، ثم إنتهم وضعوا الجنائز في القبر و التفتوا إلى المرحوم النراقي فقالوا : إن لدينا عملاً و نحن في عجلة من أمرنا لنعود إلى مكاننا ، فقم أنت بباقي تجهيزات هذه الجنائز . ثم إنتهم تركوا الجنائز و ذهبوا .

يقول المرحوم النراقي : دخلتُ القبر لأفتح الكفن و أضع خد الميت على التراب ثم أضع فوقه اللبن و أهيل عليه التراب ، فشاهدتُ فجأة نافذة ، ثم دخلتُ تلك النافذة لأشاهد روضة كبيرة ذات أشجار خضراء يانعة متكاتفة محملة بالثمار المتنوعة .

وكان هناك طريقٌ من باب هذه الروضة إلى قصرٍ مجلّل ، و قد فُرش هذا الطريق بأجمعه بحصى صغار من المجوهرات .

وردتُ بلا إرادةٍ مني ، و توجّهتُ مباشرةً إلى ذلك القصر ، فرأيت أنه قصر فخم مبنيّ بطابوق من المجوهرات ، ثم صعدتُ السلم و دخلتُ غرفةً كبيرة فشاهدتُ شخصاً يتصدّر تلك الغرفة و أشخاصاً جالسين في أطراف الغرفة فسلمت عليهم و جلستُ ، فردّوا عليّ السلام .

ثم شاهدتُ أنّ هؤلاء الجالسين في أطراف الغرفة كانوا يُديمون السؤال من ذلك الجالس في صدرها عن أحواله ، و يستفسرون عن أحوال أقاربهم و خاصّتهم ، فكان يجيب على أسئلتهم . كان ذلك الرجل مبتهجاً مسروراً و هو يجيب على أسئلة الجالسين واحداً بعد الآخر .

ثم انقضت مدة فشاهدتُ فجأةً أنّ ثعباناً قد دخل من باب الغرفة و توجّه مباشرةً إلى ذلك الرجل فلدغه ثم خرج من الغرفة . و لقد امتقع وجه ذلك الرجل من ألم لدغة الثعبان و تورّم بعض الشيء ، ثم أنّه عاد إلى حاله الأولى تدريجاً ، فشرعوا من جديد بالحديث مع بعضهم و بالاستفسار عن الأحوال و السؤال عن أخبار الدنيا من ذلك الرجل .

ثم انقضت ساعة فشاهدتُ مرّةً أخرى أنّ ذلك الثعبان دخل من الباب من جديد و لدغ الرجل بنفس الطريقة و عاد من حيث أتى . فاضطربت حالُ الرجل و امتقع وجهه ، ثم أنّه عاد إلى حاله الأولى .

فسألته في تلك الحال : من أنت أيها السيّد ؟ و أين هذا المكان ؟ و لمن هذا القصر ؟ و ما هذا الثعبان ؟ و لماذا يقوم بلدغك ؟

قال : أنا الميّت الذي وضعته توّاً في القبر ، كما أنّ روضة الجنّة البرزخيّة هذه لي ، أنعم الله عليّ بها فظهرتُ من نافذة فتحت من قبري إلى عالم البرزخ . هذا القصر لي ، و هذه الأشجار المجلّلة ، و هذه المجوهرات ،

مكاشفة للمرحوم النراقي و كلامه مع مَيّت دُفن حديثاً في وادي السلام المجلس الثاني عشر

و هذا المكان الذي تراه جنتي البرزخية ، و ها قد جئتُ إلى هنا . كما أنّ هؤلاء الجالسين في أطراف الغرفة أقاربي و أرحامي الذين توقّوا قبلي ، و هاهم قدموا لرؤيتي و للسؤال عن أهليهم و أرحامهم و أقاربهم في الدنيا ، فكنتُ أحدثهم عن أحوال أولئكم .

قلتُ : فلماذا يلدغك هذا الثعبان ؟!

قال : إليك الأمر : أنا رجلٌ مؤمن ، من أهل الصلاة و الصيام و الخمس و الزكاة ، و مهما فكرتُ فإنّني لا أجد أنّ خطأ قد بدر مني لأستحقّ عليه عقوبةً كهذه . و هذه الروضة بهذه المواصفات هي النتيجة البرزخية لأعمالي الصالحة تلك . اللهمّ إلّا أنّني كنتُ أسير في الزقاق يوماً في حرّ الصيف ، فرأيتُ صاحب دكانٍ ينازع أحد الذين يشترون منه ، فاقتربتُ منهما لأصلح بينهما ، فرأيت صاحب الدكان يقول : إنّني أطلبك ثلاثمائة دينار (ستّة شاهیّات) ، بينما المشتري يقول : إنّني مدين بخمسة شاهیّات . فقلتُ لصاحب الدكان : تنازل عمن نصف شاهي . و قلتُ للمشتري : تنازل أنت أيضاً و ارفع يدك عن نصف شاهي ، فأعطى خمسة شاهیّات و نصف لصاحب الدكان ! فسكتَ صاحبُ الدكان و لم يقل شيئاً . و لأنّ الحقّ كان لصاحب الدكان ، و لأنّني كنتُ بقضائي الذي لم يرضه صاحب الدكان قد أضعتُ نصف شاهي من حقّه ، فإنّ الله عزّ وجلّ - جزاءً لهذا العمل - قد عيّن لي هذ الثعبان ليلدغني بهذا المنوال كلّ ساعة إلى يوم يُنفخ في الصّور فيحضر الخلائق في المحشر للحساب ، و أنجو آنذاك ببركة شفاعة محمّد و آل محمّد عليهم السلام .

ثمّ إنّني حين سمعت بذلك نهضتُ و قلتُ : إنّ أهلي ينتظرونني في البيت ، و علَيّ أن أذهب فأخذ لهم إفطاراً .

فنهض ذلك الرجل الجالس في صدر الغرفة فشايعني إلى الباب ،

و حين أردت الخروج أعطاني كيساً صغيراً من الرزّ و قال : هذا رزّ جيّد ،
فخذه لعيالك !

فأخذتُ الرزّ و وودعته و خرجتُ من الروضة من النافذة التي كنتُ قد
دخلتها من قبل ، فرأيتني داخل ذلك القبر ، و كان الميت راقداً على الأرض
و ليس هناك من نافذة . ثم إنني خرجتُ من القبر و وضعتُ عليه اللّبن
و أهلتُ التراب ، و توجّهت إلى منزلي و جلبتُ كيس الرزّ فطبخنا منه .

و انقضت مدّة و نحن نطبخ من ذلك الرزّ فلا ينفد ، و كلّما طبخنا منه
شيئاً فاحت منه رائحة طيبة فعطّرت أرجاء المحلّة ، و كان الجيران
يتساءلون : من أين اشتريتم هذا الرزّ ؟

و أخيراً حلّ يومٌ لم أكن فيه في المنزل ، فقدم إلينا أحد الضيوف ،
و قامت زوجتي بطبخ شيء من ذلك الرزّ و تركته على النار لينضج ، و كان
العطر الفواح يتصاعد منه فيملأ فضاء البيت . و يتساءل ذلك الضيف : من
أين لكم هذا الرزّ الذي يفوق في عطره جميع أنواع الرزّ العنبر ؟

فاستحيت زوجتي و شرحت له القصّة ؛ ثم إنهم طبخوا القدر الباقي
من الرزّ بعد ذلك فنفد جميعه و لم يبق منه شيء .

بلى ، هذه هي أطعمة الجنّة التي يرزقها الله سبحانه للمقرّبين من
حضرته .

و قد ورد في القرآن الكريم في أمر مريم عليها السلام :
كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى
لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ١
لقد جاءوا بمريم عليها السلام إلى بيت المقدس للعبادة ، فوضعت

١- الآية ٣٧ ، من السورة ٣ : آل عمران .

تحت كفالة زكريّا على نبيّنا وآله و عليه السلام و انشغلت بالعبادة . و لم يكن هناك دجاج أو حساء ، بل كان الطعام هناك الجوع و الصيام ، لأنّها كانت قد وضعت تحت التعليم و التربيّة الروحانيّة . يبيّد أنّ زكريّا كلّما دخل على مريم سلام الله عليها المحراب وجد عندها من فواكه الجنّة و من الأرزاق المعنويّة . فكان يقول : يا مريم أتّى لك هذا ؟ فتجيبه : هذا طعام ملكوتيّ قدّره الله لي ، إنّه يرزق من هذه الأرزاق المعنويّة من يشاء بغير حساب .

فإذا ما اجتنب امرؤ المحرّمات ، و تورّع عن الشبهات ، فإنّ نصيبه سيكون من أمثال هذه الأرزاق المباركة . أمّا اذا تناول امرؤ طعاماً من حرام ، فإنّ دعاءه لن يُستجاب لأربعين يوماً ، كما أنّ قلبه سيسودّ و يتكدّر .

روى المجلسيّ رضوان الله عليه عن كتاب «الخرائج و الجرائح» للشيخ سعيد بن هبة الله القطب الراونديّ : روي أنّ عليّاً عليه السلام أصبح يوماً فقال لفاطمة عليها السلام : عندك شيء تغذّينه ؟ قالت : لا . فخرج و استقرض ديناراً لبيتاع ما يصلحهم ، فإذا المقداد في جهديّ و عياله جياع ، فأعطاه الدينار و دخل المسجد و صلّى الظهر و العصر مع رسول الله صلّى الله عليه و آله . ثمّ أخذ النبيّ بيديّ عليّ و انطلقا إلى فاطمة و هي في مصلاّها و خلفها جفنةٌ تفور .

فلما سمعت كلام رسول الله صلّى الله عليه و اله خرجت فسلمت عليه و كانت أعزّ الناس عليه ، فردّ السلام و مسح بيده على رأسها ثمّ قال : عَشِينَا غُفْرَ اللَّهِ لَكَ و قد فعل ! فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي رسول الله صلّى الله عليه و آله .

قال : يا فاطمة ! أتّى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه قطّ و لم أشمّ مثل رائحته قطّ و لم آكل أطيب منه ؟ و وضع كفه بين

كتفي^١. و قال : هذا بدلٌ عن ديناركَ ، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب^٢.
و روى المجلسيّ نظير هذه الرواية أيضاً عن «تفسير العياشي»^٣.
يقول المجلسيّ - ذيل الرواية التي أوردناها - : قال الزمخشريّ في
«الكشاف» عند ذكر قصّة زكريّا و مريم عليهما السلام ، و عن النبيّ
صلّى الله عليه [و آله] و سلّم أنّه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة
رغيفين و بضعة لحم آثرته بها فرجع به إليها فقال : هلمّي يا بنية ! و كشفت
عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً و لحماً ، فبهتت و علمت أنّها نزلت من الله ،
فقال لها : أتى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير
حساب . فقال عليه السّلام : الحمد لله الذي جعلك شبيهةً سيّدة نساء
بني إسرائيل ، ثمّ جمع رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم عليّ بن
أبي طالب و الحسن و الحسين و جميع أهل بيته عليهم السلام شعبوا و بقي
الطعام كما هو و أوسعت فاطمة عليها السلام على جيرانها .
بلى ! إنّ الصورة الملكوتية للجوع و العطش في سبيل الله و تقرباً إليه
عزّ و جلّ هي المائدة السماوية و الماء العذب المعين اللذان سيكونان من
نصيب هذا السالك .

مثلاً روى المقرّم عن «مقتل الخوارزمي» ج ٢ ، ص ٣١ ، و عن

١- لم يرد لفظ «أمير المؤمنين» في عبارة المجلسيّ التي ينقلها عن «الخرائج» ؛ بيد أنّه
يتّضح أنّ لفظ عليّ بن أبي طالب قد سقط من قلم النسخ في هذه الرواية التي نقلناها ، و ذلك
يُستفاد أولاً من قرينة أنّ مخاطب رسول الله كان أمير المؤمنين عليه السلام ، و ثانياً من قرينة
رواية أخرى يرويها المجلسيّ في البحار ، ج ١٠ ، ص ١٨ من الطبعة الكمباني ، و في ج ٤٣
ص ٥٩ طبعة الآخوند . نقلاً عن «تفسير فرات بن إبراهيم» ورد فيها لفظ عليّ بن أبي طالب .

٢- «بحار الأنوار» ، الطبعة الكمباني ، ج ١٠ ، ص ١٠ ؛ و طبعة الآخوند ، ج ٤٣ ، ص ٢٩ .

٣- «بحار الأنوار» ، الطبعة الكمباني ، ج ١٠ ، ص ١١ ؛ و طبعة الآخوند ، ج ٤٣ ، ص ٢٩ .

«مقتل العوالم»، ص ٩٥ :

[و لما قتل عليّ الأكبر سلام الله عليه في الدفعة الأولى مائة و عشرين فارساً عاد من المعركة] وَ قَدْ اشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ فَ رَجَعَ إِلَى أَبِيهِ يَسْتَرِيحُ وَ يَذْكُرُ مَا أَجْهَدَهُ مِنَ الْعَطَشِ ، فَبَكَى الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَالَ : وَاعْوِثَاهُ مَا أَسْرَعَ الْمُلتَقَى بِجَدِّكَ فَيَسْقِيكَ بِكَأْسِهِ شَرْبَةً لَا تَظْمَأُ بَعْدَهَا ، وَ أَخَذَ لِسَانَهُ فَمَضَّاهُ وَ دَفَعَ إِلَيْهِ خَاتَمَهُ لِيَضَعَهُ فِيهِ ١ .

لكأنّ عليّ الأكبر أراد أن يُعلِّمَ أباه بأنّ رسول الله قد سقاه في الدفعة الثانية حين حارب فقطعوه إرباً إرباً . لذا فقد :

وَ نَادَى رَافِعاً صَوْتَهُ : عَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، هَذَا جَدِّي قَدْ سَقَانِي بِكَأْسِهِ شَرْبَةً لَا أَظْمَأُ بَعْدَهَا وَ هُوَ يَقُولُ إِنَّ لَكَ كَأْساً مَذْخُورَةً ٢ .

لقد حقّ للأب ؛ من أجل هكذا شهادة ، مظهر للقدس و التقوى ؛ أن يرفع أنيه فيقول : على الدنيا بعدك العفا .

حيث يروي الطبري بسنده عن حميد بن مسلم قال :
سَمِعْتُ أُذُنِي يَوْمَئِذٍ مِنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ : قَتَلَ اللَّهُ قَوْمًا قَتَلُواكَ يَا بُنَيَّ ! مَا أَجْرَاهُمْ عَلَى الرَّحْمَنِ ، وَ عَلَى انْتِهَاكِ حُرْمَةِ الرَّسُولِ ! عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَاءُ .

قَالَ : وَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مُسْرِعَةً كَأَنَّهَا الشَّمْسُ الطَّالِعَةُ تُنَادِي : يَا أَخِيَّاهُ ؟ وَيَا بَنَ أَخِيَّاهُ !
قَالَ : فَسَأَلْتُ عَنْهَا فَقِيلَ : هَذِهِ زَيْنَبُ ابْنَةُ فَاطِمَةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ

١- «مقتل الحسين» للمقرّم ، ص ٢٩٨ ؛ و نقلها في كتاب «عليّ الأكبر» للمقرّم ، ص ٨٠

عن «اللوهر» بهذه العبارة : العطش قتلني و ثقل الحديد أجهدني فهل إلى شربة ماءٍ أُنقِوى بها على الأعداء ؟

٢- «مقتل المقرّم» ، ص ٣٠٠ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و آله] وَ سَلَّمَ ، فَجَاءَتْ حَتَّى أَكَبَّتْ عَلَيْهِ ، فَجَاءَهَا
الْحُسَيْنُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَرَدَّهَا إِلَى الْفُسْطَاطِ^١.

١- «تاريخ الطبري»، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، المجلد الخامس،
ص ٤٤٦.

الْجَلْسَةُ الثَّالِثُ عَشَرَ

مُفَرَّقُ طَرِيقِي السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ يَصْبِحُ فِي
الْبُرْخِ طَرِيقًا وَاحِدًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

و صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرين

ولعنة اللَّهِ عَلَى أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ
شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ^١ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا
فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ^٢.

يقول علي بن إبراهيم في تفسيره : فهذا هو في نار الدنيا قبل القيامة
مادامت السموات والأرض . وقوله «وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ
خَالِدِينَ فِيهَا» يعني في جنات الدنيا التي تُنقل إليها أرواح المؤمنين
«مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» يعني

١- يمكن أن يُقال إنَّ الزفير والشهيق عائد لجهنم ، أي تلك الشُعَل الملتهبة و الألسنة
النارية المتأججة ، كما يمكن أن يقال إنَّ زفير و شهيق جهنم من نفس الجهنميّين ، كما يدل
عليه لفظ «لهم» .

٢- الآيات ١٠٥ ، إلى ١٠٨ ، من السورة ١١ : هود .

غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنة بل يكون متصلاً به ، وهو ردُّ على مَنْ يُنْكِرُ عذاب القبر و الثواب في الدنيا ، في البرزخ قبل يوم القيامة ^١ .
وكما يظهر من كلام هذا الرجل الجليل ، فإن المراد من جنة و جهنم الدنيا ، جنة و جهنم البرزخ . وقد عبّر عن عالم البرزخ بالدنيا باعتباره تتمّةً لعالم الدنيا ، ولأن فيه وجوداً من الصورة و الكمّ و الكيف .

كما يقول عليّ بن إبراهيم في مقدّمة تفسيره :

و أمّا الردّ على مَنْ أنكر الثواب و العقاب ، فقوله :

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ .

و أمّا قوله «مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ» إنّما هو في الدنيا ، فإذا قامت القيامة تبدّل السموات و الأرض ، و قوله :

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا ^٢ .

فالدُّو و العشيّ إنّما يكون في الدنيا في دار المشركين ، و أمّا في القيامة فلا يكون غُدُوًّا و لا عَشِيًّا . و قوله :

و لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا ^٣ .

يعنى في جنان الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين ، فأما في جنّات الخلد فلا يكون غُدُوًّا و لا عَشِيًّا . و قوله :

و مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ^٤ .

١- «تفسير عليّ بن إبراهيم» ، الطبعة الحجرية ، ص ٣١٤ و ٣١٥ .

٢- الآية ٤٦ ، من السورة ٤٠ : غافر

٣- الآية ٦٢ ، من السورة ١٩ : مريم

٤- الآية ١٠٠ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون

الآيات التي قرنت الجزء بالزمان مختصة بعالم البرزخ المجلس الثالث عشر

فقال الصادق عليه السلام: البرزخ القبر، وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة. والدليل على ذلك أيضاً قول العالم عليه السلام:
وَاللَّهُ مَا نَخَافُ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْبَرْزَخَ.
(و أما في القيامة فالشفاعة هناك بأيدينا فنحن أولى بالشفاعة لكم).
وقوله تعالى:

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^١.

قال الصادق عليه السلام:

يَسْتَبْشِرُونَ وَاللَّهُ فِي الْجَنَّةِ بِمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا. (أي أن الدنيا لا تزال قائمة، فالقيامة لم تقم بعد، ولم يحن حين جئة القيامة بعد؛ وعليه فإن المراد بالجنة في هذه الآية الكريمة المباركة الجنة البرزخية التي تتلائم وبقاء الدنيا).

و مثله كثير مما هو ردّ على من أنكر عذاب القبر^٢.

وقد روى سماحة العلامة الطباطبائي مدّ ظلّه^٣ في رسالة المعاد «الإنسان بعد الدنيا» نظير هذا الاستدلال في دلالة الآيات على الجنة البرزخية عن تفسير النعماني عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام^٤.^٥

١- الآيتان ١٦٩ و ١٧٠، من السورة ٣: آل عمران.

٢- «تفسير علي بن إبراهيم» الطبعة الحجرية، ص ١٨.

٣- ألّف هذا الكتاب في حياته (قدّه)، و أثرنا الإبقاء على تعبير المصنّف. (م)

٤- رسالة «الإنسان بعد الدنيا»، ص ١١.

٥- ويقول في «تفسير علي بن إبراهيم»، ص ٤١٢، ذيل الآية الشريفة «و لهم رزقهم

فيها بكرةً وعشيّاً»:

و الخلاصة ، فإن الاستدلال بهذه الآيات التي فيها دلالة على عالم البرزخ و الثواب و العقاب البرزخي يعتمد و يستند إلى آياتٍ أخرى صُرح فيها بأن وجود السموات و الأرض و النجوم و الجبال و غيرها سيضمحل و يتلاشى عند قيام القيامة ، فآنذاك ستتناثر السموات و تتفَرَّق عن بعضها ، و تستشق الأرض ، و تنكسف الشمس ، و تتساقط النجوم ، و يستحيل العالم عالماً آخر .

إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ١ .
إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ أُنْتَثَرَتْ ٢ .
إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٣ .
يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمُوتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٤ .

« ذلك في جنّات الدنيا قبل القيامة . و الدليل على ذلك قوله «بُكَرَةً و عَشِيّاً» ، فالبكرة و العشيّ لا تكون في الآخرة في جنّات الخلد ، و إنّما يكون الغدوّ و العشيّ في جنّات الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين و تطلع فيها الشمس و القمر .
و يقول أيضاً في نفس التفسير ، ص ٥٨٦ ذيل الآية المباركة «النار يُعرضون عليها غدوّاً و عشيّاً» :

ذلك في الدنيا قبل القيامة ، و ذلك أنّ في القيامة لا يكون غدوّاً و لا عشيّاً ، لأن الغدوّ و العشيّ إنّما يكون في الشمس و القمر ، ليس في جنّات الخلد و نيرانها شمس و لا قمر .
قال : و قال رجل لأبي عبد الله [الصادق] عليه السلام : ما تقول الناس فيها؟ فقال : يقولون إنّها في نار الخلد و هم لا يعدّون فيما بين ذلك . فقال عليه السلام : فهم من السعداء ؟ فقليل له : جُعلت فداك فكيف هذا ؟ فقال : إنّما هذا في الدنيا ، و أمّا في نار الخلد فهو قوله : «و يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب» .

١- الآيتان ١ و ٢ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق .

٢- الآيتان ١ و ٢ ، من السورة ٨٢ : الانفطار .

٣- الآيتان ١ و ٢ ، من السورة ٨١ : التكوير .

٤- الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

في عالم البرزخ مثال من الجنة و الجحيم الموجودين في عالم القيامة المجلس الثالث عشر

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
الْمَنْفُوشِ^١.

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ^٢.
فهذه الآيات تبين القيامة الكبرى و مقام تجلي النفس هناك ، و لأن
النفس أعلى من الصورة و المثال ، و لأن حقيقتها غير متعينة أو محدّدة
بالكمّ و الكيف ، فليس هناك من سماء و لا أرض و لا نجم و لا جبل ، بل
ستكون السماء و الأرض في صورة أخرى غير السماء و الأرض .
و على ذلك فإن جميع الآيات التي قدّرت فيها نعيم الجنة أو نِقَمُ جهنم
وحدّدت ببقاء و دوام السموات و الأرض ، و اعتبرت فيها دائمة بدوام
وجودها ؛ ستكون عائدة إلى الجنة المثالية و البرزخية [وإلى جهنم المثالية
و البرزخية].

و لأن البرزخ عالم الصورة ، فإن فيه سماء و أرض ، كما أن
الموجودات و النفوس البرزخية لها اطلاع على الدنيا و على السموات
و الأرض ، و بالطبع فإن حياة أولئك في ملكوت السموات و الأرض .
و أمّا تلك الآية المباركة :

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ^٣.

فيمكن الإفادة منها من جهات عديدة بأنّها عائدة إلى عالم البرزخ
لا إلى عالم القيامة الكبرى .
الجهة الأولى : من عنوان «الغدوّ و العشيّ» ، لأنّه - و لما ذكر - ليس

١- الآيتان ٤ و ٥ ، من السورة ١٠١ : القارعة .

٢- الآيتان ٨ و ٩ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

٣- الآية ٤٦ ، من السورة ٤٠ : غافر .

هناك ليل أو نهار في القيامة الكبرى .

الثانية : من عنوان «يُعرضون عليها» ، لأنّ معناه أنّ المشركين يعرضون على النار ، و معنى العرض ليس الإبقاء في النار ، بل المرور إلى جانبها ، و الوضع في جوارها ، فتعرض عليهم النار بحيث لا يشملهم لهبها و شعلتها ، و لكنّ شيئاً من حرارتها يصلهم إجمالاً ، فيتألمون و يتأثرون من منظرها المذهل المحيّر . و كما قلنا سابقاً فليس هناك في البرزخ جنّة و لا جهنم للقيامة ، بل إنّ البرزخ ممرّ القيامة و نافذة عليها :

يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، أَوْ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ .

الثالثة : قوله بعد الآية :

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ .

فبعد أن يُعرض هؤلاء على النار غدواً و عشياً ، يستمرّ هذا المعنى حتّى تصل ساعة القيامة فيأتي الخطاب إلى ملائكة العذاب أن أدخلوا آل فرعون في الحال «في» أشدّ العذاب . فيتضح إذن أنّهم كانوا في العذاب قبل القيامة ، إلّا أنّ ذلك العذاب لم يكن في غايته و درجته القصوى ، و ها هو العذاب الغائيّ و النهائي ينالهم ؛ فذلك المحلّ و العالم الذي كان فيه آل فرعون معذبون بغير العذاب النهائي ، يُقال له عالم البرزخ .

أمّا علّة اختصاص آية لَهُمْ فِيهَا رِزْقُهُمْ بُكْرَةً وَ عُشِيّاً بالبرزخ ، فهي أنّ هناك صباحاً و مساءً و تدريجاً زمانياً ينشأ من حركة الشمس و القمر و الأرض ، أو فلك الأفلاك و النسب الخاصة بينها ، أو من امتداد الحركة الجوهرية التي تظهر في باطن الموجودات و ذواتها ، بينما ليس هناك في القيامة أرض و لا سماء ، لذا فلا وجود بينها للنسبة التي يُنتزع منها الزمان .

١- الآية ٦٢ ، من السورة ١٩ ، مريم .

مُتَكَيِّئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا^١.
فليس هناك من شمسٍ لتُشاهد ، ولا لزَمْهَرِيرٍ ليؤذي برده الأبرار أو
يزعجهم .

إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي
النَّارِ يُسْجَرُونَ^٢.

إنَّ أولئك الذين يُجادلون في آيات الله و يكذبون بآياته و بما أرسل
به أنبياءه ، سرعان ما يحصل لهم العلم ، حين تعلق السلاسل و الأغلال في
أعناقهم فيجرون إلى الحميم ثم يُسجرون و يُحرقون في النار .
و الحميم يُقال للشئ الحار ، كالماء الحار ، و الهواء الحار و أمثال ذلك ؛
و السحب بمعنى الجَرّ ؛ و السَجْر بمعنى الإحراق ، سَجَر التنور : أشعله .
كما أنَّ «ثُمَّ» تفيد - كما ذكرنا سابقاً - التراخي و الانفصال ، أي بعد
مدة و زمن ما . لذا فإنَّ معنى هذه الآية سيكون :
إنَّ هؤلاء المجادلين و المكذِّبين سيَجْرُونَ أولاً في الهواء الحارَّ أو
الماء الحارَّ ، ثمَّ يُلقَوْنَ في النار فيُسْجَرُونَ و يُحرقُونَ .
و من المعلوم أنَّ المراد من السحب في الحميم هو عالم البرزخ ،
حيث يعانون هناك من الحرارة ؛ و المراد بالسَجْر : في نار عالم القيامة ،
حيث يحترقون هناك بكلِّ ما في الكلمة من معنى ، و يرون جزاءهم
الأخير .

و يمكن أيضاً الاستدلال بهذه الآية :
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفْرِطُونَ * ثُمَّ

١- الآية ١٣ ، من السورة ٧٦ : الإنسان (الدهر) .

٢- الآيتان ٧١ و ٧٢ ، من السورة ٤٠ : غافر .

رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَيْهِمْ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ^١.

فحين يحين زمن موت أحدكم فإن ملائكتنا الموكلين بقبض الأرواح سيقبضون روحه و لا يفرطون أو يقصرون في عملهم هذا ، ثم إنهم يردون إلى الله مولاهم الحق .

و «ثم» بمعنى الفاصلة ، و هذه الفاصلة بمعنى البرزخ ، و ذلك لأن قيام الناس للعرض على الله سبحانه ليس في عالم البرزخ ؛ لأن البرزخ كمثل الدنيا إلا أن له تجرداً أكثر و هو التجرد عن المادّة . بل إن قيام الإنسان عند الحق تعالى و عالم السؤال و الميزان و الحساب و مقام العرض يحصل في عالم القيامة الذي هو مقام قيام حقيقة النفس بذاتها و واقعها ، لا بصورتها و مثالها فقط .

لذا فقد عبر بـ «ثم» فقال «ثُمَّ رُدُّوْا» و لم يقل «فَرُدُّوْا» ؛ أي أن هناك فاصلة بين قبض الأرواح من قبل الملائكة و بين القيامة الكبرى ، و ينبغي بعد طي هذه الفاصلة أن يُردُّوا إلى الله مولاهم الحق .

و الخلاصة ، فإن الآية التي ذكرت في مطلع الحديث :

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ .

لها دلالة على أن أحداً لا يمكنه الكلام في عالم البرزخ إلا بإذن الباري عز وجل ، و أن الاختيار يُسلب من الإنسان من بداية شروع عالم البرزخ ، و هو انتهاء عالم الدنيا و نقطة الموت الحائل و الفاصل بين نشأتي الدنيا و البرزخ ، فلا ينفعن الإنسان بعد ذلك اختلاق الأكاذيب و الأفكار المصلحيّة التي كان يتوسل بها في هذه الدنيا لنيل المنافع الوهميّة ، لأن ملائكة قبض الأرواح و الملائكة الآخرين الذين سيلتقون بالإنسان بعد

١- الآيتان ٦١ و ٦٢ ، من السورة ٦ : الأنعام .

ذلك و يصادفونه سيتكلمون مع باطنه و حقيقته ، و يتحدثون مع روحه الملكوتية و صورته المثالية ، لا مع لسانه الظاهري أو أفكاره المموهة المشوّهة .

سيسلب ملائكة الموت روحه ، أمّا بدنه فسيأخذه أهله الباقون إلى المكفن و المغتسل و المصلّى و المدفن ، و ستتحرك الروح التي لها في الجملة علاقة و ارتباط بالبدن وراءه و تُشرف عليه .

ثمّ تحلّ الليلة الأولى للقبر ، فيتكلم الملائكة مع القالب المثالي و الصورة الملكوتية ، لا مع البدن الماديّ .

و على كلّ حال ، فإنّ الإنسان يتكلم في هذه الدنيا و يسير و يتحرك و يقوم بهذه الأعمال بهذه الصورة المثالية ، غاية الأمر أنّ هناك للبدن نوعاً من الاتحاد مع الصورة المثالية ، لذا يتصوّر الإنسان أنّ الكلام و السير و الحركة كانت بإرادة البدن و سيطرته .

و بعد أن يرحل الإنسان و يُهاجر من هذا العالم و يرد عالم البرزخ ، و بعد أن تبتعد الصورة المثالية عن البدن ، فيرى الإنسان حقيقته و وجوده في القالب المثاليّ و الصورة المثالية ، فإنته سيفهم آنذاك أنّ كلّ ما قام به و أنجزه في عالم الدنيا قد حصل بالصورة المثالية و القالب الملكوتيّ .

إنّ الملائكة يتكلمون في عالم المثال مع تلك الصورة الملكوتية ، فذلك العالم ليس بعالم الخيال و التفكير المصلحيّ ، و ليس بعالم الاعتبار و ترتيب المقدمات التخيلية لنيل النتائج الموهومة ؛ ذلك العالم عالم الحقيقة و عالم الحقّ .

إنّ الكذب يتعلّق بعالم الدنيا هذا ، العالم الذي امتزج فيه الحقّ و الباطل ، و الشهوة و الوهم ، و الغضب و العقل ، و السعادة و الشقاء ، بينما العالم هناك عالم الحقّ ، و الأمر منجز هناك دفعة واحدة ؛ هذا من جهة .

و من جهة أخرى فإنّ الملائكة يتحدّثون هناك مع باطن الإنسان ، فيجيبهم الإنسان بباطنه و واقعه ، و لذلك فلا يمكنه أن يموّه الأمر على الملائكة باختلاق الكذب و الافتراء .

و إذا ما كذب أحد في هذه الدنيا ، فإنّ واقعه و وجدانه سيحكي شيئاً ، بينما سيحكي لسانه شيئاً آخر ، و الكذب هو الوليد لهذا الاختلاف في الزاوية بين الحقيقة و بين القول باللسان ؛ الكذب هو التوافق بين المحتوى القلبي و بين المقولة اللسانية .

أما هناك ، حيث تفتح الأبصار على الحقيقة و الواقع ، و حيث يسلب طريق الانحراف و الالتواء الذي تمثله الغرائز المختلفة ، و حيث الحقيقة و الواقعية المحضة ؛ فإنّ كلام الملائكة سيكون مع باطن الإنسان و حقيقته ، أي أنّ جهة الحديث ستكون مع قلب الإنسان فقط ، و لن يكون هناك عالم للرياء و الخداع و المكر و الحيلة و النظر المصلحي الموهوم الاعتباري ، حتى يحاول الإنسان التثبت بهذه الوسائل لجعل عمله موافقاً للحقّ و منطبقاً عليه ، و ليموّه بنحو ما أفعاله السابقة و ينكرها بلباس التمويه و التشويه فيبدلها إلى صورة الحقّ .

إنّ من الممكن للإنسان ألا يرتكب ذنباً في هذه الدنيا ، ليس من أجل رضا الله سبحانه أو من أجل الموافقة بين عمله و بين الحقّ و الواقع ، بل لجهاتٍ أخرى غيرها . فقد لا يكذب لأنّ رفيقه سيفهم و يدرك أنّه قد كذب ، و قد لا يسرق لأنّ سرقة ستّضح و تنفضح ، و قد لا يخون و لا يظلم لئلا تسقط شخصيته و مكانته في المجتمع .

إلا أنّ من المسلم أنّ فرداً كهذا لو واجه وضعاً و ظروفاً أخرى بحيث يتيقن بشكل أكيد أنّ أحداً لن يطّلع على كذبه أو اختلاسه أو ظلمه أو خيائته ، و أنّ كرامته و ماء وجهه لن يهدرا ، فإنّته سيفقد الرادع و المانع

الذي يحول بينه وبين ارتكاب هذه الجرائم .
إنّ هذا الاختلاف في الأساليب مسبب عن اختلاف الظاهر والباطن
الذي يرى الإنسان نفسه مواجهاً له في الدنيا .
أمّا في عالم البرزخ ، فليس هناك اختلاف بين الظاهر والباطن ،
ومهما كان باطن الإنسان فإنته سيتجلّى هناك على تلك الصورة ، الباطن
الحسن سيتجلّى حسناً ، والباطن السيّء سيّئاً ، وما يقوله قلب الإنسان
ويعتقده ويؤمن به ، فإنّ لسانه الملكوتي سيقرّه أيضاً ويشهد على صحته
و صوابه .

سيُقال للإنسان هناك : مَنْ رَبِّكَ ؟ فیردّ الإنسان ويذكر الربّ والمقصود
الذي كان له في هذه الدنيا ، والذي كان يتوسّل به وينشده .
و معنى «الإله» مَنْ يتوجّه إليه قلب الإنسان ويكون معه دوماً ،
و يطوف حول حرمه ، والذي يملأ القلب في مواقع الخلوة والجلوة ، و مَنْ
يكون الإنسان في ذكره دوماً فلا تخلو منه خواطره ، فهذا هو مقصود
الإنسان و معبوده ، وهذا هو مألوه الإنسان و معبوده .

هناك مَنْ معبوده و مقصوده امرأته ، مهما سعى وجدّ فلها ؛ وهناك
مَنْ معبوده ولده ، أي أنّ السماء والأرض والنبيّ والقرآن جميعاً لاتعدل
لديه شيئاً مقابل محبّة ولده ، فهو يتعشّقه بكلّ وجوده وكيانه ، و يقدر حبّه
في مجال رغباته و طلباته على ذكر الله والنبيّ والقرآن .

و هناك مَنْ معبوده تجارته ، و مَنْ معبوده ثروته ، و مَنْ معبوده
شخصيّته و سيادته ، و مَنْ معبوده علمه و فكره ، و مَنْ معبوده إيمانه
و دينه ، كما أنّ هناك مَنْ معبوده نفسه و روحه .

هؤلاء هم الآلهة التي تجلّت في الدنيا بشكل مشّت و متفرّق بعنوان
مقصود و معبود لبني آدم ، فاختار كلّ امرئ واحداً منها فخصّصه للعبادة

تبعاً لذوقه و طبيعته .

لقد خاطب النبي يوسف على نبينا و آله و عليه الصلاة والسلام صاحبيه في السجن : **يُصَاحِبِي السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ**^١.

«أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ» أي أصحاب الولاية في قلب الإنسان ، الذين أتسوا و أقاموا حكومتهم التخيلية في قلب الإنسان على أساس عالم الكثرة و الاعتبار و التفرق . «أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ» يعني هؤلاء الحكام الجائرين و الرؤساء المستبدّين و طواغيت العصر الذين يدعون الإنسان إلى طاعتهم و العبوديّة لهم .

من الممكن للإنسان أن يصلي و أن يصوم و أن يبني مسجداً أيضاً ، إلّا أنّ ذلك يمتلك قدراً و قيمة حين يكون له دلالة على العلاقة و الارتباط بالله سبحانه ، أي حين يكون كذلك في المنزل وحيداً فيغتسل غسل الجنابة و لا يترك صلاته ، و حين يكون كذلك خلف الميزان فلا يجحف و لا يظلم في بيعه على مشترٍ جاهل قروي لا يعلم شيئاً عن الحساب ، فلا يتقاضى منه أكثر ممّا يجب عليه أو يُعطيه أقلّ ممّا يجب له ؛ لأنّ الله موجود . الله موجود في منتصف الليل و المرء راقد في فراشه ، و الله موجود حين ينهض المرء من النوم . كما أنّ العلاقة بالزوجة و الولد و الثروة و الاعتبار يجب أن تكون في طول العلاقة و المحبة مع الله لا في عرضها و آنذاك فإنّه إذا ما سُئِلَ : مَنْ رَبُّكَ ؟

فسيجيب : **اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ رَبِّي** .

فيقول له الملائكة : **قَدِمْتَ خَيْرٌ قُدُومٍ ، نَزَلْتَ خَيْرَ مَقَامٍ ، أَهْلًا**

١- الآية ٣٩ ، من السورة ١٢ : يوسف .

وَسَهْلًا .

أَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ فِي الظَّاهِرِ : إِنَّ رَبَّنَا رَبَّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ بِهِ عَمَلًا ، وَالَّذِينَ لَا تَعْدُو شَهَادَتَهُمْ أَنَّ
تَكُونُ مَجْرَدَ لِقَلْقَلَةٍ لِسَانٍ ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَشَدَّقُونَ دَوْمًا بِالْكَلامِ عَنِ الْإِيمَانِ
وَالشَّرَفِ وَالتَّقْوَى وَالْعَدَالَةِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَبِيعُونَ - فِي مَقَامِ الْعَمَلِ - جَمِيعَ هَذِهِ
الْأُمُورِ بِفُلْسٍ وَاحِدٍ ، ذَلِكَ لِأَنَّ رَبَّهُمْ وَآلِهَتَهُمْ فِي مِيزَانِ الْوَاقِعِ وَتَقْيِيمِ
الْحَقِيقَةِ هُوَ الدَّرْهَمُ وَالدينارُ وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالْبَطْنُ . كَمَا قَدْ أَخْبَرَ
الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَهْلِ آخِرِ الزَّمَانِ :

ءَالِهَتُهُمْ بَطُونُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ قِبَلَتُهُمْ وَشَرَفُهُمُ الدَّرَاهِمُ وَالْذَّنَانِيرُ .

وَهُؤُلَاءِ إِنْ سَثَلَ أَحَدُهُمْ فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ لِأَجَابَ بِحَقِيقَةِ
الْأَمْرِ ، وَلَقَالَ أَحَدُهُمْ : بَطْنِي ، بَطْنِي .

فَيَقُولُونَ لَهُ : الْوَيْلَ لَكَ ! فَتَوَسَّلَ بِالنَّهْكَ ، وَاطْلُبْ مِنْ بَطْنِكَ لَتَنْجِيكَ

مِنْ عَذَابِنَا !

وَيَسْأَلُونَ الْآخَرَ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَجِيبُ : امْرَأَتِي !

فَيَقُولُونَ : فَاسْأَلِ امْرَأَتَكَ أَنْ تَغِيثَكَ وَتُعِينَكَ !

وَيَسْأَلُونَ الْآخَرَ : مَنْ رَبُّكَ ؟

فَيَجِيبُ : وَلَدِي ؛ لَقَدْ كُنْتُ رَجُلًا عَجُوزًا فَسَعَيْتُ وَجَهَدْتُ حَتَّى
أَعْدَدْتُ النُّقُودَ فَأَعْطَيْتُهَا لَوْلَدِي فَذَهَبَ إِلَى الْخَارِجِ لِيَصْبَحَ مَهْنَدِسًا أَوْ طَبِيبًا ،
إِلَّا أَنَّهُ كَانَ بَعِيدًا عَنِ الْإِنْصَافِ فَفَقَدَ إِيْمَانَهُ وَتَلَبَّسَ بِنَهْجِ الْكُفَّارِ وَآثَارِهِمْ ،
وَمَهْمَا حَاوَلْنَا أَنْ نَعِيدَهُ إِلَى صَوَابِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْعُو وَلَمْ يَسْتَجِبْ . ثُمَّ يَغَالِطُ
فِي كَلَامِهِ وَيَقُولُ : إِنَّ الْبَلَدَ يَحْتَاجُ إِلَى الطَّبِيبِ وَالْمَهْنَدِسِ ، فَهُؤُلَاءِ
ضُرُورِيُونَ لِلْمَجْتَمَعِ . بَيِّدَ أَنَّهُ يَكْذِبُ ، فَالطَّبِيبُ وَالْمَهْنَدِسُ لَيْسَ مِنْ أَجْلِ
خِدْمَةِ الْمَجْتَمَعِ ، بَلْ لِتَفْرِيفِ جُيُوبِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ ، وَلِكُنْزِ الثَّرَوَاتِ الَّتِي

لا تُحصى .

فيقال : فاذهب الآن و اجلب ابنك الطبيب و المهندس لينقذك من
برائن أفكار الندم التي تجلت في هذا العالم في هيئة ملائكة العذاب .
كما يجيب البعض الآخر على سؤال (مَنْ رَبُّكَ ؟) فيقول : تجارتي ،
صكوكي ، كمبيالاتي ، عنواني و اعتباري ، جاهي و رئاستي ، غرور علمي
و فهمي ؛ فهؤلاء ، جميعاً آلهة معبودون .

إنّ عالم طلوع الحقائق و بروز السرائر لعالمٌ عجيب ! لقد قال الله
سبحانه إنّنا سنشاهده يوماً ما ، لكنّ علينا أن نكون في مستوى السؤال
فنجيب كما ينبغي . و الأمر الآن كذلك ، غاية الأمر أنّ النفس لم تطلع ، و ما
اختفى عليها لم يظهر بعد ، و سيظهر و يبرز آنذاك .

وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^١

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ
الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^٢

فمن أجاب كما ينبغي ، فقال : ربّي الله الواحد الأحد الصمد خالق
السموات و الأرضين . فإنّه سيقال له : نَمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ ، نَمْ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ .
يحدّث الشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن بابويه القميّ في كتابه
«الأمالي» بسنده المتّصل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

إذا مات المؤمن شيعة سبعون ألف ملك إلى قبره ، فإذا أدخل قبره
أتاه منكر و نكير فيقعدهانه و يقولان له : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَ مَا دِينُكَ ؟ وَ مَنْ
نَبِيُّكَ ؟ فيقول : ربّي الله و محمّد نبيّي و الإسلام ديني . فيفسحان له في قبره

١- الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢- الآية ١٦ ، من السورة ٤٠ : غافر .

مدّ بصره ويأتيناه بالطعام من الجنة ويدخلان عليه الروح والريحان ،
وذلك قوله عز وجل : «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ» ، يعني في
قبره ، «وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ» يعني في الآخرة .

ثم قال عليه السلام : إذا مات الكافر شيعة سبعون ألفاً من الزبانية إلى
قبره ، وإته ليناشد حامله بصوتٍ يسمعه كل شيء إلا الثقلان ويقول لو أن
لي كتره فأكون من المؤمنين ، ويقول : «رَبِّ أَرْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ
صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ»^١ ، فتجيبه الزبانية : كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ أَنْتَ قَائِلُهَا .^٢
و يناديهم ملك : لَوْ رُدَّ لَعَادَ لِمَا نُهِيَ عَنْهُ .

فإذا أُدخل في قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة ،
فيقيمانه ثم يقولان له : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟

فيتلجلج لسانه ولا يقدر على الجواب ، فيضربانه ضربةً من عذاب
الله يذعر لها كل شيء ، ثم يقولان له : مَنْ رَبُّكَ ، وما دينك ، ومن نبيك ؟
فيقول : لا أدري ! فيقولان له : لَا دَرَيْتَ وَلَا هُدَيْتَ وَلَا أَفْلَحْتَ .^٣

ثم يفتحان له باباً إلى النار ويُنزِلان إليه الحميم من جهنم ، وذلك
قول الله عز وجل : «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الصَّاَلِينَ فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ *
وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٌ» يعني في الآخرة .^٤

روى المرحوم العلامة المجلسي رضوان الله عليه عن كتاب «كشف
اليقين» للعلامة الحلّي رحمة الله عليه ، عن تفسير الحافظ محمد بن مؤمن

١- الآيتان ٩٩ و ١٠٠ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

٢- هذه الجملة مقتبسة من الآية ١٠٠ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون . «كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ

قَائِلُهَا» .

٣- وهو دعاء بالسوء ولعن ، بصيغة الإثبات .

٤- «الأمالي» للصدوق ، الطبعة الحجرية ، ص ١٧٤ و ١٧٥ .

الشيرازي ، بسنده مرفوعاً قال : أقبل صخر بن حرب (أبوسفيان) حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال : يا محمد هذا الأمر لنا بعدك أم لمن ؟ قال : يا صخر الأمر بعدي لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى ، فأنزل الله تعالى «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ» يعني يسألك أهل مكة عن خلافة علي بن أبي طالب «عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» منهم المصدق بولايته و خلافته و منهم المكذب «كَلَّا» و رد عليهم «سَيَعْلَمُونَ» سيعرفون خلافته بعدك إنها حق يكون «ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» سيعرفون خلافته و ولايته إذ يُسألون عنها في قبورهم ، فلا يبقى ميت في شرق و لا غرب و لا في بر و لا في بحر إلا و منكر و نكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت ، يقولان للميت : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَ مَا دِينُكَ ؟ وَ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ وَ مَنْ إِمَامُكَ ^١

و هناك تتمة للرواية التي نقلناها في المجلس الحادي عشر عن أحد الكتب الأربعة في شأن السؤال في عالم القبر واستجواب منكر و نكير . فقد كانت في رواية «العتاشي» و «الكافي» التي ينقلانها بسندهما المتصل عن جابر ، تتمة في ذيلها نوردها هنا مجدداً للمناسبة :

قال جابر : قال أبو جعفر [الباقر] عليه السلام : قال النبي صلى الله عليه و آله : إني كنت أنظر إلى الإبل و الغنم و أنا أرهاها ، و ليس من نبي إلا و قد رعى الغنم ، و كنت أنظر إليها قبل النبوة و هي متمكنة في المكنة ما حوّلها شيء يهيجها ، حتى تدعّر و تطير ، فأقول : ما هذا ؟ و أعجب ، حتى حدثني جبرئيل عليه السلام أن الكافر يُضربُ ضربةً ما خلق الله شيئاً إلا سمعها و يدعّر لها إلا الثقلين ، فقلت :

ذلك لضربة الكافر فنعودُ بالله من عذاب القبر ^٢.

١- «بحار الأنوار» ، الطبعة الحروفية ، ج ٦ ، ص ٢١٦ .

٢- «فروع الكافي» ، الطبعة الحجرية ، ص ٦٣ ؛ و الطبعة الحيدرية ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

و ترون أحياناً أنّ الكلاب تبدأ بالنباح فجأة ، و أنّ الطيور تصخب ،
و الديكة تصيح ، و الخيول تصهل ؛ و ذلك لارتباطها الكبير بعالم الصورة
و المثال . فهي لا ترتبط بصورة الإنسان الواقعية ، التي هي مقام تجلّي
النفس و الروح ، بل ترتبط بالإنسان في عالم الخيال .
يقول الملائكة : لقد جاء بك الله إلى الدنيا و سخر لك الشمس
و القمر و الليل و النهار ، و خلق ما على الأرض لأجلك ، ثم قضيت عمرك ،
فما الذي جئت به معك ؟

لقد وردت الدنيا بالفطرة الإلهية ، فلم خرجت منها أعمى ؟ أي غفلة
أعقبت لك هذه الحياة الشاقة التي تترشح تحتها ؟
وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
أَعْمَى^١.

و قد ورد في بعض الروايات أنّ المراد بالمعيشة الضنك عذاب عالم
البرزخ .

يقول المجلسي رضوان الله عليه ذيل خبر مروي عن الإمام السجّاد
عليه السلام في شأن عذاب القبر ، عدّ فيه المعيشة الضنك من جملة أنواع
ذلك العذاب .

قال : هذا الخبر يدلّ على أنّ المراد بالمعيشة الضنك في الآية هو
عذاب القبر ، و يؤيّده ذكر القيامة بعدها ، و إليه ذهب كثير من المفسّرين ،
و لا يجوز أن يُراد بها سوء الحال في الدنيا ، لأنّ كثيراً من الكفار في الدنيا
في معيشة طيبة هنيئة ، و المؤمنين على العكس من ذلك^٢.

١- الآية ١٢٤ ، من السورة ٢٠ : طه .

٢- «بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ٢١٥ ، الطبعة الحيدريّة .

كما قال [الطبرسي] في «مجمع البيان»: و قيل هو (أي المعيشة الضنك) عذاب القبر، عن ابن مسعود و أبي سعيد الخدري و السدي. و رواه أبوهريرة مرفوعاً.^١

و يذكر الشيخ الطوسي في «الأمالى» رسالة كتبها الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام لأهل مصر و أرسلها مع محمد بن أبي بكر، و هي رسالة مفصلة و حاوية لمطالب قيمة في التعليم و التوعية و الوعظ، و قد ورد فيها الكلام عن الموت و عواقبه مفصلاً، إلى أن ذكر لهم عليه السلام:

وَإِنَّ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ الَّتِي حَذَّرَ اللَّهُ مِنْهَا عَذَابُ الْقَبْرِ.^٢

و الخلاصة، فقد يستطيع امرؤ أن يتجنب الإجابة الصحيحة و يُعرض عن حقيقة الأمر صفحاً، و يلجأ إلى الكذب و الافتراء، إذا ما كانت الجهات المختلفة من القوى الطبيعية و الاختيار قد بقيت لديه، و إذا ما لجأ إلى الكذب على أساس التفكير المصلحي فراراً من العقاب أو الفضيحة.

ولكن هيهات؟ فالشخص الميت الذي فقد هذه الجهات بموته، و الذي سلب منه الاختيار، لن يكون بميسوره التخلف عن إظهار متن الواقع و الحقيقة، و سينطق بالصدق و الحق و يصدع به جبلة و اضطراراً. إن البعض يصدّقون حال سُكرهم فيبيّنون حقائق الأمور الواقعة بلا زيادة أو نقصان، فإن كانت فطرتهم سليمة نزيهة و عقيدتهم ثابتة راسخة، فإنهم سيقومون حال السكر أيضاً بالثناء على الله و على النبي و الإمام و الإسلام؛ أمّا إذا كانت عقيدتهم منحرفة و ضمائرهم فاسدة، فإنهم سيتكلّمون بالسوء حال سُكرهم على الله و الكائنات و الإمام و النبي

١- نفس الموضوع من كتاب البحار.

٢- «الأمالى» للشيخ الطوسي، طبع النجف، المجلد الأول، ص ٢٧.

وسيقذفونهم بأقذع الأقوال . على الرغم من أنّ هذين الصنفين من السكاري يقفان حال الوعي في صف واحد ، و يتكلمان بنمط واحد بسبب مراعاة الظاهر . لكنّ هذا الاختلاف في الزاوية قد نشأ إثر السكر و إثر فقدان الاختيار ، و إثر ظهور الحقائق و تجليها .

كما أنّ الإنسان غالباً ما يعمل في نومه وفق رغباته الباطنية ، مع أنّه لا يفعل ذلك حال صحوه و انتباهه .

و لذا فقد قال الإمام الباقر عليه السلام بأنّ النّوم وَالْمَوْتُ مِنْ مَقُولَةٍ وَاحِدَةٍ .

إنّ محادثات الملائكة مع الشخص المحتضر عند النزاع و المتوفى عند التشيع و التكفين و التغسيل و الدفن ، و في أوّل ليلة في القبر و على مدى عالم البرزخ ، تحصل بأجمعها مع الروح الملكوتية لذلك المتوفى ، لذا لا يطلع عليها الآخرون الذين لم تُفتح بصائرهم بعد على الملكوت ، فلا يدركون تلك المكالمات و المحادثات .

يقول المرحوم جمال الحقّ و آية الله العظمى السيّد جمال الدين الكلبايگاني رحمه الله عليه - و هو أحد أساتذتنا في الأخلاق :-

ذهبتُ يوماً إلى وادي السلام لزيارة أهل القبور في النجف الأشرف ، و كان الجوّ حاراً ، فجلستُ بعد أداء فريضة الظهر وسط الوادي تحت سقف ظليل ذي أربع طاقات - و كان المرحوم السيّد جمال الدين كثيراً ما يذهب إلى وادي السلام فيجلس و يتأخّر ، و كنّا نظنّ أنّ له اتّصلاً بالأرواح الطيبة ، و أنّ تبادلًا كان يحصل بينه و بينهم ، قال : ما إن جلستُ و أشعلتُ سيجارتي لأستريح هنيئة ، حتّى شاهدتُ مجموعة من الأرواح و قد جاءوا صوبي و هم على أسوأ حال ، ملابسهم مهترئة و قدرة و ملوثة ، و كانوا يضرعون : أيّها السيّد ، تعال و أغثنا و اشفع لنا ؟ و كانت هذه الأرواح متعلّقة بالقبور

التي كنتُ أجلس بينها، وكانوا بآجمعهم من شيوخ العرب وكبارهم، وكان لهم في دنياهم نخوة و تكبر و جاه و اعتبار، وكانوا يلحّون في توسلهم و ضراعتهم و يلوذون بي .

فرددتُهم جميعاً و قد تكذّر خاطري و قلتُ : يا من جانبتم الإنصاف و العدل ، لقد عشتُم في الدنيا فأكلتم أموال الناس ظلماً و ارتكبتم الجرائم و الجنایات، و سلبتم حقّ الضعيف و اليتيم و كلّ من لا ملجأ له و لا سند؛ و كنّا مهما صرخنا بكم أعرتمونا آذاناً صمّاء . و ها أنتم تأتون و تقولون : اشفع لنا ! فاذهبوا و اعزّبوا عن وجهي !

طردتُهم جميعاً فتفرّقوا طرائق قدداً .

إلا أنّه كان يشفع للبعض بعد تأديبهم في عالم البرزخ ، إن كانوا من أهل الإيمان حقّاً ، و كان عذاب البرزخ لم يُصَفِّهم و يُنَقِّهم بعدُ من التبعات . و لقد نقل الكثير من تلامذة المرحوم آية الحق ، آية الله العظمى الحاج الميرزا عليّ القاضي رضوان الله عليه أنّه كان كثيراً ما يذهب إلى وادي السلام في النجف لزيارة أهل القبور ، و كانت زيارته تستغرق ساعتين أو ثلاثاً أو أربع ساعات و كان يجلس في زاويةٍ ما ساكناً ، حتى يملّ تلامذته فيعودون و يقولون في أنفسهم : إنّ للأستاذ عوالمه التي تجعله يجلس ساكناً هكذا لا يملّ و لا يكلّ ! و كان هناك عالمٌ جليل و متّقٍ في طهران ، هو المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ محمّد تقي آلآمليّ رحمة الله عليه ، و كان امرءاً حسناً حقّاً ، و هو من تلامذة الدورة الأولى للمرحوم القاضي في الأخلاق و العرفان .

و قد نُقل عنه أنّه قال : كنتُ أشاهد لمدّة أنّ المرحوم القاضي كان يجلس في وادي السلام ساعتين أو ثلاثاً، و كنتُ أقول في نفسي : على الإنسان أن يزور و يدخل السرور بقراءة الفاتحة على أرواح الموتى ثمّ

ينصرف ، فهناك أعمال أكثر أهمية و ضرورة ينبغي فعلها .
كان هذا الإشكال يعتمل في قلبي ، إلا أنني لم أظهره لأحد ، حتى لأقرب و أخلص رفقاائي من تلامذة الأستاذ .
و مرّت مدة كنتُ أذهب خلالها إلى الأستاذ للإفادة من محضره ، ثم صممتُ على العودة من النجف الأشرف إلى إيران ، إلا أنني كنت متردداً في مدى صلاح هذا السفر ، وكانت هذه النية تعتمل في ذهني أيضاً ، و لم يكن لأحد علمٌ بها . حتى جاءت ليلة ، و كنت أريد النوم . و كان في الغرفة التي كنت فيها رفٌ للكتب إلى الأسفل من قدمي ، يضمّ كتباً علمية و دينية . و بالطبع فقد كانت أقدامي ستتجه عند النوم تجاه تلك الكتب ، فقلتُ في نفسي : هل أنهض و أغير محلّ نومي أم أنّ ذلك ليس ضرورياً ، فالكتب ليست مقابل قدمي تماماً ، و هي أعلى من مستوى قدمي ، فلا يتحقق هتك ، لاحترام الكتب .
و هكذا بقيتُ في ترددي و حديثي مع نفسي ، ثم إنتني اعتبرت أن لا هتك هناك فنمتُ على تلك الحال .
و حلّ الصباح فذهبتُ إلى محضر الأستاذ المرحوم القاضي و سلّمتُ فردّ : عليكم السلام ، ليس في صلاحكم أن تذهبوا إلى إيران ، كما أنّ مدّ الأرجل تجاه الكتب هتك للاحترام .
فقلتُ مأخوذاً دون شعور : من أين عرفتم أيتها السيّد ؟! من أين عرفتم ؟!

قال : عرفته من وادي السلام!

روى المرحوم الكليني في كتاب «الكافي» ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر قال : قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : ما ندرى كيف نصنع بالناس ، إن حدّثنا بما سمعنا من رسولِ الله صلّى الله عليه و آله ضحكوا ، و إن سكّتنا لم يسعنا .

قال : فقال ضمرة بن معيد (سعيد خ ل) : حَدَّثَنَا !
فقال : هَلْ تَدْرُونَ مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللَّهِ إِذَا حُمِلَ عَلَى سَرِيرِهِ ؟
قال : فَقُلْنَا : لَا !

قال : فَإِنَّهُ يَقُولُ لِحَمَلَتِهِ : أَلَا تَسْمَعُونَ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكُمْ عَدُوُّ اللَّهِ
خَذَعَنِي وَ أوردني ثُمَّ لَمْ يُصْـدِرْنِي ، وَ أَشْكُو إِلَيْكُمْ إِخْوَاناً وَ اخْتِئْتُهُمْ
فَخَذَلُونِي ، وَ أَشْكُو إِلَيْكُمْ أَوْلَاداً حَامَيْتُ عَنْهُمْ فَعَذَلُونِي ، وَ أَشْكُو إِلَيْكُمْ
دَاراً أَنْفَقْتُ فِيهَا حَرِيَّتِي فَصَارَ سَكَانُهَا غَيْرِي ، فَارْفُقُوا بِي وَ لَا تَسْتَعْجِلُوا !
قال : فقال ضمرة : يَا أَبَا الْحَسَنِ ! إِنْ كَانَ هَذَا لِيَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ
يُوشِكُ أَنْ يَثْبَعَ عَلَى أَعْنَاقِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَهُ ؟

قال : فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ ضَمْرَةٌ هَذَا مِنْ
حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَخُذْهُ أَخْذَةً أَسْفَ .

قال : فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ مَاتَ ، فَحَضَرَهُ مَوْلَى لَهُ .

قال : فَلَمَّا دُفِنَ أَتَى عَلِيّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَقَالَ
لَهُ : مَنْ أَيْنَ أَتَيْتَ يَا فُلَانُ ؟ قَالَ : مِنْ جَنَازَةِ ضَمْرَةٍ ، فَوَضَعْتُ وَجْهِي عَلَيْهِ
حِينَ سَوَّيَ عَلَيْهِ فَسَمِعْتُ صَوْتَهُ وَآلِهِ أَعْرِفُهُ كَمَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ وَهُوَ حَيٌّ
يَقُولُ : وَيْلَكَ يَا ضَمْرَةُ بْنُ مَعِيدٍ ، الْيَوْمَ خَذَلَكَ كُلُّ خَلِيلٍ وَ صَارَ مَصِيرُكَ إِلَى
الْجَحِيمِ فِيهَا مَسْكُنُكَ وَ بَيْتُكَ وَ الْمَقِيلُ . قَالَ : فَقَالَ عَلِيّ بْنَ الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ . هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَهْزَأُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ .^١

و يروي محمد بن الحسن الصفار في كتاب «بصائر الدرجات»^٢ -

١- «فروع الكافي» ، الطبعة الحجرية ، ج ١ ، ص ٦٤ ؛ والطبعة الحيدريّة ج ٣ ،
ص ٢٣٤ و ٢٣٥ .

٢- كتاب «بصائر الدرجات» موضوعه فقط روايات في فضائل آل محمد والأئمة ؑ

رحلة فاطمة بنت أسد و تشييع رسول الله لها و تكفينه لها بأحد ثيابه المجلس الثالث عشر

و هو من كتب الشيعة النفيسة و من الأصول المعتمدة للمؤلفين ، يستقدم مؤلفة زمناً على الكليني و الصدوق ، و هو من مشايخ الصدوق في الإجازة ، و كان قد أدرك زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام و روى عنه ، و كانت سنة مائتين و تسعين للهجرة - بسنده المتصل عن إبراهيم بن هاشم ، عن علي بن أسباط ، عن بكر بن جناح ، عن رجل آخر ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ، جاء علي إلى النبي صلى الله عليه و آله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله : يا أبا الحسن ما لك ؟

قال : أمي ماتت .

فقال النبي صلى الله عليه و آله : و أمي والله ، ثم بكى و قال : وَا أُمَّاهُ ، ثم قال لعلي عليه السلام : هذا قميصي فكفنها فيه ، و هذا ردائي فكفنها فيه ، فإذا فرغتم فأذنوني . فلما أخرجت صلى الله عليه و آله النبي صلى الله عليه و آله صلاة لم يصل قبلها و لا بعدها على أحدٍ مثلها ، ثم نزل على قبرها فاضطجع فيه ، ثم قال لها : يَا فَاطِمَةُ !

قالت : لَيْتَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ !

فقال : فهل وجدت ما وعد ربك حقاً ؟

قالت : نعم ، فجزاك الله خير جزاء .

و طالت مناجاته في القبر ، فلما خرج قيل : يا رسول الله لقد صنعتَ بها شيئاً في تكفينك إياها ثيابك ، و دخولك في قبرها ، و طول مناجاتك ، و طول صلاتك ، ما رأيناك صنعتُهُ بأحدٍ قبلها !

قال : أمّا تكفيني إياها فإني لما قلتُ لها : يُعرض الناس يوم يُحشرون

عليهم السلام ، و هو كتاب لا نظير له في طريقته ، و يعدّ من جهة اعتباره من الكتب المعروفة والمشهورة .

من قبورهم ، فصاحت و قالت : **وَإِسْأَأَتَاهُ ! فَلَبَسْتُهَا ثِيَابِي وَ سَأَلْتُ اللَّهَ فِي صَلَاتِي عَلَيْهَا أَنْ لَا يُبْلِي أَكْفَانَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ** ، فأجابني إلى ذلك ؛ و أما دخولي في قبرها فإني قلتُ لها يوماً : **إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ وَ انْصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَيْهِ مَلَكَانِ : مُنْكَرٌ وَ نَكِيرٌ يَسْأَلَانِهِ** ، فقالت : **وَاعْوِذُ بِهِ بِاللَّهِ** ، فمأزلتُ أسأل ربِّي في قبرها حَتَّى فُتِحَ لَهَا بَابٌ مِنْ قَبْرِهَا إِلَى الْجَنَّةِ فَصَارَ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ^١.

و قد أورد العلامة المجلسي رضوان الله عليه هذه الرواية في «بحار الأنوار» ، ^٢ كما روى مضمونها مفصلاً عن كتابي «فضائل ابن شاذان» وكتاب «الروضة» و هو كتاب في فضائل أهل البيت عليهم السلام ^٣ . و فاطمة بنت أسد من أعلام النساء المسلمات ، و كان لها محبة زائدة لرسول الله ، و كانت أوّل امرأة تبعت النبي في الهجرة إلى المدينة ، و قد وردت المدينة في غاية المشقة و العسر بينما كان رسول الله لا يزال في مسجد قبا .

و كانت أقدامها قد توزّمت و ملئت جراحات و فقاقيع ، فأمر رسول الله أن تخلد للراحة ، و قدمت عليها نساء المدينة لمعالجة قدميها . و قبر فاطمة بنت أسد في البقيع مقابل قبور الأئمة الأربعة عليهم السلام ، و ينبغي الدعاء و التوسّل عند (قبرها) للمنزلة الرفيعة التي تحظى بها أمّ أمير المؤمنين عند الله سبحانه .

و كان رسول الله يدعو لفاطمة بنت أسد ويستغفر لها ويتصدق عنها كما كان صلّى الله عليه وآله يتصدّق عن خديجة بعد ارتحالها عن دار الدنيا ،

١- «بصائر الدرجات» ، الطبعة الحجرية ، ص ٨١ .

٢- «بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ٢٣٢ ، الطبعة الحيدريّة .

٣- «بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ٢٤١ ، الطبعة الحيدريّة .

وكان يذبح الشاة فيطعمها للفقراء مع أنه صلى الله عليه وآله كان أقلّ عمراً من خديجة بخمس عشرة سنة . وكانت عائشة تعترض عليه أن : لماذا تذكر إلى هذا الحد امرأة من قريش رحلت عن الدنيا و مرّ على وفاتها سنين ، و تهب الذبائح لأجلها ؟

فيقول : أتعلمين أي امرأة كانت ؟ أنتى لي نسيانها ! لقد ساندتني حين تركني الناس ، و آمنت بي حين أشرك الناس ورفضوا دعوتي ، وكانت معي في المشاكل خطوة بعد خطوة !

و في السنة العاشرة من المبعث رحل أبوطالب عليه السلام عن الدنيا في أواخر شهر رجب ، ثم لحقته خديجة بعد ثلاثين يوماً أو خمس و ثلاثين ؛ فغمر الحزنُ النبيّ الأكرم في تلك السنة ، فلم يكن ليخرج من داره . و سُمّي ذلك العام بعام الحزن ، و كان مروره على رسول الله عسيراً شديد الوطأة حقاً . و لم يكن لفاطمة بنت رسول الله من خديجة من العمر آنذاك إلا خمس سنوات ، فترعرعت فاطمة بلا أمّ في أحضان رسول الله . ثم إن رسول الله هاجر إلى المدينة بعد ثلاث سنوات ، ثم ارتحل صلوات الله عليه وآله بعد إقامته في المدينة لعشر سنين ، و لحقته الزهراء عليها السلام . أي أنّ الزهراء عاشت دون أمّ ثلاث عشرة سنة ، و ترعرعت في رعاية النبيّ و عواطفه ، فكانت روحها روح رسول الله ، و سرّها سرّ رسول الله ؛ و كان الملكوت مشهوداً لديها ، فكانت تتكلّم مع الموتى ، كما كانت الملائكة تحدّثها ، فدُعيت لذلك بـ (المحدّثة) . و كانت تبين لأبيها من أخبار الغيب أحياناً ، كما صارت تبين لأمير المؤمنين من تلك الأخبار . و لقد رحل رسول الله صلى الله عليه وآله و فاطمة عليها السلام عالمة حقّ العلم كيف يريد هؤلاء القوم الفاسدون قلب أساس الإسلام و زعزعة أصوله المسلّمة متلبّسين بلباس اتباع الحقّ .

كانت فاطمة بنت رسول الله ترزح بين ضغطى الباطن و الظاهر ، ثم رحلت بعد مدة يسيرة فكفنت و دُفنت ليلاً حسب وصيتها فلم يُعلم أحد من الناس لمراسم التجهيز و الصلاة و الدفن .

و فى دجنة الليل البهيم كان سبعة نفر فقط هم الذين صلّوا على فاطمة ! و كما يروي الشيخ الكشي عن جبرائيل بن أحمد الفاريابي ، عن حسين بن خرّاذ ، عن ابن فضال ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن زرارة ، عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال :

صَافَتْ الْأَرْضُ سَبْعَةَ بِهِمْ تُرْزَقُونَ وَ بِهِمْ تُنْصَرُونَ وَ بِهِمْ تُمَطَّرُونَ ، مِنْهُمْ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَالْمِقْدَادُ وَ أَبُو ذَرٍّ وَ عَمَّارٌ وَ حُذَيْفَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَ كَانَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : وَأَنَا إِمَامُهُمْ وَ هُمُ الَّذِينَ صَلُّوا عَلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ^١.

و قد نقل الشيخ الحرّ العاملي هذه الرواية فى رسالته باسم «معرفة الصحابة» و كذلك يروي الشيخ المفيد بسنده أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال :

خُلِقَتِ الْأَرْضُ لِسَبْعَةٍ بِهِمْ تُرْزَقُونَ ... إلى آخر الرواية المذكورة^٢ ؛ إلا أنّ الشيخ الصدوق ينقل هذه الرواية فى «الخصال» ، ص ٣٦٠ و ٣٦١ بهذه الكيفيّة :

حدّثنا محمد بن عمير البغداديّ الحافظ قال : حدّثني أحمد بن الحسن بن عبد الكريم أبو عبد الله قال : حدّثني عتاب يعني ابن صهيب قال : حدّثنا عيسى بن عبد الله العامريّ قال : حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن

١- «رجال الكشي» طبع بمبئي ، ص ٤ ، ضمن ترجمة سلمان الفارسيّ .

٢- «الاختصاص» ، ص ٥ .

الأخبار الغيبية لفاطمة الزهراء سلام الله عليها ، و الذين صلّوا عليها المجلس الثالث عشر

عليّ عليه السلام قال : خُلقت الأرض لسبعة بهم يُرزقون و بهم يُمطرون و بهم يُنصرون :

أبوذر ، و سلمان ، و المقداد ، و عمار ، و حذيفة ، و عبدالله بن مسعود . قال عليّ عليه السلام : و أنا إمامهم و هم الذين شهدوا الصّلاة على فاطمة عليها السلام .

لقد كان لفاطمة عليها السلام ذلك القدر من الحزن الطافح ، إلّا أنّها لم تُشرك معها به أحداً و لم تبيح به لأحد .

و حين وضعها أمير المؤمنين عليه السلام في قبرها و أهال عليها التراب ، شرع يبث همّه و شجوه إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَ عَنِ آبَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جَوَارِكَ
وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ ؛ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي وَ رَقِّي عَنْهَا
تَجَلْدِي إِلَّا أَنْ لِي فِي النَّأْسِي بَعْظِيمٍ فُرْقَتِكَ وَ فَادِحٍ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ .
إلى أن يقول :

وَ سَتَبَيْتُكَ آبَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا فَأَخْفِهَا السُّؤَالَ
وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ ، هَذَا وَ لَمْ يَطَّلِ الْعَهْدُ وَ لَمْ يَحُلْ مِنْكَ الذِّكْرُ وَالسَّلَامُ
عَلَيْكُمَا سَلَامَ مَوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَ لَا سَمٍّ فَإِنْ أَنْصَرِفَ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ وَ إِنْ أَقِمَ فَلَا
عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ^١ .

١- «نهج البلاغة» عبدة ، طبع مصر ، باب الخطب ج ١ ، ص ٤١٧ .

الجلس الرابع عشر

تجلى الإنسان وأعماله في عالم البرزخ

في صورتها الملائكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلَّى الله على محمد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ
الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ١.

لقد ذكر سابقاً أنَّ الإنسان حين يرحل عن الدنيا فإنَّ عالمه ونشأته
سيَتبدَّلان ، فهذا العالم عالمٌ تمتزج فيه السعادةُ والشقاء ، والحقُّ والباطل ،
والصدق والكذب ، والخلوص والتلوُّث ؛ أمَّا ذلك العالم فعالمُ الصدق
المحض والحقيقة والواقعية المحضة .

وإذا ما حصل هنا أحياناً تدليس وتلبيس في هذا العالم ، فإنه لن
يكون ممكناً هناك ، إذ ستظهر حقيقة الأشياء هناك كما هي ، فلا يمكن

١- الآيات ٢٤ إلى ٢٧ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

لأحد أن يقدم نفسه أو يُجلىها بغير ما هي عليه .
إن ذوات و ملكات الإنسان و أخلاقه و أعماله التي سار عليها في الدنيا ستتجلى و تتمثل هناك في صورتها و هيئتها الواقعية ، فلا يكون هناك اختلاف بين الظاهر و الباطن ، لكأنّ البواطن و الخفيا صارت جميعها ظاهرة لا باطن لها ، أو كأنّها بواطن لا ظاهر لها ، أي أنّها حقيقة واحدة لا غير .

كما أنّ سبيل سعادة أيّ إنسان أو شقائه في هذه الدنيا إلى حين موته ليس مشخصاً أو محدّداً ، ولكن بمجرد موت الإنسان فإنّ سبيله و طريقه سيصبح مباشراً إمّا إلى الجنة أو إلى النار ، إمّا إلى السعادة أو إلى الشقاء .

إنّ الموجودات التي سيشهدها الإنسان في ذلك العالم ستتجلى له في صورها الواقعية ، و هكذا فإنّ الأعمال التي قام بها الإنسان ستتجلى له في صورها الواقعية الملكوتية البرزخية ، كما أنّ الملكات التي اكتسبها في الدنيا و الأخلاق التي تحلّى بها ستكون مشهودة له هناك في صورة واقعية ملكوتية . يُضاف إلى ذلك أنّ أفراد الإنسان أنفسهم سيتمثلون و يتشكّلون في صورهم الواقعية ، و سيخرجون في قوالبهم الصورية المثالية .

و قد علمنا من الروايات التي ذكرت في العديد من المجالس الأخيرة في شأن أعمال الإنسان التي تتجسّم له في عالم البرزخ ، بما فيها أعماله الحسنة أو الخبيثة ؛ إنّ صورة جميلة ذات قوام فاتن و حديث جذاب ستتجسّم له - مثلاً - فيقول لها الإنسان : من أنت ؟ فإني لم أرَ من قبل صورة أجمل منك و لا أطيب رائحةً و لا أحسن لباساً ؟

فتجيبه : أنا عمك الصالح الذي قمتَ به في الدنيا ، فأنا معك إلى يوم

الجزاء !

و قد تتجسّم له صورة قبيحة كريهة و مُنفرة تبعث على الاشمئزاز

و التقزز و الضجر بسبب قبحها و رائحتها الكريهة ، فيقول لها الإنسان : من أنت ؟ فإنتي لم أشاهد من قبل صورةً بهذا القبح و الكراهة و النفور ، و لم أشم من قبل كمثل رائحة عفونتك ؟

فتجيبه : أنا عمك القبيح الكريه الذي قمتَ به في الدنيا ، فأنا معك إلى يوم القيامة !

إن الإنسان يمكنه في هذه الدنيا أن يدرك أن الأعمال التي تصدر منه لها وجهان : الأول الوجه الظاهر ، و هو متن العمل و جسده و هيكله ، و الثاني : الوجه الباطن ، و هو روح العمل ؛ أي الاختيار و الخلوص و النية الطاهرة و التقرب إلى الرب المتعال ، أو - لا سامح الله - السُمة و الرياء و حب الظهور و التظاهر الخاطي و التعدي ؛ تلك النيات التي يقوم الإنسان بعمله على أساسها .

فيمكن للإنسان أن يصلي في هذه الدنيا ، إلا أنه قد يصلي لربه ، كما أنه قد يصلي حباً للظهور ، و يمكن أن يقوم بذلك بنيتين مختلفتين ؛ لذا فإن روح الصلاة ستكون مزدوجة بينما يبقى هيكل الصلاة ، أي العمل الظاهري واحداً .

على أنه ليس لأحد غير عالم الغيب علمٌ بروح الأعمال و باطنها ، فقد يمكن أن يصلي الإنسان فلا يدرك رفيقه الذي يقف إلى جواره هل أدى هذه الصلاة خالصاً لوجه الله الكريم ، أو أقامها لباعثٍ وداع آخر . و قد يصوم أو يزكي أو يُقيم جسراً أو يبني مسجداً أو ينشر كتاباً ، تلك الأعمال التي تستلقت الأنظار بظاهرها ، إلا أن أحداً لا يعلم بباطنها ، فقد يكون فعل هذه الأعمال من أجل رضا الله سبحانه ، و قد يكون أنجزها حباً للجاه و الشهرة .

لقد كان ظاهر العمل جيداً و جميلاً ، إلا أن له باطنين مختلفين

و متعارضين ، فإن كان قد فعله لله تعالى و في سبيله ، فإنه سيكون عملاً مؤدياً إلى التقرب و ذا باطن حسن و محبوب ، و سيجعل ذلك الباطن الحسن الممدوح روحه خفيفةً مُبتهجةً ، و سيبعث الراحة في نفسه و سيرفع الحجب الظلمانية والنورانية عنه ، فيوصله شيئاً فشيئاً إلى حريم أمن الله و أمانه .

أما إذا كان قد قام به لغير وجه الله تعالى ، فإن باطن هذا العمل سيكون فاسداً و مهلكاً ؛ و بدلاً من أن يسوقه إلى الجنة فإنه سيدنيه إلى جهنم ، لأتته رياء و الرياء حرام ، الرياء عبادة أصنام و عبادة إنسان و شرك بالله ، و سيبعث هذا العمل الخمول في روحه و الملل و التعب في نفسه ، و سيحد من قدرته على التحليق في فضاء عالم القدس ، و يُبعده شيئاً فشيئاً عن حريم القرب ، ثم يجزّه في النتيجة إلى مظهر عالم البعد : (جهنم) .

و بنفس الدرجة التي يحس بها الإنسان في هذه الدنيا بالملل و الوهن و الضجر من العمل القبيح ، و بالبهجة و اللذة من العمل الحسن المقبول ؛ فكذلك الأمر في عالم البرزخ ، حيث يزداد ظهور المخفيات و انكشاف السرائر ، و حيث يسقط قالب المادة فتظهر الصور البرزخية للأعمال التي قام بها الإنسان تبعاً إلى روحها الملكوتية ، و حيث يتجلى للإنسان كل عمل بما يتناسب و ذلك العالم ؛ فسيكون أثر بواطن الأعمال أكثر بالآف المرات و سيجد الإنسان هذه الآثار القوية و هي تُمسك بتلابيبه . و لذلك فإننا إذا ما أغضينا عن ظاهر الذنب و هيكل العمل ، فإن باطن و روح الكذب و الزنا و الغش في المعاملة و الغضب و الشهوة في غير موضعها ، و البخل و الحسد و الحقد و العبودية لغير الحق ستعلن وجودها بحقائقها و واقعياتها . كما أن الأعمال الصالحة من الصلاة و الزكاة و إعانة الفقراء و التواضع للحق و العزة و الشرف و الحياء و العصمة و العبودية للمعبود المطلق ستكون -

هي الأخرى - موجودة بواقعياتها و حقائقها .

لكأنّ العالم يتبدّل و هيكله يتقوّض ، و كأنّ تلك الأعمدة و الأسس التي شُيّدَ عليها ذلك العالم أعمدة عجيبة غير الأعمدة و الأسس التي شُيّدَ عليها هذا العالم ، و كأنّ فضاء ذلك العالم فضاء آخر غير هذا الفضاء .

إنّ الأفراد الذين يعيشون في هذه الدنيا هم جميعاً في هيئة إنسانية ، إلّا أنّ أخلاقهم تتباين و تختلف مع بعضها ، و قد أدّى ذلك الاختلاف في الأخلاق و الملكات ، و التفاوت في الغرائز إلى اختلاف في الأشكال و الصور . و هذه المسألة من أدقّ مسائل العلوم الإلهية و كيفية نزول الوحدة في عالم الكثرة . بحيث أننا لو فرضنا أنّ العلوم الماديّة ستترقى بحيث يمكنها كشف علاقات المادّة مع المعنى ، فإنّه سيُمكن في تلك الحال ، من ملاحظة الأشكال المختلفة للأنبياء و الأئمّة و أولياء الله ، الوقوف على حقيقة مقام بواطنهم ، و سيمكن من الأشكال و السيماء و الملامح المختلفة لكلّ فرد من الأفراد ، الوقوف على غرائزه و ملكاته و أخلاقه . حيث أنّ هذا المعنى ثابت للأنبياء و الأئمّة و أولياء الله الذين يتعرّفون على أخلاقيّات و ملكات أيّ فرد من ملاحظته و مشاهدته مرّة واحدة ، و يمكن القول حقّاً إنّ هذه معجزة للقرآن الكريم حيث يقول :

وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ .^١

كما أنّ اختلاف أشكال الحيوانات و صورها مبنيّ - هو الآخر - على اختلاف غرائزها و ملكاتها و صفاتها ، فأحدها على هيئة القطّة ، و الآخر بشكل الكلب ، و آخر بصورة الشعلب ، و آخر بشكل الذئب ، و آخر بشكل الأسد ، و آخر على هيئة الفيل ، و هكذا سائر أصناف الحيوانات من

١- الآية ١٠٥ ، من السورة ٩ : التوبة .

الوحوش و الزواحف و الحشرات و الطيور في السماء و الأسماك في البحار ، حتى الذبابة و البعوضة و أمثالها .

و هذا الاختلاف ناشئ من اختلاف كمية و كيفية غرائزها و صفاتها ، فقد أدى اختلاف و كيفية نظامها و هيكلها الروحي و الملكوتي إلى اختلاف كيفية صورها و أشكالها و اختلاف الكمية و الكيفية في بدنها المادي و جسمها الطبيعي ، بحيث تشكّل البدن الطبيعي لكل حيوان ؛ و الذي له نوع من الاتحاد مع نفس ذلك الحيوان ؛ بالشكل النازل لنفس ذلك الحيوان .

فإذا ما ارتقينا بسلم المعرفة من بدن حيوان ما ، فإننا سنصل إلى نفسه الملكوتية فنلاحظ و نشاهد تلك النفس كما هو حقّه ، كما أننا لو أُرينا النفس الملكوتية لحيوان ما لم يسبق لنا مشاهدة شكله الظاهري و بدنه الجسماني و الطبيعي ، لاستعنا - عند وجود قوّة المعرفة - أن نرسم و نصف الشكل الظاهري لذلك الحيوان كما هو حقّه .

و لربّما كانت أشعار القصيدة المعروفة للفيلسوف و العارف الجليل المرحوم الميرفندرسك تفيد معنىً عاماً يشمل هذه المسألة مورد البحث حيث يقول :

چرخ با این اختران نغز و خوش و زیباستی

صورتی در زیر دارد آنچه در بالاستی

صورت زیرین اگر بر نردبان معرفت

بر رود بالا همان با أصل خود یکتاستی

این سخن را در نیابد هیچ و هم ظاهری

گر أبونصرستی و گر بوعلی سیناستی

چنان اگر نه عارض استی زیر این چرخ کبود

این بدنها نیز دائم زنده و برپاستی

مقطع من القصيدة المشهورة للميرفندرسكي في اتحاد العالم العلوي و السفلي المجلس الرابع عشر

هر چه عارض باشد او را جوهری باید نخست
عقل بر این دعوی ما شاهد گویاستی

.....

هر که فانی شد به او یابد حیاتی جاودان
ور به خود افتاد کارش بی شك از موتاستی
این گهر در رمز دانایان پیشین سفته‌اند
پی برد بر رمزها هر کسی که او داناستی
زین سخن بگذر که این مهجور اهل عالم است
راستی پیدا کن و این راه رو گر راستی
هر چه بیرونست از ذات نیاید سودمند
خویش را کن ساز اگر امروز اگر فرداستی

.....

نفس را چون بندها بگسیخت یابد نام عقل
چون به بی بندی رسد بند دگر برجاستی
گفت دانا نفس ما را بعد ما حشر است و نشر
هر عمل کامروز کرد او را جزا فرداستی
گفت دانا نفس ما را بعد ما باشد وجود
در جزا و در عمل آزاد و بی همتاستی
گفت دانا نفس را آغاز و انجامی بود
گفت دانا نفس بی انجام و بی مبداستی

.....

نفس را این آرزو در بند دارد در جهان
تا ببند آرزوئی بسند اندر پاستی

خواهشی اندر جهان هر خواهشی را در پی است
خواهشی باید که بعد از وی نباشد خواستی^١

١- يقول : «إِنَّ هَذَا الْفَلَكَ بهذه النجوم الجميلة الرائعة له صورة و نفس مستورة تكمن خلف ظاهره .

و إذا ما ارتقت تلك الصورة السفلى بسلم المعرفة فإنّها ستكون واحدة مع أصلها .
و هذا الكلام لا يرقى إليه أيّ وهم ظاهريّ ، سواء كان من أبي نصر [الفارابي] أو أبي علي بن سينا .

إنّ الروح لو لم تكن عارضاً تحت هذا الفلك الأزرق ، لكانت الأبدان حيّة قائمة دوماً .
لذا فإنّ كلّ عارض يجب أن يسبق بجوهر ينتهي إليه ، و العقل على مدّعاها شاهد ناطق .

.....

كُلُّ مَنْ قَتَى فِيهِ [في الله] وجد حياةً خالدة ، أمّا من تهاوى في نفسه و داخله فمن الموتى بلا شبهة .

و لقد صاغ العلماء القدامى هذه الجوهرة في صياغة رمزية و سيصل إلى سرّها من كان عالماً .

و دُع عنك هذا الكلام الذي هجره أهل العالم ، و جد الحقيقة و اسلك هذا الدرب إن كنت صادقاً .

إِنَّ كُلَّ مَا تَعْدَى ذَاتَكَ لَنْ يَنْفَعَكَ شَيْئاً ، فأصلح نفسك إِنَّ الْيَوْمَ أَوْ غداً .

.....

إِنَّ النَّفْسَ حِينَ تَكْسِرُ الْقِيُودَ سَتُسَمَّى بالعقل ، و حيث تتحرّر من القيود فسيبقى هناك قيد آخر .

قال العالم : إِنَّ نفوسنا ستذهب بعدنا للحشر و النشر ، و إِنَّ ما عملته النفس اليوم سيكون جزاءها غداً

قال العالم* : إِنَّ نفوسنا ستوجد و تبقى من بعدنا ، و ستكون طليقة في الجزاء و في العمل و بلا ندّ .

قال العالم : إِنَّ النفس لها مبدأ و منتهى ، و قال العالم : إِنَّ النفس لا أوّل لها و لا آخر .

.....

إِنَّ هذا الأمل يقيّد النفس في هذا العالم ، و مادامت على قيد الأمل فرجلك مقيدة ➞

إنَّ القِطَّةَ التي تلاحظونها بهذا الشكل و الهيئة ، صارت كذلك بسبب امتلاكها صورة ملكوتية خاصة . بحيث أننا لو أردنا أن نلبس تلك الصورة الملكوتية بلباس المادة لما كانت شيئاً غير شكل القِطَّة و هيئتها هذه . كما أنَّ الصورة الملكوتية للكلب هي الافتراس و الغضب و الوفاء ، مضافاً إليها احترام الغني و عَضُّ الفقير ؛ لذا فإنَّ لباسه الماديّ و الجسميّ الطبيعيّ بهذا الشكل و الهيئة . لأنَّ الدبَّ قد أهبط من ذلك العالم فإنته صار في هيئة و صورة كهذه التي يمتلكها .

وانظروا إلى الشاة ، و تطلّعوها في عيني هذا الحيوان ، فإنتهما سيحكيان عالماً من سلامة نفسه و سريره ، لذا فإنَّ أكل لحمه جائز في الإسلام . أمّا الخنزير ، الحيوان الذي يتبع الشهوات بلا عَقَّة و لا عصمة ، فإنَّ صورته الروحانية هكذا ؛ و لأنَّ تناول لحمه سيسبب انتقال تلك الملكات و الأخلاق إلى الشخص الآكل ، فقد حُرِّم الاستفادة و الأكل من لحمه في الشريعة الإسلامية .

و على أساس هذا المعيار و المناط ، فإنَّ المحرّمات في الإسلام لا يمكن عدّها منوطة فقط بالأشياء التي تسبب ضرراً جسميّاً ، فالضرر الروحيّ و انتقال الخصائص المعنوية للمأكل إلى الآكل أعلى من الضرر الجسميّ و أبعد أثراً .

إنَّ الجواد يتمتع بالصفاء و الوفاء و روحياً ، كما أنّه نجيب في ذاته ، و قد تشكّل في هذا الشكل و الهيئة ؛ فانظروا إلى عينيّه فإنّكم ستجدون فيهما عالماً من المعاني السكينة و الصبر و التحمّل . أمّا الحرباء و الضبّ الذي قد

« و كلّ طلب في العالم سيعقبه طلب آخر ، و ينبغي أن يكون هناك طلب ليس بعده من طلب ! »

* يُشير بقوله (قال العالم) إلى آراء مختلفة طرحها بعض العلماء . (م)

تكونوا شاهدتموه في الصحارى ، فإنّ الحقد و الحسد و البغضاء تبدو جلّية في عينيه ، و ذلك العناد الذي يُلاحظ فيه مشهودٌ في عينيه بشكل كامل .
أما الإنسان فمعجون بديع أُودع فيه جميع هذه الغرائز و الصفات ، فإذا تبع العقل و قهر جميع غرائزه و ملكاته و طوّعها لهذه الملكة القدسية ، فإنه سيتصوّر في عالم البرزخ بصورة الإنسان الحقيقية .

أما إذا قهر عقله و نكّبه و تبع ميوله و رغباته النفسانية ، و إذا ما اقتفى أثر غضبه و شهوته و قواه الوهميّة ، فإنه سيُحشر على هيئة الحيوان الذي كانت تلك الصفة فصلاً مميّزاً له . و ذلك لأنّ إنسانية الإنسان بالعقل و القوّة الناطقة ، و الفصل المميّز للإنسان تلك الملكة الإلهيّة العاقلة ، و ما لم يصل الإنسان بنفسه إلى هذا المقام ، و ما لم يصل بنفسه إلى مقامه الواقعيّ ، أي الإنسانية ، فإنه سيقف - شئت أم أبيت - في صفّ و رتبة أوطأ من الإنسان ، أي في صفّ الشياطين أو الحيوانات ، و سيحرز وجوده في عالم البرزخ في الصوّة البرزخية لذلك الشيطان أو ذلك الحيوان .

روى محمّد بن الحسن الصّفّار في كتاب «بصائر الدرجات» عن محمّد ابن الحسين ، عن عبد الله بن جبلة ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال :
حججتُ مع أبي عبد الله عليه السلام ، فلما كنّا في الطواف قلتُ له :
جُعِلْتُ فداك يا ابن رسول الله يَغْفِرُ اللَّهُ لِهَذَا الْخَلْقِ ؟

فقال : يا أبا بصير إنّ أكثر مَنْ ترى قرده و خنازير .

قال : قلتُ له : أرينهم .

قال : فتكلّم بكلمات ثمّ أمرّ يده على بصري فرأيتهم قردهً و خنازير فها لني ذلك ، ثمّ أمرّ يده على بصري فرأيتهم كما كانوا في المرّة الأولى .
ثمّ قال : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَنْتُمْ فِي الْجَنَّةِ تُحَبَّرُونَ وَ بَيْنَ أَطْبَاقِ النَّارِ تُطَلَّبُونَ فَلَا تُوجَدُونَ ، وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ فِي النَّارِ مِنْكُمْ ثَلَاثَةٌ لَا وَاللَّهِ

وَلَا إِثْنَانِ وَلَا وَاللَّهِ وَلَا وَاحِدٌ. ١ و ٢

نقل أحد أصدقائنا - وكان ذا ضمير صاف - أنّ شخصاً من أهل المراقبة و التفكير كان جالساً في زاوية من صحن الإمام الرضا عليه السلام غارقاً في بحر من التفكير و التأمل ، فانتابته فجأة حالة فشاهد الصور الملكوتية للأفراد الذين كانوا في الصحن المطهر فرأى عجباً ! كانت صوراً مختلفة قبيحة تبعث على الأذى ، صوراً لبعض أنواع الحيوانات ، وكان بعضها صوراً تحكي عن تركيب من عدد من الحيوانات ؛

١- «بصائر الدرجات» ، الطبعة الحجرية ، ص ٧٥ ؛ و «بحار الأنوار» ، الطبع الكمباني ، أحوال الإمام الصادق عليه السلام ، المجلّد الحادي عشر ، ص ١٢٦ ؛ و في الطبعة الحروفية ج ٤٧ ، ص ٧٩ ، نقلاً عن «بصائر الدرجات» .

٢- و قد أورد ابن شهر آشوب نظير هذه الواقعة عن أبي بصير و الإمام محمّد الباقر عليه السلام في «المناقب» ، الطبعة الحجرية ، المجلّد الثاني ، ص ٢٧٦ :

قال أبو بصير للباقر عليه السلام : ما أكثر الحجيج وأعظم الضجيج ؟ فقال : بل ما أكثر الضجيج و أقلّ الحجيج ؟ أتحبّ أن تعلم صدق ما أقوله و تراه عياناً ؟

فمسح على عينيه و دعا بدعوات فعاد بصيراً فقال : انظر يا أبا بصير إلى الحجيج ! قال : فتنظرت فإذا أكثر الناس قرده و خنازير و المؤمن بينهم كالكوكب اللامع في الظلماء .

فقال أبو بصير : صدقت يا مولاي ما أقلّ الحجيج و أكثر الضجيج . ثمّ دعا بدعوات فعاد ضريراً .

فقال أبو بصير في ذلك ، فقال عليه السلام : ما بخلنا عليك يا أبا بصير و إن كان الله تعالى ما ظلمك إنّما خارك و خشينا فتنة الناس بنا و أن يجعلوا فضل الله علينا و يجعلونا أرباباً من دون الله و نحن له عبيد لا نستكبر عن عبادته و لا نسأمن من طاعته و نحن له مسلمون .

و قد نقل المجلسي هذه الرواية في «بحار الأنوار» ، ج ٤٦ ص ٢٦١ من الطبعة الحروفية عن «المناقب» .

وكان يتفحص الناس ملياً فلا يجد بين هذا الجمع ملامح إنسان ، اللهم إلا لحلاق كان جالساً في زاوية من الصحن وقد فتح حقيبته و انشغل بحلاقة شعر رأس شخص ما ، فقد شاهد أنه كان لوحده في صورة الإنسان و هيئته . فعجل له من بين الجمع ، وكان يجلس في الصحن قريباً منه ، فسلم عليه و قال : ما الأمر أيها السيّد ؟ ضحك الحلاق و قال : لا تعجب أيّها السيّد ، خُذ المرأة وانظر إلى نفسك ! فنظر إلى نفسه في المرأة ، و شاهد أنّ وجهه - هو الآخر - في هيئة حيوان ، فرمى بالمرأة إلى الأرض في غضب .

قال الحلاق : اذهب أيّها السيّد و أصلح نفسك ، فالمرأة لا ذنب لها !
روى فخر الشيعة في علم التفسير و الحديث : عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره الشريف في أوّل سورة الإسراء في مقام بيان كيفية المعراج ، مسلسلاً و بسند صحيح عن أبيه إبراهيم^١ بن هاشم ، عن محمّد بن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، رواية مفصّلة في حدود عشرة صفحات تشتمل على مطالب عالية و تعليميّة ، و تأتي هنا بعدة فقرات منها لمناسبتها لبحثنا .^٢

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله : ... ثم مضيتُ فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب و لحم خبيث يأكلون الخبيث و يدعون الطيب ، فقلتُ : من هؤلاء يا جبرئيل ؟

١- كان السابقون يعدّون الروايات التي تنتهي إلى إبراهيم بن هاشم حسنة كالصحيحة ، و كانوا يعلّون ذلك بأنّ القميين لم يؤثّقوه ، إلّا أنّ المتأخّرين أثبتوا وثاقته و صحّة روايته بالشواهد و الأدلّة ؛ و يراجع لهذا المطلب «قصص العلماء» للتكنابنيّ ، أحوال الشيخ البهائيّ ، ص ١٧٧ من الطبعة الحجرية .

٢- أورد المصنّف ترجمةً لبعض فقرات الرواية ، و قد عمدنا إلى المجيء بنصّ فقرات الرواية .(م)

فقال : هؤلاء الذين يأكلون الحرام و يدعون الحلال و هم من أمتك يا محمّد ...

ثمّ مضيتُ فإذا أنا بقومٍ لهم مشافر كمشافر الإبل يُقرض اللحم من جنوبهم و يُلقى في أفواههم ، فقلتُ : من هؤلاء يا جبرئيل ؟
فقال : هؤلاء الهمازون اللمازون .

ثمّ مضيتُ فإذا أنا بقوم تُرضخ رؤوسهم بالصّخور ، فقلتُ : من هؤلاء يا جبرئيل ؟

فقال : هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء .
ثمّ مضيتُ فإذا أنا بأقوام تُقذف النارُ في أفواههم و تخرج من أدبارهم ، فقلتُ : من هؤلاء يا جبرئيل ؟
فقال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً .

ثمّ مضيتُ فإذا أنا بأقوام يريدُ أحدهم أن يقوم فلا يقدرُ من عظم بطنه ، فقلتُ : من هؤلاء يا جبرئيل ؟

قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا ، لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ فإذا هم مثل آل فرعون يُعرضون على النار غدوّاً و عشياً يقولون : ربّنا متى تقوم الساعة .

قال : ثمّ مضيتُ فإذا أنا بنسوانٍ معلّقات بثديهنّ . فقلتُ : من هؤلاء يا جبرئيل ؟

فقال : هؤلاء اللواتي يورثن أموال أزواجهنّ أولادَ غيرهم ^١ .
و قد وردت في القرآن الكريم آيات لها دلالة واضحة على تجسّم

١- «تفسير علي بن إبراهيم» ، الطبعة الحجرية ، ص ٣٧٠ و ٣٧١ .

الأعمال في صورها الملكوتية ، إحداها الآية العاشرة من سورة النساء^١ .
والروايات التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الأئمة
عليهم السلام والعائدة إلى ظهور حقيقة الأعمال وبروزها سواء في عالم
البرزخ أو في عالم القيامة كثيرة وجمّة ، ونكتفي بذكر عدّة روايات قصيرة
منها كنموذج علاوة على ما ذكر سابقاً .

روى الغزالي في «إحياء العلوم» عن رسول الله صلى الله عليه وآله :
إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ - الحديث^٢ .
الْجَنَّةُ قِيَعَانُ وَإِنَّ غِرَاسَهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

ويروي الغزالي أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله :
الْغَضَبُ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ^٣ .

ويروي أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله :
مَنْ شَرِبَ فِي آيَةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَكَأَنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ^٤ .

١- إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ
سَعِيرًا . وقد عبّر في هذه الآية الكريمة عن أكل مال اليتيم ظلماً بأكل النار ، ويقول بتحديد
وحصر : إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا [أو إنما تُفيد الحصر] .

والموضوع الآخر في سورة التوبة ، الآيتان ٣٤ و ٣٥ :

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *
يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ
لِنَفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ .

وكما يلاحظ في هذه الآية الكريمة ، فقد عدّ الذهب والفضة المحميّان اللذان يُكوى
بهما هؤلاء عين تلك الذخائر والكنوز التي كانوا يكتزونها في الدنيا .

٢- «إحياء العلوم» المجلّد ٣ ، ص ٢١٩ .

٣- المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢ .

٤- المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٩ .

الروايات الواردة في ظهور الأعمال في صورها الملكوتية في البرزخ والقيامة المجلس الرابع عشر

و ظاهر العبارة أنها رواية . و يقول في التعليقة : حديثٌ متفقٌ عليه ، عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه و آله ، لكن المصنف لم يصرح بكونه حديثاً في كتاب «المُغْنِي عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي .

و يروي أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه و آله :
إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعَوْا ! قِيلَ : وَ مَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ :
مَجَالِسُ الذُّكْرِ .^١

و روي كذلك عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال لـ (عبادة بن الصّامِت) حين أرسله لجمع الصدقات :

اتَّقِ اللَّهَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، لَا تَجِءْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِكَ لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُورٌ أَوْ شَاةٌ لَهَا تَوَاجٌ !
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ أَهَكَذَا يَكُونُ ؟

قَالَ : نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ .
قَالَ : فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَعْمَلُ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا .^٢

وكان رسول الله يريد إفهام عبادة أن أحداً إذا ما ظلم الناس في أخذ الصدقات فتقاضى منهم أكثر من الحدّ المعيّن ، أو إذا أخذ الصدقة ممن ليس عليه صدقة ، فإن عمله سيكون يوم القيامة على هيئة بغير أو بقرة أو شاة يحملها على رقبتة رغاء أو خوار و تَوَاجٍ^٣ على التوالي .

١- المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠ .

٢- «إحياء العلوم» ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

٣- و يمكن أن يكون المراد بالبغير أو البقرة أو الشاة الضابجة بأصواتها في هذه الرواية الأموال التي يأتي بها الناس إلى الحكّام أو العاملين على الصدقات لاستمالة قلوبهم من أجل أن يُخَفَّفوا عليهم و يتغاضوا عن بعض ما عليهم من الصدقات يشهد على ذلك ➡

وكذلك يروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

رِيحُ الْوَلَدِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ ١.

وأكثر من جميع هذه الروايات وضوحاً وجللاً، رواية يرويها علي بن إبراهيم القمي في مقدّمة تفسيره عن أبيه، عن حمّاد، عن الصادق عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله :

لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا قِيَعَانًا يَقَقَّأُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا مَلَائِكَةً يَبْنُونَ لِنَنَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ لِنَنَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ رُبَّمَا أُمْسَكُوا. فَقُلْتُ لَهُمْ: مَا لَكُمْ رُبَّمَا بَنَيْتُمْ وَ رُبَّمَا أُمْسَكْتُمْ؟ فَقَالُوا: حَتَّى تَجِئَنَا النُّفَقَةُ.

قُلْتُ: وَ مَا نَفَقَتُكُمْ؟ قَالُوا: قَوْلُ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ فَإِذَا قَالَ بَنَيْنَا وَإِذَا أُمْسَكَ أُمْسَكْنَا ٣. كما أنّ اغتيااب المؤمن كأكل لحمه ميتاً ٤.

«الرواية التي وردت في «إحياء العلوم»: روى أبوحميد الساعدي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث والياً على صدقات الأزد، فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عليه [وآله] أمسك بعض ما معه وقال: هذا لكم وهذا لي هديّة. فقال عليه السلام: ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتّى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً؟ ثم قال: مالي أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لي هديّة، ألا جلس في بيت أمّه ليهدي له! والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم أحداً شيئاً بغير حقّه إلا أتى الله يحمله. فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببيعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة بغير. ثم رفع يديه حتّى رأيت بياض أبطينه ثم قال: اللهم هل بلغت؟

١- «إحياء العلوم»، ج ٢، ص ١٩٤.

٢- البيهقي: البيضاء الناصعة البياض.

٣- «تفسير علي بن إبراهيم»، الطبعة الحجرية، ص ٢٠.

٤- هناك رواية في تفسير آية سورة النبأ: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً» عن البراء بن عازب تقول: كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله

وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ^١.

و لنا تي الآن إلى تفسير الآية التي عنوانها في مطلع البحث :
الَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ

و سلم فسأل معاذ رسول الله عن آية «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا» و عن باقي الآيات ، فأجابه رسول الله : يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر . ثم أرسل عينيه ثم قال : تحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميّزهم الله تعالى من المسلمين و بدل صورهم ، فبعضهم على صورة القردة ، و بعضهم على صورة الخنازير ، و بعضهم منكسّون أرجلهم من فوق و وجوههم من تحت ثمّ يُسحبون عليها ، و بعضهم عمي يتردّدون ، و بعضهم بُكْم لا يعقلون ، و بعضهم يمضغون ألسنتهم يسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقدّرهم أهل الجمع ، و بعضهم مقطّعة أيديهم و أرجلهم ، و بعضهم مصلّبون على جذوع من نار ، و بعضهم أشدّ تنناً من الجيف ، و بعضهم يلبسون جباً سابعة من قطران لازقة بجلودهم ؛ فأما الذين على صورة القردة فالفتّات من الناس ، و أمّا الذين على صورة الخنازير فأهل السُّحت ، و أمّا المنكّسون على رؤوسهم فأكلة الرُّبا ، و العمي : الجائرون في الحكم ، و الصمّ البكم : المعجبون بأعمالهم ، و الذين يؤذون الجيران ، و المصلّبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان ، و الذين هم أشدّ تنناً من الجيف فالذين يتمتّعون بالشهوات و اللذات و يمنعون حقّ الله في أموالهم ، و الذين يلبسون الجباب فأهل التجبّر و الخيلاء .

و قد جرى في هذه الرواية الشريفة بيان خصائص الصور الملوكيّة لأهل الكبائر ، و خاصّة أولئك الذين يحضرون في المحشر على هيئة القردة و الخنازير .

و قد أورد غالبية المفسرين هذه الرواية في تفسير آية (فتأتون أفواجا) ؛ و من جملتهم الزمخشري في «الكشاف» ج ٢ ، ص ٥١٨ ؛ و الطبرسي في «مجمع البيان» ، ج ٥ ، ص ٤٢٣ ؛ و أبو الفتح الرازي ، طبع مظفري ، ج ٥ ، ص ٤٦٢ ؛ و الإمام الفخر الرازي ، ج ٨ ، ص ٤٢٣ ؛ و ٤٣٤ ؛ و «الدر المنثور» ، ج ٦ ، ص ٣٠٧ ؛ و تفسير «الصافي» ص ٥٥٥ ؛ و تفسير «البرهان» ج ٢ ، ص ١١٦٩ ؛ و تفسير «روح البيان» ، ج ١٠ ، ص ٢٩٩ ؛ و أورده المرحوم المجلسي في «البحار» ، الطبعة الحروفية ، ج ٧ ، ص ٨٩ ، في باب صفة المحشر ، نقلاً عن «مجمع البيان» .
١- الآية ١٢ ، من السورة ٤٩ : الحجرات .

وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ .

فانظر كيف يضرب الله مثل الكلمة الطيبة للروح المنزهة الطاهرة
و لروح المؤمن !

إنّ جميع الموجودات هي كلمة الله ، غاية الأمر أنّها تختلف و تتباين
باختلاف سعة أو ضيق ماهيّة وجودها .

به نزد آنكه جانس در تجلی است

همه عالم كتاب حقّ تعالى است

عَرَضُ إعراب و جوهر چون حروفست

مراتب همچو آیات وقوفست

از و هر عالمی چو سورة خاص

یکی زان فاتحه دیگر چو اخلاص^١

فالموجود الواحد هو كلمة حسنة ، كلمة طيبة ، و كلمة رفيعة ، و هذه
الكلمات هي أسماء و صفات ذی الجلال التي تجلّت في أفراد الإنسان
بحسب سعتهم و ظرفيّتهم المختلفة ، فصار كلّ فرد من أفراد الإنسان مظهر
اسم أو أسماء منه . و مثل المؤمن الطاهر المنزّه المطهر الطيب الذي طوى
مرحلة عالم الإخلاص ، و وضع قدمه في عالم الخلوّص فصار من
المخلصين ، كمثّل الشجرة الطيبة أصلها و جذورها راسخة ضاربة في
الأرض ، إلّا أنّ فرعها و أفنانها مترامية في عنان السماء .

١- يقول : «إنّ العالم بأرجائه عند من نفسه و ذاته في تجلّ و ظهور ، يمثّل كتاباً للحقّ

تعالى .

العَرَضُ فيه كالإعراب ، و الجوهر كحروف الكتاب ؛ كما أنّ المراتب و الدرجات كآيات
الوقوف و علاماته .

كلّ عالم فيه كمثّل سورة معيّنة ، أحدهما كالفاتحة ، و الآخر كالإخلاص .

المؤمن هو الكلمة الطيبة و الشجرة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها المجلس الرابع عشر

تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا .

فالمؤمن الذي وصل درجة الإيقان ، و الذي تجلّت فيه حال الطمأنينة و السكينة ، أصله ثابت و هو الارتباط برّبه ، ذلك لأنّ المؤمن له عهد مع الله ، و عهده هو ارتباطه ، و هو أصالته و جذوره .

أمّا فروعه التي طبّقت آفاق الملّك و الملكوت و التي تؤتي ثمارها كلّ حين ، فتفيض من عالم القدس على هذا العالم ، و تصبح واسطة للخير و الرحمة و البركة ، فتروي فواكهها المعطّرة اللذيذة جميع ذوات الإمكان المستقرّين في درجات الكثرة و تُشبعهم و تُبهِجهم .

إنّ المؤمن سيطوي بقدم راسخة جميع المنازل في جميع مراحل العبور من هذا العالم ، عند سكّرات الموت ، و عند سؤال منكر و نكير و مبشّر و بشير ، و خلال إقامته في عالم البرزخ ، و في الحشر و مواطن القيامة من العرّض و السؤال و الحساب و الميزان و الصراط و الجزاء و تطاير الكتب و غيرها ؛ و سيستقرّ في طمأنينة في مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ^١ . و ما ذلك إلّا لارتباطه بالله سبحانه ، و لأنّ ينبوع قلبه يرتوي من مركز ينبوع العلوم و الأسرار الإلهيّة ، فيهب جميع الموجودات الخير و الرحمة و البركة من ينابيع الحكمة التي يجريها الباري المتّان من قلبه على لسانه .

وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ .

و ليس المؤمن شجرةً في الحقيقة ، بل إنّ الله سبحانه يمثّله بهذه الشجرة الثابتة الأصيلّة المحمّلة بالثمار و الطافحة بالفائدة ، و هذا المثل من أجل أن يدرك الناس مقام عظمة المؤمن الذي حظي بهذا الفوز العظيم إثر

١- الآية ٥٥ ، من السورة ٥٤ : القمر .

الطاعة للأوامر الإلهيّة .
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ .

أمّا مثل الإنسان الكافر المنكر المُعانَد ، الإنسان الظالم المتعدّي المتجاوز ، الذي لم يُحرم لوحده من وجوده فقط ، بل أوجب كذلك محروميّة أبناء نوعه من الماء المعين لنبع الحقيقة الزلال ؛ فهو كالشجرة الخبيثة المنكرة التي اجتثت و اقتُلعت من الأرض ، فجزورها ملقاة على الأرض لا ارتباط لها بأصلها و مبدئها ، و لا مسند لها تستند عليه .
إنّ الرجل الكافر الظالم الذي لا ارتباط له بعالم السرّ و الخفيّات كمثّل هذه الشجرة اليابسة بلا فائدة و بلا ارتباط بمصدر الغذاء و الارتواء .

و هؤلاء هم الأفراد الذين لم يطهروا بواطنهم ، و الذين تتلون أعماقهم بأنواع الرذائل و الصفات القبيحة الذميمة ، و هم المتردّدون المتلونون في الأمور ، المتردّدون في شكّهم و ريبهم بشأن ذات القيوم ، و المتكبرون المغرورون المُعجبون بأنفسهم مقابل أبناء نوعهم ، الشاكّون في الحقائق و الأمور الأصيلة ، و المعتمدون على الأمور الواهية التي لا أساس لها .
و هؤلاء مهمّا كان لهم في دنياهم و أمورهم الاجتماعيّة من شخصيّة و اعتبار و جاه و شوكة و نفوذ كلمة و قدرة ، إلّا أنّهم في عالم الواقع و في ميزان تقييم الحقائق و الواقعيّات تافهون فارغون لا وزن لهم و لا فكر و لا أصالة .

أُتْبَاعُ كُلِّ نَاعٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ^١ .

لأنّهم فصموا جبل ارتباطهم برّبهم ، فلم يلجأوا إلى ركنٍ مكين

١- «نهج البلاغة» ، باب المواعظ و الحكم ، ص ١٧٢ من ج ٢ ، طبعة عبدة ، مصر .

يعتمدون عليه ، و لم تشرق قلوبهم بنور العلم ، فهم - لذلك - سيميلون مع كل ريح حيث مالت .

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ .

إنَّ الله جلَّتْ عظمته يثبت بالقول الثابت أولئك الذين آمنوا ، أي
الذين وجدوا حبل ارتباطهم برَّبهم ، و الذين صار لهم نزوع إلى تلك الذات
المقدَّسة ؛ يثبتهم في الحياة الدنيا و في العليا ، أي دار الجزاء .

و القول الثابت هو الكلمة الطيبة ، و هو الارتباط بالرَّبِّ الودود . فالله
سبحانه يثبت هؤلاء بالقول الثابت في جميع العوالم ؛ في الدنيا ، و في
سكرات الموت ، و في النشآت التي تلي ذلك ؛ كي يطيروا هذا الطريق بقدم
ثابتة و إرادة راسخة و قلب قوي و فكر مُضاء .

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ^١ .

و الكلم الطيب هو الروح الطاهرة المنزهة ترتفع إلى الخالق سبحانه ،
و العمل الصالح هو الذي يرفعها إلى حيث مقام العزَّة ، إلى حيث العزَّة
المطلقة ؛ إذ يقول قبل هذه الجملة :

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً .

على طالب العزَّة أن يعلم أنَّ جميع درجات العزَّة و مراتبها منحصرة
اختصاصاً بالرَّبِّ سبحانه ، إنَّ الكلمة الطيبة في الآية مورد البحث ، و التي
كان لها أصل ثابت و فاكهة و أُكل دائم ، هي الكلم الطيب الذي يرتفع إلى
الله سبحانه فيتصل إلى مقام العزَّة المطلقة ، كما ورد في المناجاة الشعبانية :
إِلَهِي وَالْحَقِّي بِنُورِ عِزِّكَ الْأَبْهَجِ فَأَكُونَنَّ لَكَ عَارِفاً وَ عَنْ سِوَاكَ مُنْحَرِفاً^٢ .

١- الآية ١٠ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

٢- «الإقبال» الطبعة الحجريَّة ، ص ٦٨٧ .

العمل الصالح كالوقود الذي يسبب حركة طائفة الروح إلى فضاء عالم القدس ، العالم الذي فيه حياة بلا موت ، وعزة بلا ذل ، وغنى بلا فقر . و إذن فالقول الثابت الذي ثبت الرب العلي الأعلى المؤمنين به هو النزوع و الارتباط الذي أقره بينهم و بين ذاته المقدسة ، وهو موجب للعمل الصالح ، والعمل الصالح بدوره موجب لحركة الكلمة الطيبة و روح المؤمن الطاهرة إلى عالم القدس ، وهذه الحركة هي حركة الإنسان في صورة إنسان واقعي ؛ والله يعلم كم يبلغ لذة و بهجة و نور و سرور و حبور ، هذا الإنسان الذي يذهب في صورته الإنسانية تلك إلى مضيقه الباري تعالى شأنه . كما أن من آثارها المعية و الرفقة مع الأرواح المقدسة لأولياء الله و الأبرار الأخيار و الصالحين و الشهداء و الأنبياء ، و ستكون حقيقتها التحقق بمقام :

لَا يَسْعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي بَلْ يَسْعُنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ بِي .
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ .

أما الظالمون فإن الله سبحانه لا يهديهم في نهجهم إلى عالم النور و السرور ، بل إن سبيل أولئك وفق رغباتهم و ميولهم النفسية باتجاه الظلمة و الضلال . لأن نفوسهم لا تحكي عن صورة النفس الإنسانية ، فإنه لا سبيل لها إلى مقام الإنسانية بل ينحصر طريقها بذلك العالم الذي وضعت نفسها الهيولائية على صورته ؛ فإن كانت أنفسهم صورة للشيطان فإنها ستتجه إلى عالم الشيطان ، أو كانت صورة للحيوان فإنها ستتجه إلى ذلك العالم ، و سيضيع اسمها و ينطمس و تبطل صفاتها و موجوديتها و فعليتها

١- و قد وردت في رسالة «مرصاد العباد» ، طبع (بنگاه ترجمه و نشر کتاب) ، الصفحات ٢٠٨ و ٢٧٤ و ٦١٣ بهذه العبارة : لا يسعني أرضي و لا سمائي وإنما يسعني قلب عبدي المؤمن .

في مقام الإنسان و في عالم الإنسان .
وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^١ . وفي سورة
آل عمران ، الآية ١١٧ بهذه العبارة : وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ .

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ^٢ .
ثم إنَّ هؤلاء يُخاطبون بأنَّ هذه النتائج السلبية ، وجهنَّ الموقدة ،
و تغيّر الصورة الإنسانية و مسخها إلى صورة إبليس و حيوان كانت مسببة
عن ذلك النهج و الأسلوب القبيح و السلوك اللامرضي الذي قدّمتموه
معكم ، و ليس الله سبحانه بظلام لعباده .

لقد كانت المحادثات التي وردت في كثير من الروايات التي تطرّقت
إلى أمر الحديث مع الأفراد بعد موتهم ؛ سواءً أولئك الذين شاهدتهم الأئمة
الأطهار عليهم السلام بأنفسهم و تحدّثوا معهم ، أو الذين أروهم للآخرين ،
أو الأفراد الآخرون الذين حدث أن شاهدوا الموتى و تحدّثوا معهم أحياناً ؛
بأجمعها محادثات مرتبطة بعالم البرزخ المثال ، وكانت لقاءات
و مصادفات حدثت في مكاشفات صوريتة و مثالية ، وكانوا قد شاهدوا
أولئك الموتى في صور عادية أحياناً ، كما شاهدوهم في صور برزخية
نورانية أو ظلمانية أحياناً أخرى .

روى الشيخ المفيد في «الاختصاص» بسنده المتّصل عن إدريس بن
عبدالله قال : سمعتُ أبا عبدالله [الصادق] عليه السلام يقول : بينا أنا و أبي
متوجّهين إلى مكة و أبي قد تقدّمني إلى موضع يُقال له ضجنان^٣ ، إذ جاء

١- الآية ٣٣ ، من السورة ١٦ : النحل .

٢- الآية ١٨٢ ، من السورة ٣ : آل عمران ؛ و الآية ٥١ ، من السورة ٨ : الأنفال .

٣- ضَجْنَان - بالتحريك - جبل بتهامة . (م)

رجل في عنقه سلسلة يجزّها فأقبل عليّ فقال : اسقني اسقني ، فصاح به أبي : لا تسقه لا سقاه الله .

قال : و في طلبه رجلٌ يتبعه ، ف جذب سلسلته جذبةً طرحه بها في أسفل دركٍ من النار .^١

و قد روى الشيخ المفيد في «الاختصاص» مضمون هذه الرواية بأربع أسناد أخرى عن الإمام محمد الباقر و الإمام جعفر الصادق عليهما السلام ، و يتضح من إحدى هذه الروايات أنّ نظير هذه القضية قد اتفقت للإمام الباقر حين كان ذاهباً مع أبيه زين العابدين عليهما السلام إلى مكة .^٢

و قد روى الشيخ محمد بن الحسن الصفار في «بصائر الدرجات» عن محمد بن عيسى ، عمّن أخبره ، عن عباية بن ربيعة الأسديّ قال : دخلتُ على أمير المؤمنين عليه السلام وعنده رجل رثّ الهيئة و أمير المؤمنين عليه السلام مُقبلٌ عليه بكلمة (يكلمه خ ل) ، فلمّا قام الرجل قلتُ : يا أمير المؤمنين عليه السلام ، من هذا الذي يشغلك عنّا ؟

قال : هذا وصيّ موسى عليه السلام .^٣

و روى الشيخ المفيد في «المجالس» بسنده المتّصل عن قيس غلام أمير المؤمنين عليه السلام قال :

إنّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام كان قريباً من الجبل بصقّين ، فحضرت صلاة المغرب ، فأمعن بعيداً ثمّ أذن ، فلمّا فرغ من أذانه إذا رجل مقبل نحو الجبل ، أبيض الرأس و اللحية والوجه ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته ، مرحباً بوصيّ خاتم النبيّين ، و قائد

١ و ٢ - «الاختصاص» ، الطبعة الرصاصيّة ، ص ٢٧٥ إلى ٢٧٧ ؛ و «بصائر الدرجات»

الطبعة الحجرية ، ص ٨٠ و ٨١ .

٣ - «بصائر الدرجات» الطبعة الحجرية ، ص ٨٠ .

قدوم شمعون وصي موسى إلى صفين في صورته البرزخية المجلس الرابع عشر

الغز المحجلين ، و الأغز الميمون ، و الفاضل الفائز بثواب الصديقين ، و سيّد الوصيين .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ كَيْفَ حَالُكَ؟
فقال : بخير ، أنا منتظر روح القدس ، و لا أعلم أحداً أعظم في الله عز وجل اسمُهُ بلاءً ، و لا أحسن ثواباً منك ، و لا أرفع عند الله مكاناً . أصبر يا أخي على ما أنت فيه حتى تلقى الحبيب ، فقد رأيت أصحابنا ما لا قوا بالأمس من بني إسرائيل ، نشروهم بالمناشير ، و حملوهم على الخشب ، و لو تعلم هذه الوجوه التربة الشايهة - و أوما بيده إلى أهل الشام - ما أُعِدَّ لهم في قتالك من عذاب و سوء نكال لأقصرُوا ، و لو تعلم هذه الوجوه المبيضة - و أوما بيده إلى أهل العراق - ماذا لهم من الثواب في طاعتك لو دَّتْ أَنتَهَا قَرَضَتْ بالمقاريض ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ . ثم غاب من موضعه .

فقام عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ ، وَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ ، وَ أَبُو أَيُّوبُ الْأَنْصَارِيُّ ، وَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَ هَاشِمُ الْمُرْقَالِ . في جماعة من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام - و قد كانوا سمعوا كلام الرجل - فقالوا : يا أمير المؤمنين من هذا الرجل ؟

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: هَذَا شَمْعُونُ [بن حمون الصفا] وصي عيسى عليه السلام ، بعثه الله يصبرني على قتال أعدائه .
فَقَالُوا لَهُ : فِدَاكَ أَبَاؤُنَا وَ أُمَّهَاتُنَا وَاللَّهِ لَنَنْصُرَكَ نَصْرَنَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ إِلَّا شَقِيٌّ !
فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام معروفاً^١ .

١- «المجالس» للمفيد ، الطبعة الرصاصية ، النجف ص ٦٠ الى ٦٢ .

وكان لهؤلاء الأفراد مجاهدات عظيمة في حرب صفين ، حيث قُتل معظمهم فيها ، مثل عمار ، و هاشم المرقال ، و خزيمة ، و عبادة ، و أبو أيوب ، الذين كانوا من خواص أصحاب الإمام وأنصاره الأوفياء .
و هؤلاء الأفراد من جملة أولئك النفر المائة الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام و عاهدوا على أن لا يُغمدوا سيوفهم عن قتال حتى يُقتلوا . وكان آخرهم أويس القرني . و حكاية شهادة هؤلاء الطيبين الطاهرين و لعاشقين الذين أعطوا كل ما لديهم ، و هؤلاء العباد الناسكين الذين يُعدّون من حواربي الإمام ، و جميعهم من أصحاب رسول الله ؛ حكاية عجيبة إلى الحد الذي يبهت و يحير كل إنسان ذي وجدان و حمية .
و يرفع معاوية المصاحف على رؤوس الرماح في منتهى الحيلة و المكر بمعونة من عمرو بن العاص و إشارة منه ، و يعدّ نفسه مسلماً تابعاً للقرآن ، فيحكم القرآن في الأمر . و يُثير تلك الفتنة و الاضطراب في جيش العراق ، و يوقع ذوي الظواهر المقدسة في الحيرة و يجعلهم أحياناً أسرى سوء الظن .

أما عمار بن ياسر فقد كان من أولئك الذين لم تتزلزل عزائمهم ، و كان ينادي : والله لو هزمونا حتى بلغنا سَعَفَات هَجْر^١ ، و لو سيطروا على جميع هذه البلاد العريضة ، لبقينا على يقيننا بأننا على الحق و أنهم على الباطل .
لقد رسخ الإيمان بالله في سويداء قلب عمار و رفقائه في الجهاد ، بحيث أنّ الدنيا لو تظافرت بأجمعها و شاءت إسقاط أو زعزعة أمثال هؤلاء الرجال الصادقين ، ليوث التوحيد ، بالأجواء المفتعلة و بالخدع التي تنطلي على العوام ، فإنّها لن تحصد إلاّ الخُسران المبين .

١- المُراد بسَعَفَات هجر بساتين النخيل في المدينة أو اليمن . و ذكر في القاموس (هَجَرَ) بفتح الحاء .

خطبة أمير المؤمنين في مسجد الكوفة في الأسبوع الذي استشهد فيه
المجلس الرابع عشر

لذا يأتي قطب عالم الإمكان و محور الولاية و مركز الحق و الحقيقة :
أمير المؤمنين عليه السلام فيذرف دموع الرحمة في عزائهم و ماتمهم ،
و يتأوه حين يتذكر أبطال عالم اليقين أولئكم و يتمنى الموت لئليهم
و رؤيتهم .

ففي خطبة خطبها في مسجد الكوفة قبل أسبوع من شق مفرقه
المبارك بضربة ابن ملجم المرادي ، يقول في آخرها :

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَذْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا وَ أَزْمَعَ
التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ وَ بَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ
لَا يَفْنَى . مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفَكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَ هُمْ بِصَفِينٍ أَنْ لَا يَكُونُوا
الْيَوْمَ أَحْيَاءُ !

إلى أن يقول :

أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارُ
وَ أَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ وَ أَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَ أَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ
تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَيَّةِ وَ أُبْرِدَ بِرُؤْسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ .

ثم وضع يده على لحيته المقدسة الشريفة و بكى طويلاً ثم قال :

أَوَّهْ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَ تَدَبَّرُوا الْفَرْصَ
فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَاوْا السُّنَّةَ وَ أَمَاتُوا الْبِدْعَةَ ؛ دُعَاوُ لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَ وَثَّقُوا
بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ .^١

و على كل حال فإن هؤلاء الرجال الكرام الذين يخاطبهم الإمام
بـ «أوه على إخواني» قد كانوا هم الكلمة الطيبة التي توتي أكلها كل حين

١- «نهج البلاغة» عبدة ، طبع مصر - ص ٣٤٣ و ٣٤٤ و الملا فتح الله ، الطبعة

الحجرية ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

بِإِذْنِ رَبِّهَا ؛ وَ هُمُ الَّذِينَ يَنْشُرُونَ عَلَى الدَّوَامِ الثَّمَارَ اللَّذِيذَةَ الطَّرِيَّةَ لِلْحَيَاةِ
الْمَعْنَوِيَّةِ فِي عَالَمِ الْوُجُودِ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْتَعِدِّينَ ، وَ ذَلِكَ بِنَظَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَ الْفَيْضِ الَّذِي كَانَ يُفِيضُهُ عَلَيْهِمْ ، وَ هُوَ مَا عُبِّرَ عَنْهُ «بِإِذْنِ رَبِّهَا» .
كَمَا أَنَّ هُمْ بِالنِّسْبَةِ لَنَا الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ ، لِأَنَّ ذِكْرَهُمْ وَ فِكْرَهُمْ وَ تَأْرِيخَهُمْ
وَ نَهْجَ حَيَاتِهِمْ ، وَ زَهْدَهُمْ وَ عِبَادَتَهُمْ وَ انْقِيَادَهُمْ وَ تَسْلِيمَهُمْ لِأَمَامِهِمْ ،
وَ مُحِبَّتَهُمْ وَ وَدَّعَهُمْ وَ إِيْثَارَهُمْ كَانَ كُلُّهُ - بَعْدَ قُرُونٍ أَرْبَعَةٍ عَشَرَ - الْمَحْيِي
وَ الْمُثْلِمَ لِحَيَاتِنَا وَ نَهْجِنَا ، كَمَا أَنَّ هُمْ كَانُوا النَّمَاذِجَ الْبَارِزَةَ وَ الْمَضِيئَةَ
لَطَرِيقَتِنَا وَ خَطِّ سِيرِنَا ، وَ أَخِيرًا فَهُمُ الْهَادُونَ لَوْجُودِنَا إِلَى الْوَطَنِ الْأَصْلِيِّ
لِلْإِيمَانِ وَ إِلَى مَقَرِّ الْإِيْقَانِ .

إِنَّ قَطْرَاتِ الدَّمْعِ هَذِهِ الَّتِي تَنْسَابُ الْآنَ عَلَى وَجَنَاتِكُمْ قَدْ ارْتَبَطَتْ
بِبَرَزْخِ أَوْلَئِكَ ، فَهِيَ تَرَى سِرَّهَا مُتَّصِلًا وَ مُرْتَبَطًا بِهِمْ ، وَ هِيَ تِلْكَ الثَّمَرَةُ
الَّتِي أُوتِيَتْ فِي سَمَائِهِمُ الْمَلَكُوتِيَّةِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فَتَنْعَمُنَا بِهَا ، وَ هَا نَحْنُ
جَالِسُونَ عَلَى مَا دَبَّتْهُمْ نَعْمٌ بِهَذِهِ الْمَائِدَةِ السَّمَاوِيَّةِ .

وَ لَقَدْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَنْصَارِ سَيِّدِ الشَّهْدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَةً طَيِّبَةً
أَضَاءَتْ بِقُدْرَتِهَا وَ سَعَتِهَا سَمَاءَ التَّوْحِيدِ وَ الْإِيْثَارِ ، فَمَلَأَتْهَا نُورًا وَ حَرَارَةً
بِثَمَرَاتِ حَيَاتِهِمْ الطَّافِحَةِ بِالْبَرَكَةِ .

وَ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ ، الشَّيْخُ الْقَارِئُ
لِلْقُرْآنِ وَ فَقِيهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَ كَانَ رَجُلًا شَجَاعًا وَ فَاضِلًا فَقِيهًا قَارِئًا ، وَ كَانَ
وَ كَيْلَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ فِي الْكُوفَةِ ، وَ كَانَ مَوْلَاهَا بِمَقَامِ الْوَلَايَةِ ، فَأَعْطَى رُوحَهُ
وَ كُلَّ مَا لَدَيْهِ لِهَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمُبَارَكَةِ .

وَ كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ أَحَدُ أَبْطَالِ جَيْشِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ سَيِّدِ الشَّهْدَاءِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ يَسْتَشْهَدُ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدِ الرَّيَّاحِيِّ ، وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ ،
وَ بُرَيْرُ بْنُ خُضَيْرٍ وَ رَجُلَانِ آخَرَانِ ، فَيَتَقَدَّمُ أَحَدُ أَصْحَابِ سَيِّدِ الشَّهْدَاءِ إِلَى

شهادة مسلم بن عوسجة و بطولته في أرض كربلاء المجلس الرابع عشر

الميدان ، و اسمه نافع بن هلال ، وكان رجلاً شجاعاً ، فخرج لمبارزته أحد قادة جيش عمر بن سعد ، و اسمه مزاحم بن حريث ، فأرداه نافع بضربة واحدة من سيفه .

و عندما شاهد هذا المنظر عمرو بن الحجاج الزبيدي ، و هو أحد قادة جيش عمر بن سعد ، وكان مأموراً مع أربعة آلاف نفر بالمحافظة على شريعة الفرات ، صرخ بأعلى صوته ، لا يبرزن إلى هؤلاء أحد ، فهم ليوث الآجام الشجعان ، و قد وضعوا قلوبهم على أكفهم و وطتوا أنفسهم على الموت .

أولم تروا كيف قضى هذا على صاحبنا بضربة واحدة ؟ إنكم لو بارزتموهم رجلاً لرجل لأفنوكم جميعاً ، ولكن إذا كنتم عليهم يداً واحدة فأحطتم بهم فإنكم ستقتلونهم جميعاً بغير قتال بسيف أو برمح ولكن رمياً بالحجارة . فكونوا يداً واحدة و حاصروهم من كل صوب ! فقال عمر بن سعد : صدقت ! الرأي ما رأيته . و أرسل إلى الناس يعزم عليهم : ألا يبارزن رجل منكم رجلاً منهم .

ثم دنا عمرو بن الحجاج في أربعة آلاف فارس من ميمنة سيد الشهداء ، و تقدم عمر بن سعد بقلب جيشه ، فصار متعيناً على أصحاب الإمام أن يواجهوا هجوم ثلاثين ألف نفر ؛ و حسب قولهم فإنهم لو رموا بالحجارة لسحقوا جميع الأنصار .

و لقد دافع أصحاب الإمام دفاعاً لا نعلم عن خصوصياته ، إلا أنهم إجمالاً ترجلوا عن جيادهم فصاروا صفّاً فولاذياً مرصوصاً فأوقعوا برماحهم فقط الفرع و الرعب في نفوس الأعداء . ثم إنهم اقتتلوا ساعة ، فثارت لشدة الجلاد غبرة طبقت الآفاق فلا يرى فيها أحدٌ أحداً ، ثم عاد عمر بن سعد إلى مقره و رجع عمر بن الحجاج ، فما انجلت الغبرة إلا و مسلم بن عوسجة

معرفة المعاد (٢)

تجلّي الإنسان و أعماله في عالم البرزخ في صورتها الملكوّية

صريعاً على الأرض و به رمق ، فأسرع الحسين إليه و التفت إليه و قال له :
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا^١.

١- الآية ٢٣ ، من السورة ٣٣ الأحزاب .

فَهْرَسُ الثَّالِفَاتِ

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم
تُعلن مؤسسة ترجمة و نشر
(دورة العُلوم و المعارف الإسلاميّة)
من تأليفات
العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهرانيّ

أنّ الكتب المؤلّفة لسماحته كالآتي :
دورة المعارف ، و تشمل أقساماً ثلاثة :

١ - معرفة الله (١)

٢ - معرفة الإمام (٢)

٣ - معرفة المعاد (٣)

دورة العلوم ، و تشمل أقساماً أربعة :

١ - الأخلاق و الحكمة و العرفان (٤)

٢ - الأبحاث التفسيرية (٥)

٣ - الأبحاث العلميّة و الفقهيّة (٦)

٤ - الأبحاث التاريخية (٧)

فهرس التأليفات

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(١)

معرفة الله

١ - معرفة الله (الله شناسی)

أصل هذه الأبحاث دورة تفسيرية جرى فيها المذاكرة و التحرير من الآية المباركة «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ» إلى «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ». و قد جرى البحث و المذاكرة في هذه الأبحاث عن مسألة التوحيد الذاتي و الأسمائي و الأفعالي للذات المقدسة للحق تعالى ، و عن كيفية نشوء عالم الخلقة ، و ربط الحادث بالقديم ، و نزول نور الوجود في مظاهر الإمكان ، و حقيقة الولاية و ربط الموجودات بذات الباري تعالى ، و عن لقاء الله و الوصول إلى ذاته المقدسة بفناء الوجود المجازي المعار و اندكاه في الوجود المطلق الأصيل الحقيقي . و لم تُطبع هذه المجموعة حتى الآن .

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(٢)

معرفة الإمام

١ - معرفة الإمام (امام شناسی - انتشارت حکمت)

مجموعة من البحوث التفسيرية ، الفلسفية ، الروائية ، التاريخية و الاجتماعية في الإمامة و الولاية بشكل عام ، و في إمامة و ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين بشكل خاص ؛ و ذلك في هيئة دروس استدلالية علمية متخذة من القرآن الكريم و الروايات الواردة عن الخاصة و العامة ، و أبحاث حلية و نقدية عن الولاية . و تضم هذه المجموعة (٢٧٠) درساً في ثمانية عشر مجلداً ، طبع منها حتى

فهرس التأليفات

الآن اثنا عشر مجلداً بالفارسية ؛ و قد جرى فيها مناقشة و بحث مطالب من قبيل :
 العصمة ، الولاية التكوينية ، لزوم الإمام الحي ، لزوم متابعة الأعلم ، ضرورة وجود
 الإمام للمجتمع ، معنى الولاية ، شرح حجة الوداع ، شرح واقعة غدير خم ، أحاديث
 الولاية ، حديث المنزلة ، شرائط القيادة ، علم الغيب و مجموعة علوم و قضايا و
 محاكمات أمير المؤمنين عليه السلام ، معية الإمام للقرآن في جميع العوالم ، حديث
 الثقلين ، تقدم الشيعة في جميع العلوم ، كتب الشيعة المؤلفة ، مباحث عن الصحيفة
 السجادية ، سير علوم الشيعة و تأريخهم من صدر الإسلام ، عظمة مدرسة الإمام
 الصادق عليه السلام و مقامها العلمي ، الرد على نظريات و عقائد المذاهب المختلفة
 لأهل السنة في الأصول و الفروع ، العلوم العالمية للإمام الصادق عليه السلام ، العلوم
 الإسلامية للإمام الصادق عليه السلام ، خلود مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ، و قيام
 معاوية لإفناء آثار النبوة و تبديلها إلى سلطنة و ...

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(٣)

معرفة المعاد

١ - معرفة المعاد (معاد شناسی - انتشارت حکمت)

تشمل ٧٥ مجلساً في كيفية سير الإنسان و حركته في الدنيا و عالم الغرور ، و
 كيفية تبدل نشأة الغرور إلى عالم الحقائق و الواقعات و ارتحال الإنسان إلى الله و
 غاية الغايات .

و تقع هذه المجموعة في عشر مجلدات طُبعت بأجمعها بالفارسية ؛ و قد جرى
 فيها على نحوٍ وافيٍ و مستفيض طرح مباحث من قبيل : عالم الصورة و البرزخ و كيفية
 ارتباط الأرواح هناك مع هذه العوالم ، كيفية خلق الملائكة و وظائفهم ، النفخ
 في الصور و موت جميع الموجودات ثم إحيائها و قيام الإنسان في ساحة الحضرة
 الأحدثية ، عالم الحشر و النشر و الحساب و الكتاب و الجزاء و العرض و السؤال و

فهرس التأليفات

الميزان والصراط والشفاعة والأعراف والجنة والنار؛ وذلك بالاستفادة من الآيات القرآنية وأخبار المعصومين ومن الأدلة العقلية والفلسفية والمطالب الذوقية و العرفانية .

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(٤)

الأخلاق والحكمة و العرفان

١ - رسالة السير و السلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

(رسالة سير و سلوك منسوب به بحر العلوم - انتشارت حكمت)
جرى في هذه الرسالة ، إضافة إلى شرح حال المرحوم بحر العلوم و صحّة انتساب هذه الرسالة له ، بيان حقيقة و مقصد السلوك إلى الله سبحانه ، كيفية السلوك إلى الله و آثاره ، و طريقة ذكر العلامة بحر العلوم ، و ذلك بشرح مفصل من قبل العلامة آية الله مّد ظله .

٢ - رسالة لبّ اللباب في سير و سلوك أولي الألباب

(رسالة لبّ اللباب در سير و سلوك أولي الألباب - انتشارت حكمت)
أصل هذه الرسالة أس و مخّ أول دورة من الدروس الأخلاقية و العرفانية للعلامة المفسّر و الحكيم العارف آية الله العظمى الطباطبائي قدس سرّه في الحوزة العلمية في قم ، و قد دوّنت من قبل سماحة العلامة آية الله مّد ظله بعنوان تقريرات ، ثم طُبعت مع تنقيحات و إضافات لسماحته .

و قد جرى في هذا الكتاب ذكر كيفية السير و السلوك إلى الله بشكل إجمالي و تفصيلي ، و شرح تفصيلي للعوامل المقدّمة على عالم الخلوص ، و طرح مباحث من قبيل الشرائط اللازمة للسلوك ، مراتب المراقبة ، لزوم الأستاذ ، و الطرق المختلفة لنفي الخواطر ، و ذلك بأسلوب جامع و جميل .

فهرس التأليفات

٣- التوحيد العلمى والعينى (توحيد علمى وعينى - انتشارت حكمت)
سلسلة رسائل حكمية و عرفانية بين آيتين علمين هما : الحاج السيد أحمد
الكربلاني و الحاج الشيخ محمد حسين الاصبهاني (الكمباني) حول بيت واحد
من الشعر للعطار النيسابوري ، حيث فسّر كل من هذين العلمين ذلك البيت وفق مذاقه
في العرفان و الحكمة .

و بسبب احتمال هذه الرسائل على مباحث دقيقة توحيدية عرفانية و فلسفية
برهانية ، فقد كتب سماحة العلامة الطباطبائي قدس سره ضمن دروسه في الحوزة
العلمية في قم تذييلات و محاكمات من ستة أقسام على الرسائل الثلاث الاولى
المتبادلة بين المرحومين الشيخ و السيد ، ثم حرّر سماحة العلامة آية الله مدّ ظله
ثمانية تذييلات على الرسائل الأربع الأخرى للمرحومين المذكورين بعنوان تنمّة
لتذييلات العلامة الطباطبائي .

و قد جيء في هذه المجموعة بمقدمة حول هوية أصل الرسائل و العرفاء
الأجلاء الذين جرى التطرق إلى أسمائهم فيها .

٤- الشمس الساطعة (مهر تابان - انتشارت باقر العلوم عليه السلام)
يمثل هذا الكتاب تأبين و محاورات التلميز مع العلامة العارف بالله و بأمر الله
السيد محمد حسين الطباطبائي التبريزي قدس الله تربته ، و يشمل قسمين يتطرق
سماحة العلامة آية الله المؤلف مدّ ظله في أولهما لبيان تأريخ حياة العلامة
الطباطبائي قدس سره و أسلوبه العلمي و الفلسفي و العرفاني و التفسيري و لبيان
أحوال ثلّة من الأجلاء ، في حين يتطرق في القسم الثاني إلى ذكر بعض محاوراته
مع العلامة الطباطبائي التي تشمل أبحاثاً قرآنية و فلسفية و عرفانية و أخلاقية و علمية
و تأريخية .

٥- الروح المعجزة (روح معجزة - انتشارت حكمت)

فهرس التأليفات

في تأيبن الموحّد العظيم و العارف الكبير الحاج السيّد هاشم الموسوي الحدّاد
أفاض الله علينا من بركات تربته ، من أقدم و أفضل تلامذة الأخلاقي الكبير العارف
بالله و بأمرالله آية الله العظمى الحاج السيد علي القاضي الطباطبائي التبريزي نفعا
الله و المسلمين من بركات علومه .

و قد ذكر في هذا الكتاب كيفيّة تشرف سماحة العلامة آية الله مدّ ظلّه
بالحضور في محضر سماحة الحدّاد ، و عن كيفيّة حياته و سيرته العملية و حالاته و
مقاماته التوحيدية و أحوال تلامذته . و تطرّق ضمن بيان أسفار سماحته إلى ذكر
المباحث التوحيدية الدقيقة ، و السلوك إلى الله ، و لزوم متابعة الأستاذ ، و إلى الدفاع
عن العرفان و العرفاء بالله ، و إلى ردّ التّهم غير اللائقة التي وُجّهت إلى محيي الدين
ابن عربي ، و إلى معنى وحدة الوجود و ...

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(٥)

الأبحاث التفسيرية

١ - رسالة بديعة
(انتشارت حكمت و صدرا)
ألّفت هذه الرسالة بالعربية في تفسير آية «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ» و
تتضمّن دروساً استدلالية في مورد جهاد و قضاء و حكومة المرأة ، و بحثاً في فلسفة
حقوق المرأة و الرجل ، و معنى تساوي حقوق المرأة و الرجل ، و حدود مشاركة
النساء في الجهاد ، و روايات و إجماع الفقهاء في عدم جواز تصدّي المرأة لمناصب
الحكومة و القضاء و عدم جواز ورود النساء في مجلس الشورى .
و تضمّن هذه المجموعة مطالب تفسيرية ، روائية ، فقهية ، علمية و اجتماعية ؛
كما جرى البحث فيها - للمناسبة - عن ولاية الفقيه .
و قد تُرجمت هذه الرسالة من قبل عدّة من الفضلاء إلى الفارسية لاستفادة
العموم منها .

فهرس التأليفات

٢ - رسالة في الأشهر القمرية و الشمسية (رسالة نوين - انتشارت صدرا)
بحث تفسيري ، روائي ، فقهي و تاريخي حول بناء الإسلام على السنة و
الشهور القمرية ، جرى خلاله البحث في تفسير آية «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا
عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ» و الخطبة المعروفة لرسول الله في منى ، و في تفسير آية
«النسيء» .

و من الأبحاث الأخرى لهذا الكتاب ، عدم مشروعية تبديل الأشهر القمرية إلى
الشمسية ، التدخل المباشر للأجانب في تغيير تأريخ المسلمين على يد مجلس
الشورى الوطنى الاستعماري خلال ثلاث مراحل تدريجية ، انقراض العائلة البهلوية
أثر إعلان نسخ التاريخ المحمدي ، و فوائد السنة القمرية و مضار السنة الشمسية .

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(٦)

الأبحاث العلمية و الفقهية

١ - رسالة حول مسألة رؤية الهلال
(انتشارت علامه طباطبائي)
مجموعة مراسلات و مكاتبات سماحة العلامة آية الله مدّ ظلّه مع أحد
أساتذته في علم الأصول : المرحوم آية الله الحاج السيّد أبي القاسم الخوئي تغمّده
الله برحمته في لزوم اشتراك الآفاق في رؤية الهلال لثبوت الأشهر القمرية . و يضمّ
هذا الكتاب بحوثاً علمية ، فقهية ، فنية و حليّة موسوعية تتضمّن خمس رسائل
للطرفين و باللغة العربية .

٢ - وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام
(وظيفة فرد مسلمان در احياى حكومت اسلام - انتشارت علامه طباطبائي)
مجموع مطالب هذا الكتاب التي جاءت على أساس الحقائق التاريخية على
هيئة دروس ستة ، من إنشاء سماحة العلامة آية الله مدّ ظلّه للفضلاء من طلاب مدينة

فهرس التأليفات

مشهد المقدّسة ، و بجمع و تنظيم أحد الفضلاء .
 وبعض عناوين مطالب هذا الكتاب عبارة عن : لزوم تشكيل الحكومة وإعداد
 مقدّماتها ، العلاقات الأكيدة للمؤلف مع القائد الكبير للثورة سماحة آية الله الخميني
 قدّس سرّه في تشكيل حكومة الإسلام ، سجن آية الله الخميني و النشاط الحثيث
 للمؤلف في تخليصه من الإعدام ، جريان معاهدة النقض القنصلي (كايتولاسيون) ،
 نصّ رسالة سماحة العلامة آية الله مدّ ظلّه حول مسودة القانون الأساسي إلى آية الله
 الخميني و اقتراحاته العشرون إلى القائد الكبير للثورة بواسطة المرحوم الشهيد
 آية الله الشيخ مرتضى المطهري ، مع صورة كيفة تشكيل ثمان عشرة لجنة مختلفة
 الأثر في الجمعية الإسلامية لمسجد القائم في طهران .

٣ - ولاية الفقيه في حكومة الإسلام

(ولايت فقيه در حكومت اسلام - انتشارات علامه طباطبائي)
 تتحدّث هذه المجموعة حول ولاية الفقيه في حكومة الإسلام ، و قد جرى
 بيانها بعد طبع كتاب «وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام» ، حيث جُمعت
 و نظّمت من قبل اثنين من الفضلاء في مجلّدتين أربعين تضمّ ٤٨ درساً .
 و قد جرى في هذه المجموعة البحث و التحقيق في مطالب من قبيل : دلائل
 ولاية الفقيه و شرائطها و موانعها ، حقيقة ولاية الإمام و الفقيه العادل الجامع للشرائط
 و حدودها و ثغراتها ، و أسلوب الحكم في الإسلام و واجب الناس تجاهه ، و ذلك
 بالاستفادة من الآيات القرآنية و الروايات و الأبحاث الفقهية و العلمية و الشواهد
 التاريخية و الاجتماعية .

٤ - نور ملكوت القرآن (نور ملكوت قرآن - انتشارات علامه طباطبائي)

هذه المجموعة في القسم الأول من دورة أنوار الملكوت (الشاملة لنور
 ملكوت القرآن ، نور ملكوت المسجد ، نور ملكوت الصلوة ، نور ملكوت الصيام ، و

فهرس التأليفات

نور ملكوت الدعاء) .

وقد دوّنت مجموعة «نور ملكوت القرآن» في أربعة مجلّدات ، جرى البحث خلالها عن هداية القرآن إلى أفضل مناهج و شُبل السلام ، خلود أحكام القرآن ، عدم نسخ القرآن ، التطبيق العملي لآحاد آيات القرآن في كلّ عصر ، الردّ على نظريّة تحديد النسل ، دور القرآن و موقعه بعنوان كتاب سماويّ ، نقد و مناقشة بعض الأفهام الخاطئة للآيات القرآنية الكريمة ، و الإشكالات الواردة على مقالة «بسط و قبض تثوريك شريعت = بسط و قبض نظريّة الشريعة» و كتاب «دانش و آرزش = الفكر و القيم» .

و من العناوين الأخرى لهذه المجموعة : منطق القرآن توحيديّ ؛ بيان القرآن لأخطاء التوراة و الإنجيل ؛ أحكام القرآن في الجهاد ، القتل ، الاستعباد ، و الفدية ؛ سير القرآن في آيات الأنفس و الآفاق ؛ بيان محكمات القرآن و متشابهاته ؛ كيفيّة قراءة القرآن في الصلاة و غيرها ؛ تأثير القرآن في تربية الإنسان الكامل ؛ عظمة أخلاق القرآن ؛ بيان كيفيّة خلقه الإنسان و السيّارات في القرآن ؛ دعوة الآيات الآفاقية إلى التوحيد و مكارم الأخلاق ؛ العربية و إعجاز القرآن ؛ لزوم التكلم بالعربيّة لجميع المسلمين و الردّ على مسألة إحياء اللغات الفارسيّة القديمة ؛ عظمة القرآن الكريم و أصالته ؛ تأثير القرآن في الحضارة العظيمة الإسلاميّة ، تفوّق علوم الإسلام على اليونان ؛ بيان كيفيّة كتابة القرآن و طباعته ؛ تأريخ التوراة و الإنجيل الحاليين ؛ قاطعيّة القرآن و شموله ؛ عموميّة القرآن الكريم و امتناعه على التغيير ؛ كيفيّة جمع القرآن و تدوينه .

و قد طبع من هذه المجموعة مجلّدان حتّى الآن بالفارسيّة .

٥ - نظرة على مقالة بسط و قبض نظريّة الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش (نكرشي بر مقالة بسط و قبض تثوريك شريعت دكتر عبدالكريم سروش)
قام سماحة آية الله العلامة مدّ ظلّه العالي في هذا الكتاب - ضمن بيانه لعشرة

فهرس التأليفات

إشكالات مهمة من إشكالات مقالة «بسط و قبض نظرية الشريعة» للدكتور عبد الكريم سروش - بالإجابة على أحسن وجهٍ و أتقنه على الانتقادات الواردة في هذه المقالة على حجّة القرآن و خلوده و على جميع مقدّسات العالم و حقائقه .
وكان هذا الكتاب في الأصل يشكّل القسم الأعظم من المجلّد الثاني للكتاب «نور ملكوت القرآن» ، و سيُطبع مستقلاًّ دون تصرّف نظراً لأهميّة الموضوع ، و بناءً على اقتراح بعض العلماء ، و لتسهيل أمر تناوله من قبل الأساتذة و طلبة الجامعات و المحقّقين ، فيُهدى إلى من ينشدون سبيل الحقيقة و سُبُل السلام .

وإليك بعض عناوين الكتاب :

أصالة و خلود الدين الإلهيّ و محدوديّة الفهم البشري ، عظمة العلوم الإسلاميّة و تفوّقها على العلوم الحاليّة ، أساس الحوزات العلميّة قائم على القرآن و العرفان ، إعراض دعاة الانفتاح عن المباني الإسلاميّة بتأثير من الثقافة الأجنبيّة ، بُرهان العلامة الطباطبائي في استناد العلل الطبيعيّة إلى العلل المجرّدة ، منطق القرآن حجّة العقل و اليقين لا الفرضيات الوهميّة .

و الكتاب تحت الطبع في الوقت الحاضر بالفارسيّة .

٦- الرسالة النكاحيّة : الحدّ من عدد السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين (رسالة نكاحيّة: كاهش جمعیّت، ضربه ای سهمگین بر پیکر مسلمان - انتشارات حکمت)
أصل هذه الرسالة قسمٌ من المجلّد الأول للكتاب «نور ملكوت القرآن» ، جرى فيه البحث في تفسير آية «وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ» . و نظراً لأهميّة المطالب فقد استخرجت من ذلك الكتاب و طُبعت بشكل مستقلّ باسم «الرسالة النكاحيّة» . و بالنظر لحصول نشاطات واسعة تستلقت الأنظار في وقت طبع هذه الرسالة - حيث تنقضى سنواتٌ خمس على ارتحال الفقيه المعظّم القائد الكبير للثورة الإسلاميّة - تحت عنوان تنظيم العائلة و الحدّ من السكّان ، فقد عمد سماحة آية الله العلامة إلى كتابة تذييلات على هذه الرسالة ، و فسر اسم الرسالة النكاحيّة بعطف جملة «الحدّ

فهرس التأليفات

من عدد السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين» ، حيث جرى في هذه التذييلات التي ضمّت ثلاثة عشر مطلباً ، تحليل مسألة الحدّ من السكّان من وجهة نظر القرآن و الإسلام ، كما أزيح الستار فيها عن السياسات الاستعمارية الخادعة الرامية إلى تقليل قوّة المسلمين .

و بعض العناوين التي تتصدّر هذه التذييلات هي :

الهجوم العنيف للاستكبار العالمي بعد ارتحال القائد الكبير الفقيد للشورة ؛
عدم الرجوع إلى رأى المجتهدين و الفقهاء حتّى إلى فتوى آية الله الخميني (ره) ؛
وجهة نظر سماحة آية الله الخامنّي في مسألة تقليل السكّان ؛ احصائيات خسائر النساء و الرجال في خصوص مسألة إغلاق الأنابيب ؛ حرمة إغلاق الأنابيب و تعلق الدية الكاملة بها ، تضادّ فلسفة الإسلام و روح الإيمان مع تقليل السكّان .

٧ - رسالة مسودة القانون الأساسي

(نامة پيش نويس قانون أساسي - نشر انجمن إسلامي مسجد قائم طهران)
تبدأ هذه الرسالة بالآية الكريمة «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» ، و تعكس وجهات نظر سماحة العلامة آية الله مدّ ظلّه الحاكّية عن دقّة نظره و تبصّره في المسائل الدينيّة و السياسيّة . و قد جرى في تلك الرسالة نقد و إصلاح أصول مسودة القانون الأساسي و وفقاً للموازن و المعايير الإسلاميّة .

دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة

(٧)

الأبحاث التاريخيّة

١ - لمّعات الحسين عليه السلام (انتشارات باقر العلوم عليه السلام)
حاوية لبعض كلمات و مواعظ و خطب سيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام مع ترجمتها و ذكر مصادرها من الكتب المعتمدة ، وهي - لاختصارها و

فهرس التأليفات

بساطتها - قابلة للحفظ من قبل العموم ، وخاصة طلاب العلوم الدينية و طلبة الجامعات الملتزمين .

٢ - الهدية الغديرية : رسالتان قاتمة و مشرقة

(هدية غديرته : دو نامه سياه و سييد)

و تشمل هذه الكراسة رسالة من أمير أهل الخلاف في بخارا و جوابها من قبل أمير أهل الولاء في خراسان ، حول ولاية أمير المؤمنين عليه السلام و خلافته بلا فصل ، جرى تبادلها قبل قرنين من الزمن ؛ و يمكن عدّها لإنشائها الرائع و منطقتها المتين و بُرهانها السديد و خطّها الجميل الطريف من بدائع التحريرات . و قد طُبعت هذه المجموعة مع مقدّمة و تحقيق من قبل سماحة العلامة آية الله مدّ ظلّه ، و أُهديت بمناسبة العيد السعيد لغدير ختم إلى الإخوة المؤمنين و الطلبة المتتبعين لمعارف أهل اليقين .

* * *

هذه هي مجموعة الكتب التي ألّفت حتّى الآن من قبل المؤلّف زيد عزّه ، و التي بادرت «مؤسسة ترجمة و نشر دورة العلوم و المعارف الإسلامية» إلى ترجمتها و تقديمها تدريجياً إلى القراء المحترمين .

